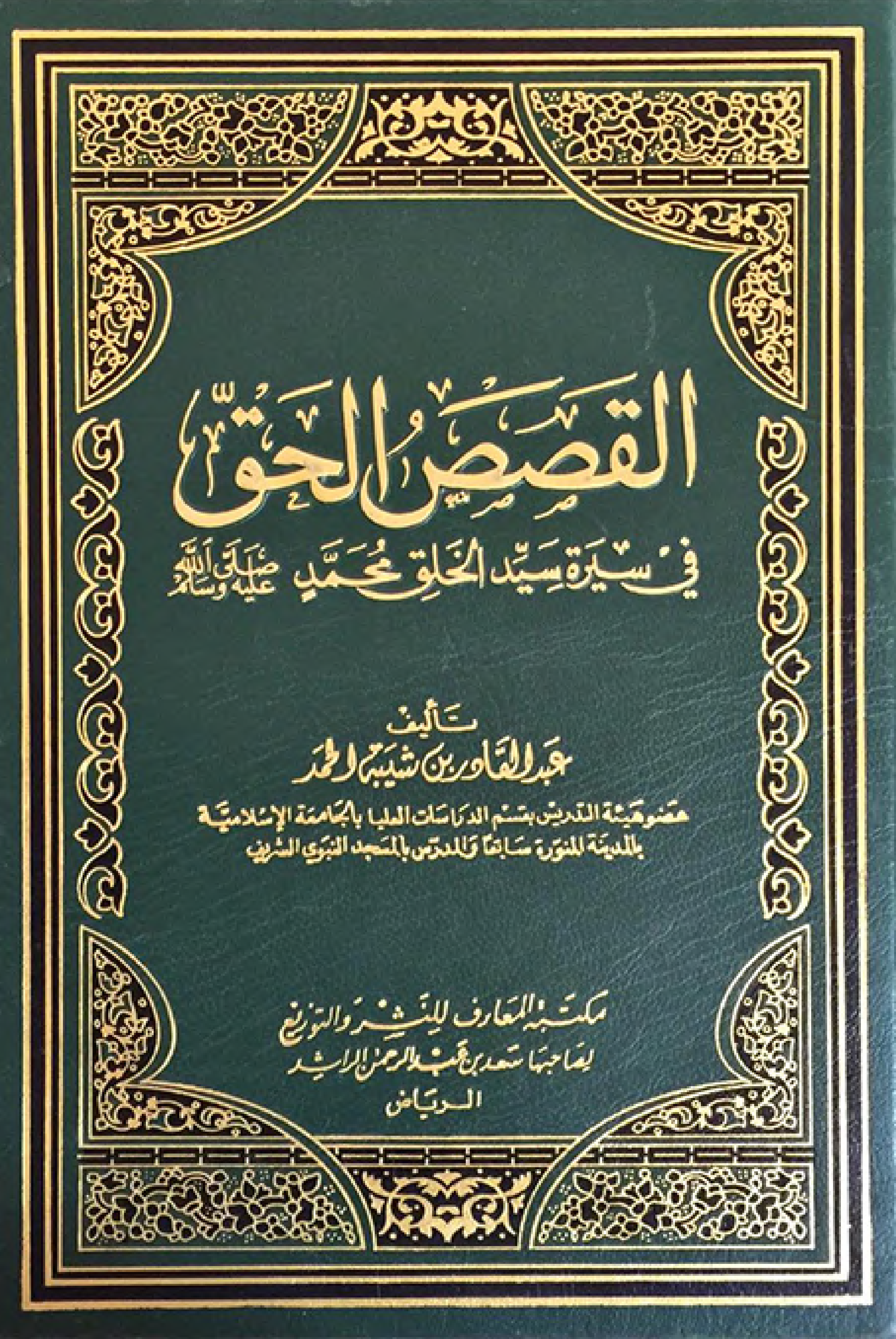


القصص الحق
في سيرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم
تأليف
عبد القادر بن شيبة الحمد
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة سابقاً والمدرس بالمسجد النبوي الشريف
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد
الرياض



يُوزع مجّاناً ولا يباع

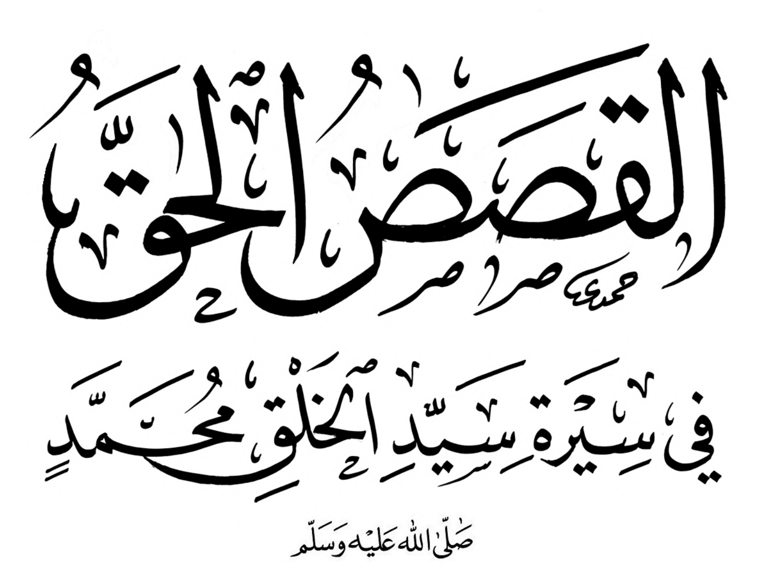
ⓒ عبد القادر شيبة الحمد، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة فهد الوطنيّة أثناء النشر
شيبة الحمد، عبد القادر
القصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد صلى الله علي وسلم
عبد القادر شيبة الحمد-ط٤..- الرياض،١٤٣٢هـ
٢٠٠ص، ١٧ / ٢٤سم
ردمك٢-٧٧٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-السيرة النبوية أ. العنوان
ديوي٢٣٩ ١٤٣٢/٦١٥٦

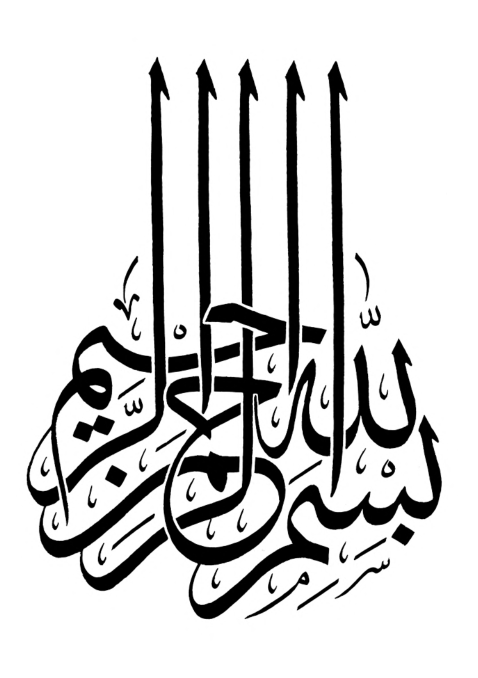
رقم الإيداع: ١٤٣٢/٦١٥٦
ردمك٢-٧٧٩٢-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الرابعة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



عَبْدُ القَادِرِ شَيْبَةُ الحَمْد
عُضْوُ هيئةِ التَّدرِيس بقسمِ الدِّراساتِ العُليا
بالجامعةِ الإسلاميّةِ سابقاً
وَالمُدرّسُ بالمسجد النّبويّ الشّريف


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، ومن سلك سبيلهم ونهج منهجهم إلى يوم الدين، **أما بعد**:

فقد كنت توقفت في سيرة رسول الله ﷺ عند حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ المعروف بحديث جابر الطويل، في ليلة الأربعاء السابع عشر من شهر شوال عام ١٤٠٨هـ. وقد شرح الله عز وجل صدري لإتمام كتابة السيرة النبوية، فجاء بحمد الله صورة مشرقة للقصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ، قد جرَّدته بفضل الله وتوفيقه مما أُلْحِقَ بالسيرة النبوية من الأباطيل ورديء الأقاويل التي اعتمد مروجوها على الأخبار الكاذبة من دسائس بني إسرائيل، والأحاديث الموضوعة أو الضعيفة، التي لا تحل روايتها إلّا ببيان درجتها عند علماء الحديث، حيث إنه مما أطبق عليه علماء السلف من أهل السُّنَّة والجماعة أنه لا يجوز لأحد أن يقول على رسول الله ﷺ قولاً أو يصفه بوصف إلَّا بما ثبت من صحيح الأخبار عنه ﷺ، وقد استدلَّ أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك على الأدلة اليقينية كقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النّحل: ١١٦] ، وكقوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ووصفه المنذري في الترغيب والترهيب بأنه بلغ مبلغ التواتر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»، كما روى مسلم من حديث

سمرة بن جندُب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حدَّث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**».

كما روى مسلم في صحيحه عن حديث المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

وقد انفرد أهل السُّنَّة والجماعة بأنهم إذا سُئلوا عن مسألة تتعلق بالله عز وجل أو برسوله ﷺ رجعوا في الجواب إلى آية من كتاب الله أو حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والمِلَل والنِحَل الذين لا يستندون في عقائدهم، أو في فروع فقههم إلَّا على أقوال مرسلة، ولا يكادون يستدلون بآية من كتاب الله، أو بخبر ثابت عن رسول الله ﷺ.

وقد بدئ بتحرير تكملة السيرة النبوية في ٢٥/١/١٤١٩هـ. وعلى الله قصد السبيل، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف
عبد القادر شيبة الحمد
عضوة هيئة التدريس بقسم الدراسات العُليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف



الفصل الأول

محمد رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. **أما بعد:**

هذه سيرة حبيب الله وخليله، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغُر المُحجلين، البشير النذير، والسراج المنير، المزمل، المدثر، المتوكل، الهادي، الشاهد، الأمين، الرحمة المهداة، الشافع المشفع، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، الصادق المصدوق، الرؤوف الرحيم، المصطفى المختار، النبي الأمي، أحمد، الماحي، الحاشر، العاقب المُقَفِّي، نبي التوبة، ونبي الرحمة، سيد ولد آدم، أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو ـ شيبة الحمد ـ ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ـ وهو قريش ـ ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وقد أجمع أهل العلم على أن عمود نسب رسول الله ﷺ إلى عدنان لا نزاع فيه عند أحد من النسابين، كما أنه لا نزاع في أن عدنان ينتهي نسبه إلى إسماعيل عليه السلام، وقد اختار الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ من خير أنساب بني آدم كما جاء في صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

وقد أشرت في مقدمات كتابي قصص الأنبياء إلى أن الرسل تُبعث في نسب قومها، أي في أرفع بيوت قومهم نسباً، وقد ذكر ذلك هرقل لأبي سفيان لمَّا سأله عن رسول الله ﷺ: أذو نسب فيكم؟ فقال أبو سفيان: هو فينا ذو نسب، فقال

هرقل: وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها. وقد اجتمع مع رسول الله ﷺ في نزار بنو ربيعة بن نزار، وقد صاروا قبائل شتى، منهم بنو أسد وضبيعة، ومن بني أسد بكر وتغلب وعنز أبناء وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ومنهم بنو عبد القيس بن أفصى والنمر بن قاسط، ومنهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومنهم بنو عجل بن لجيم، ومن بكر أيضاً بنو مرة، ومن ربيعة أيضاً بنو عنزة بن أسد بن ربيعة، ومن عنزة آل سعود.

كما اجتمع مع رسول الله ﷺ في مضر بنو قيس عيلان، وإلى قيس عيلان ترجع قبائل غطفان، وهوازن وسُليم ومازن، ومن هوازن بنو سعد بن بكر وبنو كلاب وبنو جُشم، ومنهم كعب بن ربيعة، وبنو هلال بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان، وكذلك بنو نمير وبنو جعدة وبنو قشير وبنو عُقيل بن كعب بن ربيعة، ومنهم بنو المنتفق وبنو خفاجة، ومن هوازن أيضاً بنو سَلُول وبنو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، ومن قيس عيلان أيضاً بنو عبس وذبيان، ومن ذبيان بنو فزارة، ومنهم عَدْوان وباهلة.

وفي إلياس يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو تميم بن مُرٍّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس، وبنو ضبة بن أدٍّ والرباب ومزينة، ومن بني تميم زيد مناة بن تميم وعمرو والحارث، ومن زيد مناة بن تميم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ومن ذريته مجدد الدين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي مدركة يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو هذيل بن مدركة، وهم رهط عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي خزيمة يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو أسد والقارة، وفي كنانة يجتمع مع رسول الله ﷺ ملْكان ومَلْك وعمرو وعامر وعبد مناة، ومن عبد مناة بنو بكر، ومن بني بكر بنو الديل وبنو مدلج وبنو ليث وبنو ضمرة، وفي النضر يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو يخلد بن النضر، وفي فهر يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو محارب بن فهر وبنو الحارث بن فهر رهط أبي عبيدة عبد الله بن عامر بن الجراح، وبنو أسد بن فهر، وفهر، هو قريش، فكل من كان من ولده

فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، وقيل: إن قريشاً هو النضر بن كنانة، والمعتمد عند العلماء هو أن قريشاً لقب فهر بن مالك بن النضر، وفي غالب يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو تيم الأدرم، وفي لؤي يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو عامر بن لؤي وبنو أسامة بن لؤي، وفي كعب بن لؤي يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد رضي الله عنهما، وبنو جُمَح وبنو سهم رهط عمرو بن العاص رضي الله عنه، ويجتمع مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب بنو تيم بن مرة رهط أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، وبنو مخزوم بن يَقَظَةَ بن مرة، وفي كلاب بن مرة يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو زهرة بن كلاب رهط آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وهم كذلك رهط سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وفي قصي يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو عبد الدار رهط الشيبيين حجبة الكعبة المشرفة وبنو عبد العزى رهط خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ، ومن بني عبد العزى ورقة بن نوفل والزبير بن العوام رضي الله عنه.

وفي عبد مناف يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس، وفي عبد المطلب يجتمع مع رسول الله ﷺ بنو أبي طالب علي وجعفر وعقيل، كما يجتمع معه في عبد المطلب بنو العباس وبنو الحارث وبنو أبي لهب.

وقد كان لآباء رسول الله ﷺ مجد مميز بين قبائل العرب فجده قصي هو أول من جمع أمر قريش بعد تفرقهم وتشتتهم، وقد ولي أمْرَ البيت الحرام وأمْرَ مكة كلها، وكانت له الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز الشرف كله على قريش، وقد قطَّع مكة رباعاً بين قومه قريش، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وقد سَمَّتْهُ قريش مُجَمِّعاً: لِمَا جمع من أمرها، وتيمنت به، فما تُنْكَحُ امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواءً لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى المسجد الحرام تجتمع فيها قريش لقضاء أمورها، وفي قصي يقول الشاعر:

قُصَيٌّ لَعَمْري كان يُدعى مُجَمِّعاً ... به جمَّع الله القبائل من فهر

وقد كان عبد الدار بِكْرَ قصي، فلما كبر قصي دفع لعبد الدار مفتاح الكعبة وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، وكانت خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاماً للحجاج ضيافة لهم على أنهم ضيوف الله وهم أحق الضيف بالكرامة، فأراد قصي أن يرفع من شأن ولده البكر عبد الدار عندما رأى أن عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب، فأحب قصي أن يجعل لعبد الدار شرفاً يلحق به أخاه عبد مناف، فاستقر الأمر على ذلك لعبد الدار.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثاني

محمد رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. **أما بعد**:

أشرت في الفصل السابق إلى أن قصيّاً عندما رأى أن ولده عبد مناف قد شرف في زمان أبيه أراد أن يُلحق به في الشرف أخاه عبد الدار وهو ولد قصي البكر، فجعل له الحجابة والسقاية واللواء والرفادة، فلم ينازعه في ذلك عبد مناف طاعة لأبيه قصي، وقد استمر هذا الأمر لعبد الدار حتى نهاية حياة أبيه وكذلك مدة حياة عبد مناف، فلما مات عبد مناف أجمع بنوه: عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل على أن يأخذوا من بني عبد الدار ما بأيديهم من السقاية والحجابة واللواء والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفةٌ مع بني عبد الدار، فأخرج بنو عبد مناف جَفْنةً مملوءة طيباً فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً لمعاهدتهم فسموا المطيبين، وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة على أن لا يتخاذلوا، فسموا الأحلاف، بيد أنهم بعد أن أجمعوا للحرب تداعوا للصلح على أن تكون لبني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار، فرضي كل واحد من الفريقين بذلك، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الإسلام.

وقد كان عبد شمس بن عبد مناف كثير السفر قليل المال ذا ولد، وكان هاشم موسراً كريماً، فاتفق بنو عبد مناف أن تكون السقاية والرفادة لهاشم بن عبد مناف، وقد كان اسم هاشم عمراً، فلما أكثر من هشمه الخبز لقومه أطلقوا عليه اسم هاشم، وفي ذلك يقول ابن الزبعرى أو الزبعرى نفسه:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه   قومٍ بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ورحلة الإيلاف

وقد كان هاشم بن عبد مناف مرَّ بالمدينة (يثرب) فتزوج سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار، فولدت لهاشم ولداً سمته شيبة الحمد، فتركه هاشم عندها، وتوفي هاشم بغزة من أرض فلسطين.

وأحب المطلب أخو هاشم أن يأخذ ابن أخيه بعد أن ترعرع فأتى المدينة واحتمله، ودخل به مكة مردفه معه على بعيره، فقالت قريش ظناً منهم أنه عبد ابتاعه المطلب: عبد المطلب، فغلب هذا الاسم عليه، رغم أن المطلب أعلمهم أنه ابن أخيه هاشم من سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار، وقد نبه عبد المطلب في قومه وصارت له السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يؤدونه ويقيمونه لقومهم من قبله، وقد أحبته قريش حبّاً عظيماً، وحظي عندهم بدرجة من الشرف لم يبلغها أحد من آبائه.

وقد قُيِّض لعبد المطلب أن يجدد حفر بئر زمزم وأن يخرج ما بها من الطمي، فنال بذلك في أعين العرب منزلة عالية، وازداد حب قريش له، وقد رُزق عبد المطلب من الأولاد الذكور: الحارث والزبير وأبا لهب وأبا طالب وعبد الله وحمزة والعباس، كما رُزق من البنات أم حكيم البيضاء وصفية وبرَّة وعاتكة وأميمة وأروى، وأم عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي.

ولما بلغ عبد الله بن عبد المطلب، خرج به أبوه عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، ووهب يومئذٍ سيد بني زهرة شرفاً ونسباً، فخطب عبد المطلب لولده عبد الله آمنة بنت وهب، وهي يومئذٍ أفضل نساء قريش نسباً ومكانةً، فزوَّجه وهب فتزوجها عبد الله، وأم آمنة هي بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. فلما دخل عبد الله بن عبد المطلب على آمنة بنت وهب حملت

بخير البشر محمد ﷺ، فكان رسول الله ﷺ أشرف قومه نسباً من جهة أبيه ومن جهة أمه ﷺ، وعليه ينطبق قول الشاعر:

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم

وقد سافر عبد الله بن عبد المطلب وآمنة حامل برسول الله ﷺ ليمتار لأهله، فمرَّ بالمدينة ونزل عند أخوال أبيه عبد المطلب من بني عدي بن النجار، فمرض بيثرب وتوفي بها وهو ابن خمس وعشرين سنة كما قيل، وجميع ما خلَّف من المال خمسة أجمال وجارية، وهي بركة أم أيمن الحبشية، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أم أيمن رضي الله عنها: وأخرج البخاري في تاريخه ومسلم وابن السكن من طريق الزهري قال: كان من شأن أم أيمن أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ، وكانت من الحبشة، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعدما توفي أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر، ثم أنكحها زيد ابن حارثة. لفظ ابن السكن. اهـ.

وقد ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين الموافق للثامن أو العاشر أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم الإثنين فقال: «**فيه ولدتُ وفيه أُنزل عليَّ**».

وقد روى الترمذي في جامعه والبخاري في التاريخ من طريق محمد بن إسحاق عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، وقال ابن إسحاق في السيرة النبوية: وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل فنحن لدتان».

ثم قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أو أسعد بن زرارة الأنصاري قال: حدثني من شئت من رجال قومي ممن لا أتهم عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلام يَفَعَةٌ ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ

سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك؟ ما لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به. اهـ.

والمعروف أن حسان بن ثابت رضي الله عنه كان عند مقدم رسول الله ﷺ المدينة ابن ستين سنة، ورسول الله ﷺ عندما هاجر كان سنَّه ثلاثاً وخمسين سنة، فيكون سنُّ حسان عند مولد رسول الله ﷺ سبع سنين.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث

محمد رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في الفصل السابق ما روي عن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنه سمع يهوديّاً يصرخ بأعلى صوته على أطمة يخبر اليهود بأن نجم أحمد قد طلع، وأن حسان بن ثابت كان يومها ابن سبع سنين أو ثماني سنين، وهو يصادف مولد رسول الله ﷺ، وقد شهدت ولادة رسول الله ﷺ حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وصفية والدة عبد الله ابن عبد المطلب، ويذكر أنه قد حضر ولادته كذلك الشفاء بنت عوف الزهرية أم عبد الرحمن بن عوف، وهي من بنات أعمام آمنة، كما ذكر أنه حضرها كذلك والدة عثمان بن أبي العاص الثقفي، وقد ألهم الله تبارك وتعالى أمه آمنة بنت وهب وجدَّه عبد المطلب أن يسمياه محمداً، ولم يكن هذا الاسم شائعاً في جزيرة العرب، ومحمد هو الجامع لصفات الخير كما قال أهل اللغة، وهذا الاسم منقول من الصفة، فالمحمد هو الذي يُحمد حمداً بعد حَمْد، قال أبو طالب أو حسان بن ثابت:

وشَقَّ له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد أرضعته أمه ﷺ، وكان لبنها هو أول لبن دخل بطنه ﷺ، ثم أرضعته ثويبة مولاة عمه أبي لهب بلبن ابنها مسروح، كما أرضعت بلبن ابنها مسروح أيضاً أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وحمزة بن عبد المطلب عمَّ رسول الله ﷺ، وقد سارعت ثويبة فبشرت أبا لهب بمولد محمد ﷺ من أخيه عبد الله بن عبد المطلب فأعتقها.

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من طريق عروة عن زينب ابنة أبي سلمة أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ حدثتها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! انكِحْ أختي عزة. فقال رسول الله ﷺ: «**أتحبين**

ذلك؟» فقالت: نعم يا رسول الله! لستُ لك بُمخلِيةٍ، وأحبُّ من شركني في خير أختي، فقال رسول الله ﷺ: «**فإن ذلك لا يحل لي**» قالت: فقلت: يا رسول الله! فإنا نتحدث أنك تريد أن تنْكِح دُرَّة بنت أبي سلمة، قال: «**بنت أم سلمة؟**» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**لو أنها لم تكن ربيبتي في حجْري ما حَلَّتْ لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة، أَرْضَعَتْني وأبا سلمة ثُوَيْبَةُ فلا تَعْرِضَنَّ عليَّ بناتكن ولا أخواتكن**». زاد البخاري: قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبَةٍ قال له: ماذا لقيت؟ فقال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سُقيتُ في هذه بعتاقتي ثويبة. وقوله: لم ألق بعدكم يعني خيراً، كما تفيده رواية عبد الرزاق والإسماعيلي. وقوله: سقيت في هذه، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ووقع في رواية عبد الرزاق المذكورة: وأشار إلى النقرة التي تحت إبهامه.. وفي رواية الإسماعيلي المذكورة: وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع كما جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: قيل للنبي ﷺ: ألا تزَوَّجُ ابنة حمزة؟ قال: «**إنها ابنةُ أخي من الرضاعة**».

وفي لفظ لمسلم من حديث علي رَضِيَ الله عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله ما لَكَ تَنوَّق في قريش وتدعُنا؟ فقال: «**وعندكم شيء؟**» قلتُ: نعم، بنتُ حمزة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها لا تحل لي، إنها ابنةُ أخي من الرضاعة**».

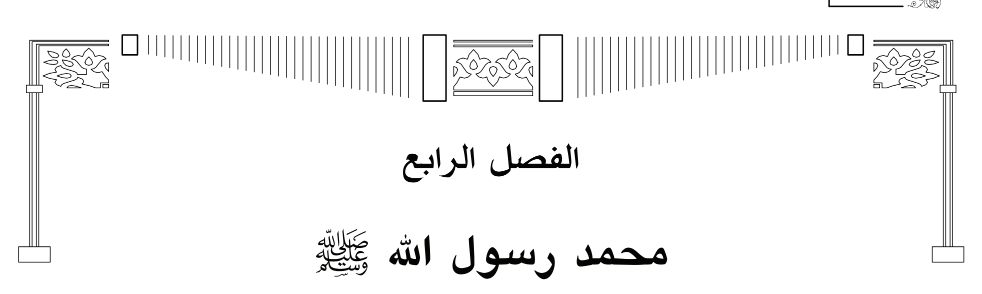
ولما كان من عادة أشراف قريش وغيرهم من العرب من سكان الحاضرة أن يدفعوا أولادهم إلى المراضع من سكان البادية لينشأ الطفل بين الأعراب ليكون أفصح لساناً، وأصفى نفساً، وأجلد جسماً؛ لذلك سلمت آمنة بنت وهب وعبد المطلب بن هاشم محمداً ﷺ إلى حليمة بنت أبي ذؤيب لترضعه، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار السعدية، وقد أرضعته من لبن زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي.

قال ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) وقال ابن إسحاق: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له: أخبرنا عن نفسك، قال: «**نعم أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى عليهما السلام، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، واستُرْضِعْتُ في بني سعد بن بكر، فبينا أنا في بُهْم لنا أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيض معهما طسْتٌ من ذهب مملوء ثلجاً، فأضجعاني فشَقَّا بطني ثم استخرجا قلبي، فشقَّاه فأخرجا منه علقة سوداء فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى إذا أنقياه ردَّاه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زِنْهُ بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزنني بمائة فوزنتهم. ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بألف فوزنتهم، فقال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنهم**». . ثم قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي.

كما روى مسلم في صحيحه من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﵇ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك؛ ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلماء يَسْعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره ﷺ.

وقوله في الحديث ـ يعني ظئره ـ أي مرضعته ﷺ والمراد بها حليمة السعدية، والظاهر أن حادثة شق صدره ﷺ كانت سبباً قويّاً دفع حليمة السعدية أن تُرجع رسول الله ﷺ إلى أمه آمنة وجده عبد المطلب، فلما أرجعت حليمة السعدية رسول الله ﷺ من ديار بني سعد إلى مكة كان مع أمه آمنة بنت وهب وحاضنته أم أيمن بركة الحبشية وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله ورعايته وحفظه وعنايته، يربيه على عينه، ويصطنعه لنفسه، وينبته نباتاً حسناً لما يريده به من كرامته، فلما بلغ نحو خمس سنوات ذهبت به أمه آمنة بنتُ وهب ومعهما أم أيمن لزيارة أخوال جده عبد المطلب من بني عدي بن النجار لتزيره إياهم ﷺ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الرابع

محمد رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ ذهبت به إلى يثرب ومعها أم أيمن لزيارة أخوال جده عبد المطلب من بني عدي بن النجار لتزيره إياهم، وكان قد بلغ نحو خمس سنوات من العمر، وقد مكث رسول الله ﷺ بالمدينة مع أمه آمنة وأم أيمن نحو شهر على ما ذكره علماء السيرة النبوية، وقد كانت هذه الزيارة تعريفاً مبكراً من الله لرسوله ﷺ بالمدينة دار هجرته ﷺ، وفي أثناء عودة هذا الركب الكريم من المدينة إلى مكة مرضت آمنة بنت وهب أمُّ رسول الله ﷺ وتوفيت بالأبواء، وهي قرية بين مكة والمدينة تقع شرقيَّ قرية مستورة الواقعة في شمالي رابغ، وهي على نحو منتصف الطريق بين مكة والمدينة، وتسمى الأبواء الآن (الخُرَيْبَة)، وبينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً، كما أن الأبواء تقع شمالي ودَّان وبينهما خمسة عشر ميلاً.

وقد دُفنت آمنة بالأبواء، ورجع رسول الله ﷺ مع أم أيمن إلى مكة، ومما ينبغي لفت الانتباه إليه أن رسول الله ﷺ عرف مكان قبر أمه في هذه السن المبكرة، ولم يزل هذا القبر معروفاً له حتى مرَّ به بعد نحو خمسين سنة من وفاة أمه، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يُؤذَنْ لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأُذِنَ لي فزوروا القبور فإنها تُذَكِّر الموت**»، وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأْذَنْ لي، واستأذنته أن أزور قبرها فَأَذِنَ لي**».

وبعد وفاة آمنة صار رسول الله ﷺ في كفالة جده عبد المطلب وحضانة أم

أيمن رضي الله عنها في رعاية الله وعنايته، وتربيته وصيانته، وقد كان عبد المطلب بن هاشم شيخ قريش بلا منازع، نَابه الذكر، ذائع الصيت، وقد طال عمره، وقد لقي رسول الله ﷺ تحت كفالته ألوان التكريم، حتى أثر أنه كان يوضع لعبد المطلب الفراش في ظل الكعبة فلا يجرؤ واحد من بنيه على الجلوس عليه حتى يجلس عبد المطلب، وكان محمد ﷺ إذا أراد أن يسبق جده إلى الجلوس على هذا الفراش منعه أعمامه فيقول عبد المطلب: دعوه يجلس، وكان يدنيه منه.

كما أثر أن جماعة من بني مدلج رأوا رسول الله ﷺ جالساً مع جده عبد المطلب على فراشه فأخذوا ينظرون إلى مقام إبراهيم وأثر قدميه في الصخر ثم ينظرون إلى قدم رسول الله ﷺ، وسِنُّهُ يومئذٍ حوالي سبع سنوات، ثم قالوا لعبد المطلب: ما رأينا قدماً شبيهة بالتي في الصخر من قدم هذا الولد.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام، كما أثرت ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام، ولقد كان رسول الله ﷺ ينتسب أحياناً لعبد المطلب تقديراً لمكانته فيقول: أنا ابن عبد المطلب، كما كان كثير من العرب يدْعُون رسول الله ﷺ بابن عبد المطلب. فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء رضي الله عنه أن سمع رسول الله ﷺ يقول يوم حنين: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

كما روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقلهُ، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبيُّ ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ: «**قد أجبتك**» فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فَمُشدد عليك في المسألة فلا تَجدْ عليَّ في نفسك. فقال: «**سَلْ عما بدا لك**» فقال: أسألك بربك وربِّ مَنْ قبلك آلله أرسلك إلى الناس كُلِّهم؟ فقال: «**اللهم نعم**» قال: أنْشُدك بالله آلله أمرك أن نُصَلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «**اللهم نعم**» قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «**اللهم نعم**» قال: أنشدك بالله

آلله أمرك أن نأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقْسِمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «**اللهم نعم**»، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر.

ففي هذا الحديث الصحيح إشعار بنباهة ذكر عبد المطلب، وقد مات عبد المطلب بعد نحو سنتين من موت آمنة أم رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب؛ لأنه شقيق أبيه عبد الله، إذ أمهما هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وقد انتقلت سقاية الحج من عبد المطلب إلى ولده العباس بن عبد المطلب، مع أنه كان من أصغر أبناء عبد المطلب، إذ كان حمزة رضي الله عنه أصغر منه، وقد استمرت السقاية بيد العباس إلى أن جاء الإسلام وأقرَّها في يده ويد بنيه.

وشبَّ رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويصونه من أمور الجاهلية ومعائبها حتى بلغ رسول الله ﷺ. فكان أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خُلُقاً، وأكرمهم مخالطةً، وأحسنهم حواراً، وأعظمهم حِلْماً، وأصدقهم حديثاً، وأعزهم جواراً، وأبعدهم عن سائر مواطن الفُحش والأذى، وأوفاهم أمانة حتى لَقَّبَه قومه بالصادق الأمين ﷺ، ومن مظاهر صيانة الله تعالى لرسوله محمد ﷺ قبل بعثته وتوفيق الله تعالى له أن قريشاً كانوا لا يقفون في حجهم بعرفات وإنما يقفون بالمزدلفة مخالفين لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مدَّعين أنهم أهل الحرم، فلا يخرجون منه ولا يقفون إلا به، وكانوا يقولون: نحن الحُمْسُ، فلا نخرج من الحرم، والحمس هم قريش وما ولدت، وقد اشترك معهم في هذا العمل المخالف لدين إبراهيم عليه السلام خزاعة وبنو كنانة وبنو عامر بن صعصعة ممن كانت له منهم أمٌّ قرشية، وكانوا كذلك يجيزون الطواف بالبيت للعراة، فصان الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ من كل عملهم المخالف لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلم يقف عندما حج قبل الإسلام مع قريش بمزدلفة بل خرج إلى عرفة، كما لم يُر متجرداً من ثيابه قط.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الخامس

محمد رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن من مظاهر صيانة الله تعالى لرسوله محمد ﷺ قبل البعثة النبوية أنه كان يخالف قريشاً فيما خالفت فيه دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، حيث كانت قريش تقف بمزدلفة بدل عرفة، فوقف قبل بعثته بعرفة أيام الجاهلية موافقاً لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، كما كانوا يجيزون الطواف بالبيت للعراة ولم يُرَ رسول الله ﷺ متجرداً من ثيابه قط.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي ﷺ واقفاً بعرفة فقلت: هذا والله من الحُمْسِ فما شأنه ههنا؟ ثم قال البخاري: حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مُسْهِر عن هشام بن عروة، قال عروةُ: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحُمْسُ، والحُمْسُ قريش وما ولدت، وكانت الحُمْسُ يحتسبون على الناس، يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها، وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً، وكان يُفيضُ جماعةُ الناس من عرفاتٍ، ويُفيضُ الحُمْسُ من جمْع، قال: وأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحُمْسُ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩] قال: كانوا يُفيضُون من جَمْع فَدُفعوا إلى عرفات.

كما روى مسلم في صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسَمون الحُمْسُ، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله عز وجل نبيه ﷺ

أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يُفيض منها، فذلك قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩].

وحدثنا أبو كُرَيْب حدثنا أبو أسامة حدثنا هشام عن أبيه قال: كانت العرب تطوف بالبيت عُراةً إلا الحُمْسُ، والحُمْسُ قريش وما ولدت، كانوا يطوفون عُراة إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً، فيعطي الرجالُ الرجالَ والنساءُ النساءَ، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يَبْلُغُون عرفات. قال هشام: فحدثني أبي عن عائشة ﵂ قالت: الحمس هم الذين أنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾. قالت: كان الناس يُفيضون من عرفات، وكان الحمس يُفيضون من المزدلفة، يقولون: لا نُفيض إلا من الحرم، فلما نزلت: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ رجعوا إلى عرفات.

ثم ساق مسلم من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة، فقلت: والله إن هذا لمن الحمس فما شأنه ها هنا؟ وكانت قريش تُعَدُّ من الحمس، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد أن أورد قوله في رواية مسلم: «وكانت قريش تُعدُّ من الحمس»، وهذه الزيادة توهم أنها من أصل الحديث وليس كذلك، بل هو من قول سفيان، بيَّنه الحميدي في مسنده عنه، ولفظه متصلاً بقوله: ما شأنه ههنا: قال سفيان: والأحمس الشديد على دينه، وكانت قريش تسمى الحمس، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يخرجون من الحرم، ووقع عند الإسماعيلي من طريقه بعد قوله: فما له خرج من الحرم؟ قال سفيان: الحمس يعني قريشاً، وكانت تسمى الحمس، وكانت لا تجاوز الحرم ويقولون: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وكان سائر الناس يقفون بعرفة، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة: ١٩٩]. انتهى.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وعُرِف بهاتين الزيادتين معنى حديث جبير وكأن البخاري حذفهما استغناء بالرواية عن عروة، لكن في سياق سفيان فوائد زائدة، وقد

روى بعض ذلك ابن خزيمة وإسحاق بن راهويه في مسنده موصولاً من طريق ابن إسحاق: حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن عمه نافع بن جبير عن أبيه قال: كانت قريش إنما تدفع من المزدلفة ويقولون: نحن الحمس فلا نخرج من الحرم، وقد تركوا الموقف بعرفة، قال: فرأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يُصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم ويدفع إذا دفعوا. اهـ.

وقد روى الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد جيد من طريق عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي المكي عن يزيد بن شيبان قال: أتانا ابن مِرْبَع الأنصاري ونحن بعرفة في مكان يباعده عمرو عن موقف الإمام، فقال: إني رسول رسول الله ﷺ إليكم يقول لكم: «**قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم** عليه السلام».

وبهذا نعرف كيف صان الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ قبل بعثته من كل ما يخالف دين إبراهيم عليه السلام. فكان لا يشترك مع قريش أو غيرهم في شيء من جاهليتهم من عبادة الأصنام والأوثان وما يفترونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك من أمور الجاهلية المفتراة على الله.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرَّك أن تعرف جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠] وكأن ابن عباس رضي الله عنهما يذكر الآية التي تذكر خلاصة جهلهم، فإن الله تبارك وتعالى ذكر قبل هذه الآية من سورة الأنعام من الآية السادسة والثلاثين فوق المائة وما بعدها صُوراً من جاهليتهم حيث يقول:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا

فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٣٦ ـ ١٣٩].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس

حرب الفجار وحلف الفضول

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق صُوراً جلية من صور صيانة الله تعالى لرسوله محمد ﷺ من جميع أعمال أهل الجاهلية المفتراة على الله ﷻ والمخالفة لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولما كان أبو طالب مُقِلّاً فقيراً فأحبَّ رسول الله ﷺ أن يعمل عملاً يعاونه في نفقته ومَنْ يعول فصار يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**».

وفي لفظ للبخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمرِّ الظهران نجني الكباث فقال: «**عليكم بالأسود منه فإنه أيْطبُ**» فقيل: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «**نعم، وهل من نبي إلا رعاها**» وقوله في الحديث: نجني الكباث أي نقطف ثمر الأراك. وقوله: أيطب هو مقلوب أطيب مثل جذب وجبذ ومعناهما واحد.

وقد أخرج مسلم هذا الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ: قال كنا مع النبي ﷺ بِمَرِّ الظهران ونحن نجني الكباث فقال النبي ﷺ: «**عليكم بالأسود منه**» قال: فقلنا: يا رسول الله، كأنك رعيت الغنم؟ قال: «**نعم. وهل من نبي إلا وقد رعاها**» أو نحو هذا من القول.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في باب رعي الغنم على قراريط: قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التَّمرُّنُ برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم

الحِلْم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمْعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدُوِّها من سَبُع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طبائعها وشِدَّة تفرُّقها مع ضُعْفِها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طبائعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل، مما لو كلِّفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخُصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها، وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. اهـ.

وقد حدث في شبابه ﷺ بعد أن بلغ نحو سبع عشرة سنة أن قامت حرب الفجار المعروفة بفجار البرَّاض بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وكان سببها أن النعمان بن المنذر أراد أن يرسل هدية للكعبة من طيب ونحوه في تجارة له، وكانت تُعرف باللطيمة، واللطيمة في الأصل عير تحمل المسك، وكان لا يبعثها إلا في حماية بعض العرب لها طول الطريق، وكان بمجلسه وقتئذٍ عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن المعروف بعروة الرحَّال، كما كان في مجلسه وقتئذٍ البرَّاض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. فقال النعمان لمن حوله من العرب: من يُجيز لطيمتي؟ فقال عروة أنا أجيزها، فقال البرَّاض وكان أحد فُتَّاك العرب: أتجيزها على كنانة؟ قال عروة: نعم وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحال وخرج البرَّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتيمُن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البرَّاض فقتله في الشهر الحرام، فبلغ ذلك لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب الشاعر المشهور فقال:

فأبلغ إن عرضت بني كلاب وعامر والخطوب لها موالي

وأبـلـغ إن عـرضـت بـنـي نـمـيـر وأخـوال الـقـتـيـل بـنـي هـلال
بـأن الـوافـد الـرَّحـال أمـسـى قـتـيـلاً عـنـد تَـيْـمُـن ذي طـلال

وكانت الركبان تسير بشعر لبيد بن ربيعة رضي الله عنه، فعلمت قريش وكنانة بأن البرَّاض قد قتل عروة في الشهر الحرام، فهاجت الحرب بين قريش وكنانة من جهة وبين هوازن من جهة أخرى خارج الحرم، ثم لحقت هوازن قريشاً وكنانة وقاتلوهم داخل الحرم، فسميت الحرب لذلك (حرب الفجار)، وقد صان الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ فلم يقاتل مع أعمامه مع أنه كان قد بلغ سنَّ القتال.

وما أثر من أنه ﷺ كان يُنبل على أعمامه إن صح لم يُثْبِتْ مشاركته ﷺ في هذه الحرب الفاجرة؛ لأن معنى كونه يُنبل على أعمامه أي يَرُدُّ عنهم نبل عدوهم، وهذا ليس بقتال.

وبعد حرب الفجار بأشهر حدث أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل، وأخذ البضاعة ولم يعط الزبيدي ثمنها، فأوفى الزبيدي على جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته:

يـا آل فـهـر لـمـظـلـوم بـضـاعـتُـه ببطـن مـكـة نـائـي الـدار والـنَّـفَـر
ومُـحْـرِمٍ أشـعـثٍ لـم يـقـض عـمـرتـه يـا للرجال وبـيـن الحِجْر والحَجَر

فلما وقفت قريش على جلية الأمر قام الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وقال: ما لهذا مترك، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان أحد مشاهير قريش وكرمائها، فصنع لهم طعاماً وكان ذلك في شهر ذي القعدة الحرام، فتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة وما رسى ثبير وحراء مكانهما، وعلى التأسي في المعاش، فسمت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول. وقال الزبير بن عبد المطلب:

إن الـفـضـول تـعـاقـدوا وتـحـالـفـوا ألَّا يـقـيـم بـبـطـن مـكـة ظـالـم
أمـرٌ عـلـيـه تـعـاقـدوا وتـواثـقـوا فـالـجـار والـمُـعْـتَـرُّ فـيـهـم سـالـم

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ «**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حُمْر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت**». ورجال هذا الأثر ثقات إلا أن طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري الملقب بطلحة الندى لم يدرك رسول الله ﷺ، فقد ولد طلحة هذا سنة خمس وعشرين من الهجرة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع

إرهاصات بين يدي بعثة رسول الله ﷺ ـ منها بناء قريش للكعبة ـ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في الفصل السابق إلى حلف الفضول، وما أثر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وأنه عقد في دار عبد الله بن جدعان أحد مشاهير قريش وكرمائها، وهو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ضرب العرب بجفنته المثل.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: إن ابن جُدعان كان يُطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا. إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية رضي الله عنها، وكانت بلغت من السن نحو أربعين سنة وكانت ثيباً، وأمها هي فاطمة بنتُ زائدة بن الأصم، والأصم اسمه جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عدي من بني عامر بن لؤي. وكانت خديجة ذات مال وجمال وحسب وشرف في قريش، وقد وهبها الله تبارك وتعالى عقلاً راجحاً ظهر أثره عندما نزل الوحي أول مرة بغار حراء على رسول الله ﷺ وقال: «**لقد خشيت على نفسي**»، قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وقد كان كل شريف من أشراف قريش يتمنى أن يتزوجها، لكنَّ ما أعد الله تعالى لها من منازل الشرف والسعادة والكرامة جعلها لرسول الله سيد

البشر محمد ﷺ، وقد أثر أنه لما خطبها رسول الله ﷺ قالت له: إني قد رغبت فيك لحسن خُلُقك وصدق حديثك، وقد كانت خديجة لرسول الله ﷺ نعم العون قبل البعثة النبوية وبعدها.

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة وكانت قد تهدمت بسبب حريق أو سيل، وكانت رضْماً فوق القامة، فأرادت قريش تجديد بنائها ورفعها وتسقيفها، فنقضوا ما كان قد بقي من بنائها حتى ظهرت لهم أُسس قواعد إبراهيم عليه السلام كأسنمة الإبل، وقد اتفقوا أن لا يدخلوا في بنائها إلا كسباً طيباً، وتعاونت قريش على بنائها، وكان الرجال ينقلون الحجارة، وكان رسول الله ﷺ ينقل مع عمه العباس الحجارة لبناء الكعبة من أجياد، وقد رفعوا بنيان الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن، فأرادت كل قبيلة من قبائل قريش أن تستأثر بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، حتى تخاصموا، ثم اتفقوا على أن يُحَكِّموا أول داخل للمسجد من باب بني شيبة، فكان أول داخل رسول الله ﷺ ففرحوا ورضوا به، وقالوا هو الصادق الأمين، فطلب منهم رسول الله ﷺ ثوباً، فلما أُتِيَ أخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كلُّ قبيلة بطرف من الثوب، وأمرهم أن يرفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده وبنى عليه.

قال أبو داود الطيالسي: حدثنا حماد بن سلمة وقيس وسلَّام كلهم عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي بن أبي طالب قال: لما انهدم البيت بعد جُرْهُم بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا: من يضعه؟ فاتفقوا أن يضعه أوَّل من يدخل من هذا الباب، فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شيبة، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت يعني أبا زيد حدثنا هلال يعني ابن خباب عن مجاهد عن مولاه وهو السائب بن عبد الله، أنه حدثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية، قال: وكان لي حجر أنا نحتُّه أعبده من دون الله،

قال: وكنت أجيء باللبن الخاثر الذي آنفه على نفسي فأصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه ثم يشغر فيبول عليه، قال: فبنينا حتى بلغنا موضع الحَجَر، ولا يرى الحجر أحد، فإذا هو وسط أحجارنا مثل رأس الرجل يكاد يترايا منه وجه الرجل، فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال آخرون: نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكماً، فقالوا: أوَّلُ رجل يطلع من الفج، فجاء رسول الله ﷺ، فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فرفعوا نواحيه فوضعه هو ﷺ. اهـ.

ثم تابعت قريش البنيان حتى رفعوا الكعبة نحو عشرين ذراعاً في السماء وسقفوها، وقصرت بهم النفقة فتركوا نحو سبعة أذرع أدخلوها في الحِجْر وجعلوا لها باباً واحداً شرقياً ورفعوه حتى لا يدخل إليها كلٌّ أحد، فيدخلون من شاؤوا ويمنعون من شاؤوا.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما جوانب من قصة بناء قريش للكعبة في الجاهلية، فقد أخرج البخاري في صحيحه في باب بنيان الكعبة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة؛ فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: «**إزاري إزاري**» فشَدَّ عليه إزاره.

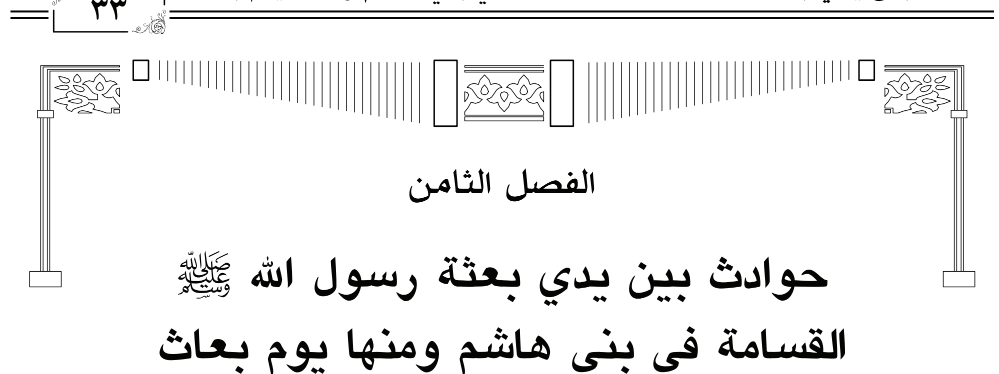
وروى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال لها: «**ألم تري أن قومكم لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم**»، فقلت: يا رسول الله! ألا تَرُدُّها على قواعد إبراهيم؟ قال: «**لولا حِدْثانُ قومك بالكفر لفعلت**»، فقال عبد الله رضي الله عنه: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أُرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر إلا أن البيت لم يُتَمَّمْ على قواعد إبراهيم.

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن الجَدْر أمِن البيت هو؟ قال: «**نعم**» قلت: فما لهم لم

يُدْخِلُوه في البيت؟ قال: «**إن قومك قَصَّرَتْ بهم النفقةُ**»، قلت: فما شأن بابه مُرتفِعاً؟ قال: «**فعل ذلك قومك ليُدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أن قومك حديثٌ عهدُهم بالجاهلية فأخاف أن تُنكر قلوبهم أن أدْخِل الجدر في البيت، وأن أُلْصِق بابه بالأرض**». كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم بنيته على أساس إبراهيم** عليه السلام، **فإن قريشاً اسْتَقْصرتْ بناءَهُ، وجعلتُ له خَلْفاً**» وقوله: «**خَلْفاً**» يعني باباً كما فسره به هشام بن عروة أحد رواته.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن

حوادث بين يدي بعثة رسول الله ﷺ القسامة في بني هاشم ومنها يوم بعاث

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق بعض ما أخرجه البخاري ومسلم عن بنيان الكعبة في الجاهلية قبل بعثة رسول الله ﷺ.

وقد أخرج البخاري في صحيحه من طريق جرير بن حازم عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهُدِم، فَأَدْخَلْتُ فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم**»، فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه، قال يزيد: وشهِدْتُ ابن الزبير حين هدمَهُ وبناهُ، وأَدْخَلَ فيه من الحجر، وقد رأيت أساس إبراهيم حجارةً كأسنمة الإبل، قال جرير: فقلت له أين موضعه؟ قال: أُرِيكَهُ الآن فدخلتُ معه الحجر فأشار إلى مكان فقال: ها هنا، قال جرير: فحزرْتُ من الحِجْر ستة أذرع أو نحوها.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية (أو قال بكفر) لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلتُ بابها بالأرض، ولأدخلت فيها من الحِجْر**»، وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لولا أن قومكِ حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدتُ فيها ستة أذرع من الحِجْر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة**» وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن قومكِ استقْصَروا**

من بنيان البيت، ولولا حداثةُ عهدهم بالشرك أعدتُ ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فَهَلُمِّي لأريكِ ما تركوا منه» «فأراها قريباً من سبعة أذرع».

وكانت مشاركة رسول الله ﷺ لقريش في بنائها للكعبة آية من آيات الله ﷻ لرسوله ﷺ أن يشاركهم فيما هو من الخير والبر وما يوافق دين الأنبياء والمرسلين، ولذلك صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء مع قريش لما كانت تصومه في الجاهلية، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي ﷺ يصومه... (الحديث).

وقد حدثت حوادث قبل بعثة رسول الله ﷺ كانت تقدمةً قدمها الله ﷻ بين يدي بعثة رسول الله ﷺ، منها يوم بُعَاث كما روى ذلك البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن ذلك قصة القسامة في الجاهلية، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أول قسامة كانت في الجاهلية لفينا بني هاشم، كان رجل من بني هاشم استأجره رجل من قريش من فخذٍ أخرى فانطلق معه في إبله، فمر رجل به من بني هاشم قد انقطعت عُروةُ جُوالِقِه، فقال: أغثني بعقال أَشُدُّ به عروة جُوالِقِي، لا تَنْفرُ الإبل، فأعطاه عقالاً، فشدَّ به عروة جُوالِقِهِ، فلما نزلوا عُقِلت الإبلُ إلا بعيراً واحداً فقال الذي استأجره: ما شأن هذا البعير لم يُعْقَلْ من بين الإبل؟ قال: ليس له عِقال، قال: فأين عقاله؟ قال: فحذفه بعصاً كان فيها أجله، فمرَّ به رجل من أهل اليمن، فقال: أتشهد الموسم؟ قال: ما أشْهَدُ، وربما شهِدْتُهُ، قال: هل أنت مُبْلغٌ عني رسالةً مرةً من الدهر؟ قال: نعم. قال: فكنتَ إذا أنت شهدت الموسم فنادِ: يا آل قريش؟ فإذا أجابوك فناد يا آل بني هاشم، فإن أجابوك فسل عن أبي طالب، فأخبره أن فلاناً قتلني في عقال، ومات المُسْتَأجَرُ، فلما قدم الذي استأجره أتاه أبو طالب فقال: ما فعل صاحبُنا؟ قال: مرض فأحسنتُ القيام عليه، فوليتُ دفنه، قال: قد كان أهل ذاك منك. فمَكُثَ حيناً، ثم إن الرجل الذي أوصى إليه أن يُبْلِغَ عنه وافى الموسم، فقال: يا آل قريش، قالوا: هذه قريش، قال: يا آل بني هاشم، قالوا: هذه بنو هاشم.

قال: أين أبو طالب؟ قالوا: هذا أبو طالب، قال: أمرني فلان أن أُبْلِغَك رسالةً أن فلاناً قتله في عقال، فأتاه أبو طالب فقال له: اختر منا إحدى ثلاث: إن شئت أن تؤدي مائة من الإبل فإنك قتلت صاحبنا، وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتله، فإن أبيت قتلناك به، فأتى قومَهُ فقالوا: نحلف، فأتته امرأة من بني هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له، فقالت: يا أبا طالب أحب أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين، ولا تصبر يمينه حيث تُصْبَرُ الأيمان، ففعل، فأتاه رجل منهم فقال: يا أبا طالب: أردت خمسين رجلاً أن يحلفوا مكان مائة من الإبل، يصيب كلَّ رجل بعيران. هذان بعيران فاقبلهما عني ولا تصبر يميني حيث تُصبر الأيمان فقبلهما، وجاء ثمانيةٌ وأربعون فحلفوا، قال ابن عباس فوالذي نفسي بيده ما حال الحول وفي الثمانية والأربعين عين تَطْرِفُ.

وقُبيل بعثة رسول الله ﷺ بدأت الرُّؤى برسول الله ﷺ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، كما كان رسول الله ﷺ يمر بحجر فيُسلمُ الحجرُ على رسول الله ﷺ، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلمُ عليَّ قبل أن أُبْعَثَ، إني لأعرفه الآن**».

ثم حُبِّبَ إلى رسول الله ﷺ الخَلاءُ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أوَّلُ ما بُدِئ لرسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مِثل فَلَق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغار حِراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزودُ لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع

بدء نزول الوحي على رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

قد أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن رسول الله ﷺ قبيل أن يُوحَى إليه حُبِّبَ إليه الخلاء، وأنه كان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى خديجة ليتزود لمثلها.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّثُ فيه ـ وهو التَّعَبُّدُ ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوَّدُ لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه المَلَكُ، فقال: اقرأ: قال: «**ما أنا بقارئ**»، قال: «**فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني**» **فقال: اقرأ قلتُ:** «**ما أنا بقارئ**». «**فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني**» **فقال: اقرأ، فقلتُ:** «**ما أنا بقارئ**»، «**فأخذني فغطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١ ـ ٣]»، فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤادُهُ فدخل على خديجة بنتِ خويلد رضي الله عنها فقال: «**زَمِّلُوني زمِّلوني**» فَزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيتُ على نفسي**»، فقالت خديجة: كلَّا والله ما يُخْزِيكَ الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحملُ الكَلَّ وتُكْسبُ المعدوم، وتَقْري الضيفَ، وتُعينُ على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أَتَتْ به ورقَةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى ابن عم خديجة، وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية،

وكان يكتب الكتاب العِبْرَانيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعِبْرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ، فقالت له خديجةُ: يا ابن عمٍّ، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقةُ: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقةُ: هذا الناموسُ الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكونُ حيّاً إذ يُخْرجُك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَمُخْرجيَّ هم؟**» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي، وإن يُدْركني يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نصراً مُؤزَّراً. ثم لم ينشب ورقةُ أن تُوُفِّي وفتر الوحي، قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يُحدِّث عن فترة الوحي فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري، فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراءٍ جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه فَرَجعْتُ فقلت: «**زملوني**» فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥] فَحمِي الوحيُ وتتابع» تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح، وتابعه هلالُ بن ردَّادٍ عن الزهري.

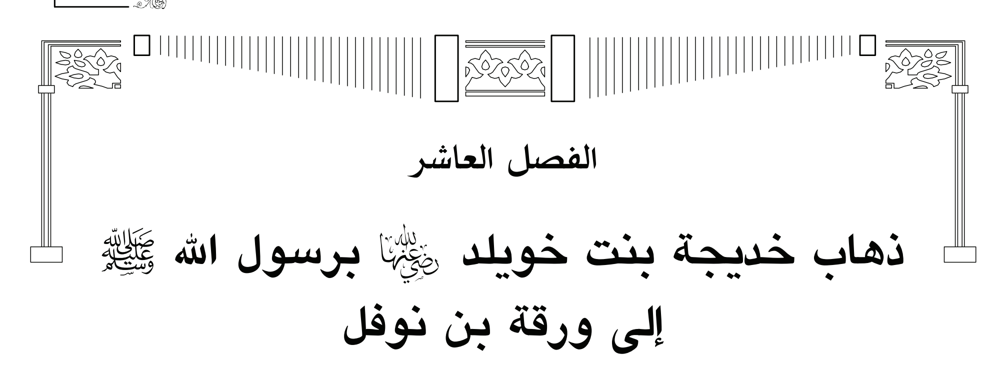
وفي لفظ للبخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: «**فأخذني فغطَّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]» فرجع بها رسول الله ﷺ تَرْجُفُ بوادِرهُ، حتى دخل على خديجة فقال: «**زمِّلوني زمِّلوني**»، فزَمَّلُوهُ حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: أي خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر: «**لقد خشِيتُ على نفسي**». قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصْدُقُ الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكْسِبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق. وقولها في الحديث: كان يخلو بغار حراء، أي ينفرد عن الخلق ويبتعد عن الناس ويجاور بغار حراء. والغار: هو الكهف، وحراء جبل معروف بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها عن يسار الذاهب إلى منى، له قلة مشرفة على الكعبة منحنية، والغار في تلك الحنية، قال رؤبة بن الحجاج:

فلا ورب الآمنات القطّن ورب ركن من حراءٍ منحني

وهو من جبال الحرم، وقوله في الحديث: «**ما أنا بقارئ**»، أي ما تعلمت القراءة؛ لأني أمِّي لم أقرأ ولم أكتب، وقوله: «**فغطَّني حتى بلغ مني الجهد**» أي ضغطني وعصرني وضَمَّني الملَكُ يعني جبريل عليه السلام حتى بلغ مني الغطُّ غاية الجهد والوُسْع، وهذا على رواية فتح الدال من الجهد، وأما على رواية ضم الدال فمعناه بلغ مني الجَهْدُ مَبْلَغه، والجهد بفتح الجيم وضمها هو الغاية في المشقة وأقصى الطاقة. وقوله: «**ثم أرسلني**» أي أطلقني، والظاهر والعلم عند الله أنه إنما فعل به ذلك ثلاثاً قبل أن يُقرئه القرآن ليوجه كل انتباهه إليه، وليشير إلى أنه سيتحمل رسالة عظيمة وأمراً تكاد تنهد منه الجبال، فلو أُنْزل القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وقوله في افتتاحية ما أُنزل على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] «الآيات» في جواب قول رسول الله ﷺ ثلاثاً: «**ما أنا بقارئ**»، أي أنت لا تقرؤه بقوتك ولا بسابق معرفتك، وإنما تقرؤه بحول ربك وقُوَّته وإعانته، فهو يُعَلِّمك كما خلقك من مادة لا صورة للإنسان فيها، فصورها الله ونفخ فيها من روحه، وعلَّم أمتك الكتابة بالقلم حتى صارت معلمة الأمم بعد أن كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، وقولها: فرجع بها أي رجع رسول الله ﷺ من غار حراء إلى خديجة بالآيات أو بالقصة، وقولها: يَرْجُفُ فؤادُه، أي يرتعد قلبه ويضطرب، وفي لفظ «تَرْجُفُ بوادره» أي ترعد وتضطرب بوادره، والبوادر جمع بادرة، وهي اللحمةُ بين العنق والمنكب، والمقصود أنه كان يرتعش من عِظَم ما نزل به، وأَبرزُ ما يَحُسُّ به المرتعش يكون في الفؤاد والبوادر، وقوله «**زمِّلوني زمِّلوني**».. أي غطُّوني ولُفُّوني ودَثِّروني؛ لأن تغطية المرتعش تزيل عنه الرعشة، وقوله: «فَزمَّلُوه حتى ذهب عنه الروع» أي فغطوه حتى زال عنه الفزع.

وقول خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: «**كلا والله ما يخزيك الله أبداً**» نفي مؤكد منها رضي الله عنها أن يُصيب رسول الله ﷺ مكروه، وقد استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائيٍّ عرفته من رسول الله ﷺ، وقد عاشرته قبل ذلك خمس عشرة سنة، وصفته بأصول مكارم الأخلاق التي تقي مصارع السوء حيث قالت له: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل العاشر

ذهاب خديجة بنت خويلد ﵂ برسول الله ﷺ إلى ورقة بن نوفل

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق موقف الزوجة الصالحة، وزيرة الصدق، مُؤيِّدةِ الحق خديجة بنت خويلد من قول رسول الله ﷺ: «**لقد خشيت على نفسي**»، فأقسمت له بالله أنه لن يصيبه خِزْيٌ أبداً، واستدلت على ما أقسمت عليه بمكارم أخلاقه وحسن سلوكه الذي عرفته منه بعد عِشْرَةِ خمس عشرة سنة ﷺ بأنه يصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويكسب المعدوم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ويَصْدُق الحديث، وصدَّرت ذلك كله بقولها له: أبشر، وهو برهانٌ جَليٌّ على أن الزوجة الصالحة قد تكون لزوجها القائد خيراً من جيش، وذلك من تأييد الله تعالى لرسوله محمد ﷺ بما قدَّمه بين يدي رسالته من زواجه من خديجة ﵂.

فإن من استقر في نفسه أن من كان على أخلاق محمد ﷺ يدفع الله عنه كل مصارع السُّوء هو لا شك ذو عقل كامل. وبصرٍ ثاقب، ومعرفةٍ بأحسن درجات السلوك، وقد منح الله تعالى خديجة هذه المزايا لتأييد رسوله وحبيبه محمد ﷺ، وقولها: إنك لتصل الرحم.. إلخ. أي إنك تحسن إلى الأقارب والأجانب بالنفس وبالمال، فقولها: إنك لتصل الرحم أي تَبَرُّ بأقاربك، وقولها: وتحمل الكَلَّ، الكَلُّ بفتح الكاف هو العاجزُ الضعيفُ المحتاج إلى من يحمل عبْئِه على حدّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النّحل: ٧٦]. فمعنى كون رسول الله ﷺ يحمل الكَلَّ أي يساعد الضعيف العاجز المحتاج ويتحمل عِبْئهُ ويمد له يد العون، ومعنى كونه: يُكسب المعدوم أي يعطي الناس ما لا يجدونه عند غيره، أو: إنه

إذا رغب غيرك أن يستفيد مالاً موجوداً رغبت أنت أن تستفيد معاونة عاجز عن الكسب، أو مدَّ يد العون للمُعْدِم الفقير الذي صار بحال كأنه ميت معدوم.

ومعنى قولها: «وتقري الضيف» أي تكرم ضيفك ومن ينزل بساحتك، وقولها: «وتصدق الحديث» أي لا تنطق إلا بالحق، ولا تتحدث إلا بالصدق، ولا تتكلم إلا بالصواب، وقولها: وتعين على نوائب الحق. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في تفسيرها: هي كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم. اهـ.

وقولها: فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، أي فمضت به خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وإنما أخذت خديجة رسول الله ﷺ وذهبت به إلى ورقة بن نوفل لأنه كان قد أبغض دين الوثنيين من أهل مكة، وذهب مع زيد بن عمرو بن نفيل إلى الشام وغيرها للبحث عن الدين الحق، ولقد لقي ورقة بعض الرهبان ممن كان قد بقي على دين عيسى عليه السلام فدخل في النصرانية وصار ذا معرفة بدين أهل الكتاب؛ لذلك رغبت خديجة أن يخبر رسول الله ﷺ ورقة بما جاءه بغار حراء وما سمعه هناك، وقولها: وكان يكتب الكتاب العِبْراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وفي رواية للبخاري ومسلم: «وكان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: والجميع صحيح؛ لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية، فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي لتمكنه من الكتابين واللسانين. اهـ.

وقولها: فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. لا شك أن ورقة هو ابن عم خديجة، فهي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن نوفل ابن أسد بن عبد العزى، ورسول الله ﷺ في مرتبة ابن أخيه؛ لأن عبد الله والد رسول الله ﷺ وورقة بن نوفل يستويان في عدد الآباء إلى قصي بن كلاب، فهو بمنزلة العم لرسول الله ﷺ؛ ولذلك قالت خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن

أخيك، وفيه إشارة إلى دقة تعبير خديجة رضي الله عنها مع ما فيه من توقير كبير السن من أجل سنه.

وقولها: فقال له ورقةُ: هذا الناموسِ الذي نزَّل الله على موسى الإشارة في قول ورقة: هذا الناموس للملَكِ الذي ذكره النبي ﷺ في خبره، والناموس في الأصل هو صاحب السر، والمراد بالناموس هنا هو جبريل عليه السلام، وإنما قال ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ولم يقل على عيسى لأن دين موسى عليه السلام كالأصل لدين عيسى عليه السلام، إذ كان عيسى عليه السلام يحكم بالكثير من أحكام التوراة، وعلى نفس هذا النمط حكى الله عز وجل عن الجن الذين سارعوا إلى الإيمان برسول الله محمد ﷺ عندما سمعوه يقرأ القرآن حيث يقول: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠] ولم يقولوا من بعد عيسى لما ذكرتُ آنفاً.

وقول ورقة: يا ليتني فيها جَذعاً بنصب جذع، على تقدير كان، أي يا ليتني أكون فيها جذعاً، والجَذَعُ بفتح الجيم والذال المعجمة في الأصل هو الصغير من البهائم، والشاب الحدَثُ، والمراد: يا ليتني أكون عند ظهور دعوتك شاباً قوياً لأنصر دينك، وأؤيدَكَ، وقوله: ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك أمنية أخرى لورقة، وكأنه يتمنى وقد فاته الشباب الذي يتمكن فيه من نصرة رسول الله ﷺ وتأييد دينه، ألا يُحْرم من وجوده على قيد الحياة عندما تُخْرج قريشٌ رسول الله ﷺ من مكة، وفي هذا دلالة واضحة على أن ورقة كان من أهل العلم بالكتب السماوية وبأديان الأنبياء، وأنه كان يعلم أن رسول الله ﷺ يهاجر من مكة، إذ كان في وصفه ﷺ في الكتب السابقة أنه يهاجر إلى أرض سبخة ذات نخيل بين لابتين، وقول رسول الله ﷺ: «**أَوَمُخْرجيَّ هم**»، هو استبعاد من رسول الله ﷺ أن يخرجوه؛ لأنه يعرف أنهم يحبونه ويسمونه الصادق الأمين، وعامة أهل مكة يعرفون من رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق التي وصفته بها خديجة، وهذه داعية لمحافظتهم عليه لا لإخراجه، وقد استدل ابن الدغنة بمثل تلك الأوصاف،

وكانت كذلك في أبي بكر رضي الله عنه. وقد أراد أبو بكر الهجرة من مكة نحو الحبشة فقال له ابن الدغنة سيد القارة في بَرْك الغِماد: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. كما روى ذلك البخاري في صحيحه.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الحادي عشر

وصف قريش لرسول الله ﷺ بالصادق الأمين قبل البعثة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق أن ورقة بن نوفل لما أخبر رسول الله ﷺ بأن قومه سيُخْرِجُونَه من مكة استغرب رسول الله ﷺ ذلك لما علمه من محبتهم له، ووَصْفِهم له بالصادق الأمين، ويعتبرونه المثل الأعلى في مكارم الأخلاق، غير أن ورقة بن نوفل بيَّن لرسول الله ﷺ أن هذه هي عادة الأمم مع أنبيائها، فعامَّة الأنبياء اضْطُرُّوا للهجرة والخروج من موطنهم الأصلي، ويَنْدُرُ أن مات نبي في البلد الذي وُلِدَ به، ولذلك قال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي، ثم أعْلن ورقةُ لرسول الله ﷺ أنه يؤيده، وأخبره أنه إن يعش إلى الوقت الذي تعلن فيه قريش العداوة لرسول الله ﷺ فإنه يَنْصُرُهُ، ويَشُدُّ أَزْرَه، ولذلك قال لرسول الله ﷺ: وإن يدركني يومُك أَنْصُرْكَ نصراً مُؤزَّراً قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط: ونصْرٌ مُؤزَّرٌ بالغ شديد. اهـ.

وقولها: ثم لم ينشب ورقةُ أن تُوفِّي، أي ثم لم يلبث ورقة أن مات قبل أن يدرك ذلك اليوم الذي ينصر فيه رسول الله ﷺ نصراً مؤزراً.

وقولها في الحديث: «وفتر الوحي» أي تأخر نزوله ومجيئهُ لرسول الله ﷺ بعد مجيئه له في غار حراء فترة من الوقت، والحكمة الظاهرة في هذا التأخير هذه الفترة ليحصل لرسول الله ﷺ التَّشوُّقُ إليه والاستعدادُ له، وفي لفظ للبخاري أورده في كتاب التعبير من صحيحه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وفتر الوحيُ فترةً حتى حَزِن النبيُّ ﷺ فيما بلغنا حُزْناً، غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذِرْوَةِ جبل لكي يُلْقِي منه نفسه تَبَدَّى له جبريل فقال: يا

محمد! إنك رسول الله حقاً، فيسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غَدَا لمثْل ذلك، فإذا أوفى بِذِرْوَةِ جبل تَبَدَّى له جبريل فقال له مِثْلَ ذلك.

وفي لفظ لمسلم من طريق ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله ﷺ كان يُحدِّث قال: قال رسول الله ﷺ وهو يُحدِّثُ عن فترة الوحي قال في حديثه: «**فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراءٍ جالساً على كرسيٍّ بين السماء والأرض**» قال رسول الله ﷺ: «**فجُئِثْتُ منه فرقاً، فرجعت فقلت: زَمِّلوني. زَمِّلوني**»، فدَثَّرُوني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥] (وهي الأوثان) قال: ثم تتابع الوحي. وقوله فجُئِثْتُ منه فَرقاً. أي فزعت منه خوفاً ورُعباً، وقوله: ثم تتابع الوحي أي جاء كثيراً وتَوالى نزولُ القرآن. وقوله في لفظ البخاري: «حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حُزْناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال» هو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، والله يحمي نبيه من التفكير في قتل نفسه، أما كون رسول الله ﷺ يشتد حزنه عند كفر قومه به فيكاد يَبْخَعُ نفسه، فليس من باب محاولة قتل الإنسان نَفْسهُ، وإنما هو كناية عن شدة حرصه ﷺ على هداية قومه ودخولهم الجنة حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٣].

هذا وقد سألني مرَّةً بعض أهل الأهواء ممن في قلوبهم مرضٌ على أصحاب رسول الله ﷺ وممن يبغضون السُّنَّة وأهلها ولا سيما الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ وأبا هريرة وأعلام أهل الحديث كالبخاري ومسلم فقال لي في سؤاله: إن قوله في الحديث: «**لقد خشيت على نفسي**» يثبت أن رسول الله ﷺ لم يعلم بالوحي عندما جاءه مع أنه أفضل من عيسى ﵇، وقال عيسى وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٣٠]، فكيف يعرف

عيسى وهو في المهد أنه نبي ولم يعرف محمد ﷺ أنه نبي حتى يقول: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقلت له: هل تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قلت: لو كنت قرأته لوجدت فيه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، أما قول عيسى وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، فهو معجزة خاصة لسرعة تبرئة ساحة الصديقة مريم البتول، ولا مزية في ذلك لعيسى على محمد ﷺ، على أن قول رسول الله ﷺ: «**لقد خشيت على نفسي**» إنما هو إخبار عن شدة ما لقيه رسول الله ﷺ من الملَك، وقد كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي حتى بعد أن اعتاده يتفصد عرقاً كما جاء في لفظ للبخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً، كما أنه لا يفهم من قوله: «**لقد خشيت على نفسي**» أنه لم يعرف أنه ملك، وليس في ذهاب خديجة مع رسول الله ﷺ إلى ورقة ما يفيد أن رسول الله ﷺ لم يعلم أن الذي جاءه بحراءٍ ملَكٌ، وإنما أرادت خديجة رضي الله عنها أن تتثبت من ورقة بسبب ما تعرفه عنه من معرفة علم أهل الكتاب، ليكون ذلك تأييداً لرسول الله ﷺ، والظاهر أن هذه الشبهة التي يثيرها هؤلاء الحاقدون على أصحاب الرسول ﷺ ورضي الله عنهم خصوصاً وعلى أهل السُّنَّة عموماً ليست حديثة، بل قد أُثيرت في القرون المتقدمة من جهة أهل الأهواء، فقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث: قال الإسماعيلي: موَّه بعض الطاعنين على المحدثين فقال: كيف يجوز للنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ويشكو لخديجة ما يخشاه؟ وحتى يُوفي بذروة جبل ليُلْقي منها نفسه على ما جاء في رواية معمر؟ قال: ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه فكيف يُنْكَرُ على من ارتاب فيما جاء به مع عدم معاينته؟ ثم ساق الحافظ جواب الإسماعيلي عن هذه الشبهة الداحضة، وقد ذكرت لك آنفاً أن قصة محاولة رَمْي نفسه من ذروة جبل هي من بلاغات الزهري وليس موصولاً فلا يُعَوَّلُ عليه، بل يُنَزَّهُ رسول الله ﷺ من مثله.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثاني عشر

بدء الدعوة للإسلام سراً

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٥]، أخذ رسول الله ﷺ يُنْذِرُ من حوله، ويدعو للإسلام سرّاً، وكانت الحكمة الظاهرة في بدء الدعوة سرّاً أن العرب كانوا أشد الناس تمسكاً بالقديم، وبتقليد الآباء على ما هم عليه مهما كان، وكان أول المستجيبين لله ورسوله والدخول في الإسلام هي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، كما سارع إلى الدخول في الإسلام أبو بكر الصديق، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قبل النبوة، وكان مُحَبَّباً سهلاً، وهو أبو بكر ـ واسمه عبد الله أو عتيق بن أبي قحافة ـ واسمه عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

كما سارع إلى الاستجابة لله ورسوله والدخول في دين الإسلام مولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بن شُرحبيل أو شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبْرة الكلبي القضاعي الحميري القحطاني، كما سارع إلى الدخول في الإسلام عليٌّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وعمره يومئذٍ نحو ثماني سنوات، قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس! إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد

أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانْطِلقْ بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله: آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فَنَكِلُهُما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتَّبعهُ عليٌّ رضي الله عنه وآمن به وصدقه.

كما سارع إلى الإيمان بالله ورسوله والدخول في الإسلام أم أيمن بركة الحبشية حاضنة رسول الله ﷺ، ولما كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً محبوباً من قريش، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو من يثق فيهم إلى الإسلام سرّاً، فسارع إلى الاستجابة لله ورسوله والدخول في الإسلام سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب، ويقال: وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثُلُثُ الإسلام، كما استجاب لله ورسوله وسارع إلى الدخول في الإسلام بلال بن رباح الحبشي مولى بني جُمح، وكان مُولَّداً من مُوَلَّديهم، كما استجاب لله ورسوله وسارع إلى الدخول في الإسلام عمار بن ياسر وأبوه ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي ثم المذْحجي حليفُ بني مخزوم، وأم عمار بن ياسر وهي سمية بنت خُبَّاط بضم الخاء وتشديد الباء، ويقال بنت خياط بالياء، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانت سابعة سبعة في الإسلام.

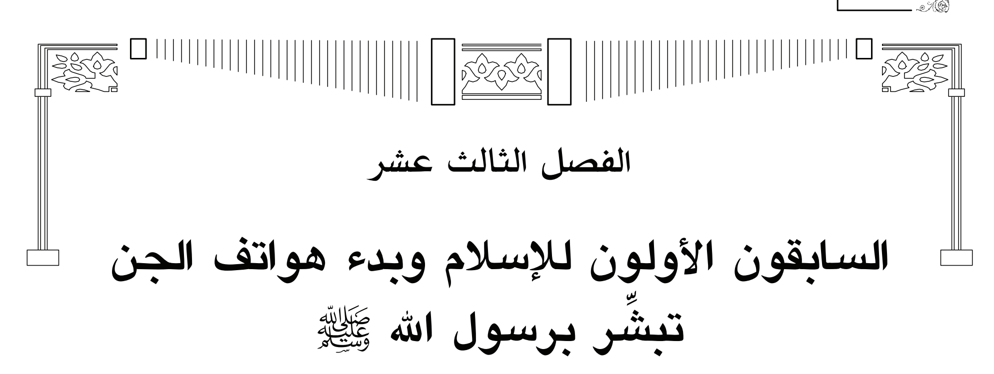
فقد روى البخاري في صحيحه من طريق همام قال: سمعت عماراً يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أَعْبُد وامرأتان وأبو بكر، كما سارع إلى

الدخول في الإسلام والاستجابة لله ورسوله المقداد بن عمرو الكندي، ويقال له المقداد بن الأسود؛ لأنه لما قدم مكة حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الأسود بن عبد يغوث، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أو ابن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وكان اسمه عبد عمرو أو عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، كما استجاب لله ورسوله وسارع إلى الدخول في الإسلام عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، كما استجاب لله ورسوله وسارع إلى الدخول في الإسلام طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.
كما استجاب لله ورسوله وسارع إلى الدخول في الإسلام عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنهما وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف. ويقال إنه من الأزد، فكان هؤلاء أسبق الناس إلى الإيمان بالله ورسوله، وكانوا يكتمون إسلامهم، ويستخفون بعبادتهم، كما استجاب لله ورسوله ودخل في دين الإسلام أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، والأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وعثمان وقدامة وعبد الله أبناء مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وعبيدةُ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وامرأته فاطمةُ بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وهي أخت عمر بن الخطاب، كما أسلم خباب بن الأرت مولى أم أنمار، وكان ينتسب إلى بني زهرة؛ لأن أم أنمار

الخزاعية كانت متزوجة في آل سباع حلفاء بني زهرة. وأسلم كذلك صهيب بن سنان الرومي، وقد ذكر أن نسبه يرجع إلى النمر بن قاسط، وقيل له الرومي؛ لأن الروم سبَوه صغيراً ثم صار إلى عبد الله بن جدعان، بمكة فأعتقه، ويقال: إنه هرب من الروم فقدم مكة وحالف عبد الله بن جدعان، كما أسلمت واستجابت لله ورسوله أسماء بنتُ أبي بكر الصديق، وبعد أن أسلم الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وكان المسلمون في شدة الخوف على أنفسهم من المشركين وكانوا في أمس الحاجة إلى الاجتماع برسول الله ﷺ ليفقههم في الدين وليعلمهم القرآن فكانوا يجتمعون به في دار الأرقم بن أبي الأرقم، يتسللون إليه في جنح الظلام، غير أن أخبار رسول الله ﷺ والمسلمين بدأت تتسرب إلى المشركين من قريش. وبدؤوا يتعقبون المسلمين، لإلحاق أشد الأذى بالمستضعفين من العبيد والموالي الذين شرح الله صدورهم للإسلام.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث عشر

السابقون الأولون للإسلام وبدء هواتف الجن تبشِّر برسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن أخبار المسلمين بدأت تتسرب إلى مجالس المشركين، وبدأ الكفار يتعقبون المسلمين لإلحاق أشد الأذى بالمستضعفين من العبيد والموالي الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وقد استمرت الدعوة إلى الإسلام سرّاً ثلاث سنوات تقريباً دخل فيها عدد من أعيان قريش وغيرهم في الإسلام، فدخل فيه عمير بن أبي وقاص أخو سعد ابن أبي وقاص، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن مُحَلَّم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة، وسُليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدِّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وأخوه حاطب، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وامرأته أسماء بنت سلامة التميمية، وخُنيسُ بن حذافة بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وعامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن ربيعة بن نزار، وبعض أهل العلم ينسبه إلى مذحج، وهو حليف الخطاب بن نفيل بن عبد العزى. كما أسلمت امرأته ليلى بنت أبي حثمة. وعبد الله بن جحش بن رباب بن يَعْمَرَ من بني أسد بن خزيمة حليف بني عبد شمس، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عُمَيْس بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم، وحاطب بن الحارث بن يعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي، وامرأته فاطمة بنت المجلل بن

عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي، وأخوه حطاب بن الحارث، وامرأة حطاب فكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة بن سعيد بن سهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، ونعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي المعروفُ بالنحام.

ودخل في الإسلام كذلك خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وامرأته هُمينة أو أمَيْنَةُ بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سُبَيع من خزاعة، وهي عمة طلحة بن عبد الله بن خلف المعروف بطلحة الطلحات، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف من بني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بني عدي بن كعب، وبنو البُكير خالد وعامر وعاقل وإياس أبناء البكير بن عبد ياليل بن ناشب من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب، وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب من بني تيم بن سعد بن هُذَيل الهذلي حليف بني زُهرة. قال ابن عبد البر في الاستيعاب: كان إسلامه قديماً في أول الإسلام في حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل إسلام عمر بزمان، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمرَّ به رسول الله ﷺ وأخذ شاة حائلاً من تلك الغنم فدرت عليه لبناً غزيراً. ومن إسناد حديثه هذا ما رواه أبو بكر بن عياش وغيره عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمرَّ بي رسول الله ﷺ فقال لي: يا غلام هل من لبن؟ فقلت: نعم ولكنني مؤتمن، قال: فهل من شاة حائل لم يَنْزُ عليها الفحل؟ فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبنٌ فحلبه في إناء وشرب وسقَى أبا بكر ثم قال

للضرع: اقلص فقَلَص، ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «**يرحمك الله فإنك غُلَيِّم معلَّم**». اهـ.

وقد أخرج هذا الحديث أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود بنحو سياق ابن عبد البر، وزاد بعد قوله للضرع: اقلص فقلص: فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني من هذا القول الطيب يعني القرآن، فقال: «**إنك غلام معلَّم**» فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد. وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة به.

وكان هؤلاء السابقون الأولون إلى الإسلام يقومون بما أوجب الله عليهم وبما أرشدهم إليه رسول الله ﷺ من تعاليم الإسلام في خفية من قريش حفاظاً على أنفسهم، وقد كان هؤلاء السابقون الأولون يتعلمون ما ينزل على رسول الله ﷺ من الوحي إما بطريق الاتصال برسول الله ﷺ مباشرة في دار الأرقم بن أبي الأرقم أو في غيرها من شعاب مكة وجبالها، أو بواسطة من يتمكن من الاتصال برسول الله ﷺ من هؤلاء السابقين الأولين، وكانوا كما وصفهم الله ﷷ قليلاً مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، وكانت هذه الأخبار المتسربة عنهم إلى الكفار مع ما بدأ ينتشر في الآفاق من أخبار هواتف الجن، وأهل الكتاب عن مبعث رسول الله ﷺ قد هيَّأ نفوس العرب والعجم لاستقبال إعلان الدعوة.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر ﭫ قال: ما سمعتُ عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا إلا كان كما يَظنُّ، بينما عمر جالسٌ إذ مرَّ به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية! أو لقد كان كاهنهم، عَليَّ الرَّجُل، فَدُعي له فقال له ذلك، فقال: ما رأيتُ كاليوم اسْتُقْبِلَ به رجلٌ مسلم، قال: فإني أَعْزِمُ عليك إلا ما أخبرتني، قال: كنت كاهِنهمْ في الجاهلية، قال: فما أَعْجَبُ ما جاءتك به جنيتُك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع، فقال: ألم تر الجنَّ وإبلاسَها، ويأسَها من بعد إنكاسها، ولُحُوقها بالقِلاص وأحلاسها؟ قال عُمرُ: صدق، بينما أنا عند آلهتهم

إذ جاء رجُلٌ بعجل فذبحه، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخاً قَطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جليحْ أَمرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فصيحْ، يقول: لا إله إلا الله، فوثب القومُ، قلت: لا أَبْرَحُ حتى أَعْلَمَ ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أَمرٌ نجيحْ رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله، فقُمْتُ، فما نَشِبْنا أن قيل هذا نبي. وقوله: «كنت كاهنهم في الجاهلية» الكاهن من يدَّعي معرفة علوم الغيب إما رجماً أو بواسطة الجن التي كانت تخترق السمع في الجاهلية أو تأتي بالأخبار من أماكن بعيدة، أما من يدعي معرفة الغيب بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله فإنه يسمى العراف، وكانت الكِهانةُ والعِرافة لا تكاد تخلو منها ناحية في الجزيرة العربية أيام الجاهلية، والغيب المطلق لله وحده فإنه ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وقد حمى الله السماء من استراق السمع بعد بعثة رسول الله ﷺ وبيَّن في سورة سبأ أن الجن لا يعلمون الغيب حيث قال: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [سَبَأ: ١٤].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع عشر

بدء مجيء بعض العرب سراً إلى مكة للاستماع لرسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

سقت في ختام الفصل السابق الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه الذي يفيد أن الجن أخذت تهتف وتتحدث عن بعثة رسول الله ﷺ، وأن عمر رضي الله عنه كان ممن سمع ذلك قبل أن يُسلم، وقوله في الحديث: ألم تر الجن وإبلاسها؟ أي ألا تعجب من يأس الجن من استراق السمع؟ فالإبلاس هو اليأس وهو ضد الرجاء، ومنه إبليس؛ لأنه يئس من رحمة الله، وقوله: «ويأسها من بعد إنكاسها» هو تأكيد لما تقدم، أي إنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته فانقلبت عن الاستراق وأخذت تطوف في الأرض تبحث عن السبب الذي حال بينها وبين استراق السمع، حتى علمت أن الله أرسل محمداً ﷺ بالحق، وقوله: «ولحوقها بالقِلاص وأحْلاسِها» القِلاصُ بكسر القاف جمع قُلُصٍ بضمتين، وقلائص والقُلُص والقلائص جمع قَلُوص بفتح القاف وهي الشابة من النياق، والأحلاس جمعُ حِلْس بكسر الحاء وسكون اللام، وهو ما يُوضَعُ على ظهور الإبل تحت الرَّحْل، وقول عمر رضي الله عنه: «بينما أنا عند آلهتهم» أي عند أصنام المشركين وأوثانهم، وذلك قبل إسلامه رضي الله عنه وبعد بعثة رسول الله ﷺ، وقوله: «جاء رَجُل بعجل فذبحه» أي قرباناً للأصنام، وقوله: «فصرخ به صارخ» أي فسمع عمر رضي الله عنه صوتاً قوياً وصيحة شديدة دون أن يرى شخص الصارخ، وقوله: «يا جَليحْ» هو إما من المُجالحَة وهي المُكالحَةُ والمجاهرة بالأمر والمُكاشفة بالعداوة، وإما من الجَلَح وهو انحسار الشعر عن جانبي الرأس، وقوله: فما نَشِبْنَا أن قيل: هذا نبيٌّ، أي فما مرّ بنا زمن طويل وما لبثنا حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر قال: كان له جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذٍ أحدثُ مَنْ فيه سنّاً، عَليَّ بُرْدَةٌ لي، مضطجعٌ فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار. قال: فقال ذلك لقوم أهل شِرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بَعْثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان!! أو ترى هذا كائناً أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنةٌ ونارٌ يُجْزَون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يُحْلَفُ به، ويَوَدُّ أن له بِحظِّه من تلك أعظم تَنُورٍ في الدار، يُحْمُونَهُ ثم يُدْخِلُونَهُ إياه فيُطَيِّنُونَه عليه بأن يَنْجُو من تلك النار غداً. فقالوا له: ويحك يا فلان فما آيةُ ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن، فقالوا: ومتى تُراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله ﷺ وهو حيٌ بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغياً وحسداً، قال: فقلنا له: ويحك يا فلان!! ألستَ الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به.

وبعد انتشار أخبار هواتف الجن وأحاديث اليهود وغيرهم من أهل الكتاب عن بعثة رسول الله ﷺ وتسرب الأخبار عن المسلمين الذين أسلموا بمكة وآمنوا برسول الله محمد ﷺ أخذ بعض العرب من غير أهل مكة يجيئون إليها سرّاً، ويحاولون الاتصال برسول الله ﷺ، ومن هؤلاء عمرو بن عبسة بن خالد من بني بُهْثَةَ بن سُليم السلمي.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عبسة السُّلَمِيُّ رضي الله عنه: كنتُ وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يُخْبِرُ أخباراً، فقعدْتُ على راحلتي فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مُستخْفياً جُرءاءُ عليه قومُهُ، فَتلطَّفْتُ حتى دخلتُ عليه بمكة، فقلتُ له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**»، فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوحَّد الله لا يُشرك به شيء**»، فقلت له: فمنْ معك على هذا؟

قال: «**حُرٌّ وعبدٌ**» (قال ومعه يومئذٍ أبو بكر وبلالٌ ممن آمن به) فقلت: إني مُتَّبِعُك، قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني**». قال: فذهبت إلى أهلي. وقدم رسول الله ﷺ المدينة. وكنت في أهلي فجعلت أتخبَّرُ الأخبار وأسأل الناس حين قَدِم المدينة حتى قَدِم عليَّ نفرٌ من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجلُ الذي قَدِم المدينة؟ فقالوا: الناسُ إليه سِرَاعٌ، وقد أراد قَوْمُهُ قَتْلَهُ فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: «**نعم أنت الذي لقيتني بمكة**» قال: فقلت: بلى، فقلتُ: يا نبي الله أخبرني عما عَلَّمك الله وأَجْهَلُهُ! أَخبرني عن الصلاة. قال: «**صلِّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار، ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذٍ تُسْجَرُ جهنم، فإذا أقبل الفيء فَصَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار**». قال: فقلت: يا نبي الله! فالوضوء حدثني عنه قال: «**ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خَرَّتْ خطايا وجهه وفِيهِ، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّدَهُ بالذي هو له أهل، وفرَّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه**».

وقوله في الحديث إني مُتَّبعك قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، أي إن عمراً رضي الله عنه رغب في ملازمة رسول الله ﷺ فبين له رسول الله ﷺ أنه لا يتحمل ذلك لما يُعرِضُه له ذلك من أذى من المشركين لا يطيقه؛ لأنه ليس له بيت وأهل بمكة يحمونه ويدفعون عنه.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الخامس عشر

بدء الجهر بالدعوة للإسلام

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

بعد أن وصلت الدعوة الإسلامية إلى مرحلة لم تعد فيها خافية على أهل مكة ولا على غيرهم من العرب بسبب ما يتناقله الناس من أبنائها، وبما يسمعونه من هواتف الجن، وعلماء أهل الكتاب، ولم يعد هناك سببٌ إلى بقاء الدعوة سرّاً لذلك أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمداً ﷺ بإعلان الدعوة والجهر بها، وأن يبدأ بعشيرته الأقربين، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] فامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه، وصعد إلى جبل الصفا وأخذ ينادي بطون قريش حتى اجتمعت، وجعل الرجل إذا لم يستطع الحضور بنفسه أرسل رسولاً ليأتيه بالخبر.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عديٍّ لبُطُون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟**» قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً، قال: «**فإني نذير لكم بين يَدَي عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١ ـ ٢].

ثم روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنْزَل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] قال: «**يا معشر قريش** ـ أو كلمةً نحوها ـ **اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بَني عبد مناف لا**

أُغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أُغني عنك من الله شيئاً».

وأخرج البخاري في تفسير سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤]. ورهطك منهم المخلصين. خرج رسول الله ﷺ حتى صَعِدَ الصفا فهتف: «**يا صباحاه**». فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقيَّ؟**» قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، قال أبو لهب: تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. وفي لفظ للبخاري في تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى: «**يا صباحاه**»، فاجتمعت إليه قريش فقال: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبِّحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبّاً لك، فأنزل الله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقِذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رَحِماً سأبُلُّهَا ببلالها**».

ثم أخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٤] قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «**يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سَلُوني من مالي ما شِئْتم**».

ثم أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ **«يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»**.

وأخرج مسلم من حديث قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ انطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى رضْمَةٍ من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: **«يا بني عبد مناف إني نذيرٌ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوَّ فانطلق يَرْبَؤُ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه»**.

وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ورهطك منهم المخلصين: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد الصفا فهتف: **«يا صباحاه»**، فقالوا: من هذا الذي يهتِفُ؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه فقال: **«يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب»**، فاجتمعوا إليه فقال: **«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟»** قالوا: ما جرَّبنا عليك كذباً، قال: **«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»**، فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١].

هذا والأمر ببدْءِ الإنذار بعشيرته الأقربين لأنهم أعرف به صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وأنهم كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، فإذا قامت الحجةُ عليهم تعدَّتْ إلى غيرهم، وأنه من باب برِّ الإنسان بعباد الله، فليبدأ بمن يعول، وهذه النذارة الخاصة بالعشيرة الأقربين لا تنافي النذارة للعموم على حدّ قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧]، وقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقد جاء في صحيح مسلم قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»**.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل السادس عشر

بدء كيد قريش لرسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

سقت في الفصل السابق ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من قصة أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بإعلان الدعوة، وما قام به رسول الله ﷺ من إنذار عشيرته الأقربين، حيث وقف على جبل الصفا ونادى بطون قريش فأنذرهم وأعلن لهم أنه نذير لهم بين يدي عذاب شديد، وماذا كان جوابُ أبي لهب في هذا المقام، وقد أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن هذه النذارة الخاصة بالعشيرة الأقربين لا تنافي النذارة العامة التي بعث الله بها رسوله محمداً ﷺ حيث قال في حقه ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقوله في رواية البخاري التي أوردها في تفسير سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١] ورهطك منهم المخلصين. وقد رواها مسلم كذلك، قد يفهم منها أنها قرآن وليس كذلك؛ لأن وصف القرآنية لا ينطبق عليها، إذ لا تثبت القرآنية إلا بالنقل المتواتر، وهي لم تنقل عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر، فلذلك لا تكون قرآناً، ولذلك لم توجد في المصحف الإمام، والمعروف أنه قد يقرن بعض الصحابة رضي الله عنهم عبارة بآية من القرآن، وقد يصح سندها إلى رسول الله ﷺ فتكون هذه العبارة تفسيراً للآية، أو تبييناً لمجملها، أو تخصيصاً لعمومها، أو تعميماً لخصوصها، أو إطلاقاً لمقيدها، أو تقييداً لمطلقها، إلى غير ذلك مما هو من وظيفة رسول الله ﷺ المشار إليها في قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: ٤٤]، وحمل على هذا مثل قراءة ابن مسعود: فصيام ثلاثة أيام متتابعات في كفارة اليمين. وكذلك ما وجد في مصحف عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أي صلاة العصر، فإن هذه

العبارات وهي قوله: «متتابعات» في قراءة ابن مسعود وقوله: «صلاة العصر» في مصحف عائشة. وقوله: «ورهطك منهم المخلصين». . التي أوردها البخاري ومسلم لم تثبت قرآنيتها، وأكثر أهل العلم يجريها مجرى الأحاديث، فيُفَسِّر بها ما اقترنت به من الآيات، وبعضهم يَرُدُّها ما دامت لم تثبت قرآنيتها ولا يحتج بها.

وإنذار رهطه المخلصين قد حصل في هذا المقام، حيث نادى رسول الله ﷺ فاطمة وأنذرها بأنه لا يغني عنها من الله شيئاً، كما أنذر في هذا المقام سائر بني عبد المطلب وخصَّ صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وكذلك أنذر عمه العباس بن عبد المطلب، وأعلمهم أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً، وقوله في الحديث: انطلق نبي الله ﷺ إلى رَضْمة من جبل، أي إلى صخرة من صخور عظام بعضها فوق بعض، وقوله: فعلا أعلاها حجراً، أي فَرقِيَ فوق أرفعها ووقف على قمتها. وقوله: يا بني عبد منافاه. أي يا بني عبد مناف، وقد ألحقت به ألف النُّدبة في آخره كما زيد بعد الألف هاء السكت، والنُّدبَةُ هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه بوَا أو بيَا. وقوله: «فانطلق يَرْبَأُ أهله»، أي يحذرهم من عدوهم وينصح لهم بما يحفظهم ويصونهم، يقال: ربَأَهم أي صار ربيئة لهم، أي طليعة لهم، وقوله: فَخَشي أن يسبقوه، أي فخاف أن يسبقه العدوُّ إلى أهله ويُصيبُهم بمكروه قبل أن يصل هو إليهم ويحذرهم، وقوله: فجعل يهتف يا صباحاه، أي فأخذ يصرخ بأعلى صوته: يا صباحاه. وهي عبارة اعتاد العرب أن ينادوا بها عند وقوع غارة عليهم من عدوهم، فإذا سمعوا الصارخ بها اجتمعوا وتأهبوا للقاء عدوهم، وقد جرت العادة بأن الصارخ بمثلها لا يكذبهم كما أن الرائد ـ وهو الذي يسبق الرعاة ليرتاد لهم الماء والمرعى ـ لا يشكون في صدق خبره، ولذلك مثَّل لهم رسول الله ﷺ نفسه الشريفة بأنه كرائدهم وربيئتهم.

وقوله: «إني نذير لكم» أي إني منذر لكم أي محذرٌ لكم من عقوبة الله ومخوِّفكم من سخطه. وقوله: بين يدي عذاب شديد، أي قبل حلول عذاب شديد بكم إن عصيتموني. وقول أبي لهب: تباً لك أي هلاكاً وخساراً، وقد ردَّ الله عليه بما سجَّله عليه في كتابه الكريم حيث قال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١]

والتباب الخسران. والتتبيب التدمير. وقوله: أنقذوا أنفسكم من النار: أي خلصوها من عذاب جهنم بإخلاصكم العبادة لله وحده والقيام بطاعة الله وطاعة رسوله محمد ﷺ.

وقوله: «غير أن لكم رحماً سأبُلُّها ببَلالها» أي بيد أن لكم قرابة سأصلها ولا أقطعها، والبلال بكسر الباء وفتحها هو في الأصل كلُّ ما يُبَلُّ به الحلق. وهو هنا كنايةٌ عن صلة الرحم، والحرص على إيصال الخير إليها ونفعها بما يستطيعه الواصل.

هذا ومن وقت إعلان الدعوة بدأت قريش بالكيد لرسول الله ﷺ وملاحقة المؤمنين بالأذى، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله، مظهراً لدينه لا يرده عن ذلك شيء، وصان الله رسوله ﷺ وعصمه من شرور الكافرين، وألقى مهابته في قلوبهم، وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه، وكان معظماً في قريش، كما قامت خديجة رضي الله عنها بمؤازرته، وكانت ذات منزلة عالية في نفوس قريش، فإذا سمع رسول الله ﷺ من قريش شيئاً يكرهه من ردّ وتكذيب ورجع إلى خديجة وأخبرها بما آذاه من قريش فَرَّجَ الله عنه بها فتُثَبِّتُه وتخفف عليه، وتصدقه، وتهوِّن عليه أمر الناس.

وأما أصحاب رسول الله ﷺ فمن كانت له منهم عشيرة تحميه صانه الله بعشيرته، أما من لم يكن له في قريش أهل ولا عشيرة فقد تصدت له قريش بالأذى، ولذلك استمر كثير من المسلمين لا يجاهرون بإسلامهم خوفاً على أنفسهم، وأخذت قريش تصف رسول الله ﷺ بأنه ساحر وبأنه شاعر وبأنه مجنون وبأنه كاهن، وجمعوا بين المتناقضات، حيث قالوا: معلم مجنون، مع أن المجنون لا يقبل التعليم.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن ضِماداً قَدِم مكة وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمعَ سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعلَّ الله يشفيه على يديَّ، قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أَرِقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على

يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله**»، أما بعد. قال: فقال: أَعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعتُ قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «**وعلى قومك؟**» فقال: وعلى قومي.

وقوله يرقِي من هذه الريح، أي يداوي بالرقية من به جنون أو مس من الجن. وقوله: بلغن قاموس البحر أي وسطه ولُجَّته ومعناه: بلغن غاية الغايات.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع عشر

قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

كان من آثار إعلان الدعوة إلى الإسلام أن فشت في سائر أنحاء الجزيرة العربية وغيرها، وبدأ الناس يتحدثون عنها في مشارق الأرض ومغاربها، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعْلَمْ لي عِلْمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمَعْ من قوله، ثم ائتني، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمعَ من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشِّعْر، فقال: ما شَفيتني فيما أردتُ، فتزوَّد، وحمل شنَّةً له فيها ماءٌ، حتى قَدِم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبيَّ ﷺ ولا يعرفُهُ، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه يعني الليل فاضْطَجَع، فرآه عليٌ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعهُ، فلم يسأل واحدٌ منهما صاحبهُ عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قِرْبتَهُ وزاده إلى المسجد فظلَّ ذلك اليوم ولا يرى النبيَّ ﷺ حتى أمْسى، فعاد إلى مضجعه، فمرَّ به عليٌ، فقال: ما آن للرجل أن يعلم منزلَهُ؟ فأقامه فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك فأقامه عليٌّ معه، ثم قال له: ألا تُحدِّثُني ما الذي أَقْدَمَك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لتُرْشِدَني فعلت. ففعل، فأخبره، فقال: فإنه حق، وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتَّبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمتُ كأني أُريقُ الماء، فإن مضيتُ فاتَّبعني حتى تدخل مدخلي ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه فسمع من قوله، وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**»، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج

حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكبَّ عليه فقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد بمثلها، وثاروا إليه فضربوه فأكبَّ عليه العباس فأنقذه.

وفي رواية للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عباس: ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قال: قلنا بلى، قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل، كلمه، وائتني بخبره، فانطلق، فلقيه ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جراباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه وأشربُ من ماء زمزم وأكون في المسجد، قال: فمرَّ بي عليٌّ، فقال: كأن الرجل غريب؟ قال: قلت: نعم، قال: فانطلق إلى المنزل، قال: فانطلقت معه، لا يسألني عن شيء ولا أخبره، فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحدٌ يخبرني عنه بشيء، قال: فمرَّ بي عليٌّ فقال: أما نال للرجل يعرف منزله بعد؟ قال: قلت: لا. قال: انطلق معي، قال: فقال: ما أَمْرُك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: قلت له: إن كتمت عليَّ أخبرتُك، قال: فإني أفعل، قال: قلت له: بلغنا أنه خرج ها هنا رجل يزعم أنه نبي، فأرسلتُ أخي ليكلمه، فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه، فقال له: أما إنك قد رِشدْت، هذا وجهي إليه فاتبعني، ادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك، قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وامض أنت، فمضى ومضيت معه، حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له: اعرض عليَّ الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكاني، فقال لي: «**يا أبا ذر، اكتُم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظُهُورُنا فأَقْبِل**»، فقلتُ: والذي بعثك بالحق لأصرخنَّ بها بين أظهرهم، فجاء إلى المسجد وقريش فيه، فقال: يا معشر قريش! إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قُوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا فضربت لأموت، فأدركني

العباس فأكبَّ عليَّ، ثم أقبل عليهم، فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غِفار، ومتجركم وممرُّكم على غفار، فأقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع مثل ما صنع بالأمس، وأدركني العباس فأكب عليّ، وقال مثل مقالته بالأمس، قال: فكان هذا أول إسلام أبي ذر رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله في الحديث: فانطلق الآخر أي فذهب أخوه واسمه أُنيس، وقوله: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر، أي وسمعته يقول كلاماً ما هو بالشعر على حدّ قول القائل: علفتها تبناً وماءً بارداً. أي وسقيتها ماءً بارداً. وقوله: ما شفيتني فيما أردتُ، أي ما قضيت وطري الذي أرسلتك من أجله، وقوله: وحمل شنَّةً له. أي وحمل قربة صغيرة قديمة له، إذ الشَّنةُ والشَّنُّ هي القربةُ الخلَقُ الصغيرة، وقوله: وكره أن يسأل عنه أي لأنه عرف أن قومه يؤذون من يقصده أو يؤذونه بسبب قصد من يقصده، أو لكراهتهم في ظهور أمره لا يدلون من يسأل عنه عليه، أو يمنعونه من الاجتماع به، وقوله: أما نال للرجل أن يعلم منزله؟ أي أما آن للرجل أن يعرف مقصده الذي جاء من أجله؟ أو أن يكون له منزل معين يسكنه؟ وقوله: «لأصرخن بها بين ظهرانيهم»، أي لأهتفنَّ بكلمة التوحيد وأنك رسول الله ﷺ وسط جموع المشركين، ولأجْهرنَّ بالدعوة إلى الإسلام في مجامعهم، وكأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فهم أن أمر النبي ﷺ له بالكتمان ليس على سبيل الإيجاب بل على سبيل الاستحباب شفقةً عليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأعلمه أن به قوةً على ذلك، وأقرَّه رسول الله ﷺ على الجهر بالدعوة، وقوله: قوموا إلى هذا الصابئ: أي انهضوا إلى هذا المفارق لديننا فاضربوه. وقوله فضربتُ لأموت. أي فضربوني ضرباً شديداً أحسستُ منه أنهم يريدون قتلي. وقوله: غِفار، هي بكسر الغين وتخفيف الفاء قبيلة تنتمي إلى غفار بن مُليل من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانوا يسكنون في منطقة بدر الواقعة على طريق تجارة قريش إلى الشام.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثامن عشر

أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

مضى رسول الله ﷺ في إعلان دعوة الإسلام، وأخذ يغشى المشركين في مجالسهم وأنديتهم يقرأ عليهم القرآن رغم ما كانوا يقابلون ذلك بوصفه بأنه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون أو معلم، وبالرغم من أن قريشاً كانت واثقة من أنه ليس بكذاب ولا شاعر ولا ساحر ولا مجنون ولا معلم، بل كانت قرارة قلوبهم تعتقد أنه رسول الله على حدِّ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وكان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة ويصلي معه أبو بكر رضي الله عنه، فإذا سمع المشركون قراءة رسول الله ﷺ قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] غير أن رسول الله ﷺ لم يَسْلم من أن تمتد له يد بعض المجرمين منهم بالأذى ليحتسب ذلك عند ربه، وليصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم من المرسلين، فقد روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي مُعيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقهُ به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ [غافر: ٢٨].

وفي لفظ للبخاري رحمه الله من حديث عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني بأشَدِّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه

فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس وقد نُحِرتْ جزُورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: إيُّكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض. وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر النبي ﷺ، والنبيُّ ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جُويْرية فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط (وذكر السابع ولم أحفظه). فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر، وقد جاءت تسمية السابع في رواية للبخاري بأنه عمارة بن الوليد. كما جاء تسمية أشقى القوم الذي جاء بسلا الجزور ووضعه على ظهر رسول الله ﷺ بين كتفيه في رواية للبخاري ومسلم بأنه عقبة بن أبي معيط.

والمقصود من عدد الذين سُحِبوا إلى القليب يوم بدر هو بيان الأغلبية؛ لأن عقبة بن أبي معيط لعنه الله وقع أسيراً يوم بدر وأمر النبي ﷺ بقتله صبراً في عرق الظبية، وكان هؤلاء هم أشدُّ الناس عداءً لرسول الله ﷺ وأذىً له.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطَأَنَّ على عُنُقِهِ، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لو فعل لأخذته الملائكة**».

وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهُرِكم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعَفِّرَنَّ وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهُمْ منه إلا وهو يَنْكُصُ على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مَا لَكَ؟ فقال: إن بيني وبينه لخنْدَقاً من نار، وهوْلاً وأجنحةً، فقال رسول الله ﷺ: «**لو دَنَا مِنِّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»، قال: فأنزل الله عز وجل (لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيءٌ بلغه): ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ١٣] (يعني أبا جهل) ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ٦ ـ ١٩] ثم قال مسلم: زاد عبيد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به، وزاد ابنُ عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العَلق: ١٧] يعني قومه. اهـ.

هذا وقد وثبت القبائل على من دخل في دين الإسلام فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، وكانوا يقاطعون التجار منهم فلا يبايعونهم ولا يشترون منهم، ويمنعونهم حقوقهم، فقد روى البخاري ومسلم من طريق مسروق عن خباب قال: كنت رجلاً قَيْناً في الجاهلية وكان لي على العاصي بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تُبْعث، قال: وإني لمبعوثٌ من بعد الموت، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولدٍ، قال: فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧ ـ ٨٠].

وقد شق على خباب ما لقيه هو وعمار بن ياسر وأبوه ياسر وسمية أم عمار وبلال وعامر بن فهيرة وغيرهم من تعذيب المشركين لهم، فسأل رسول الله ﷺ

أن يدعو بنصر الله للمسلمين، فقد روى البخاري في صحيحه عن خباب رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّد بُرْدَةً وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة فقلت: ألا تدعو الله، فقعد وهو مُحْمَرٌ وجْهُهُ، فقال: «**لقد كان من قبلكم ليُمْشَطُ بِمِشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرِفُه ذلك عن دينه، ويُوضَعُ المنشار على مَفْرِقِ رأسه فيُشَقُّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله** ـ وفي رواية: ـ **والذئب على نفسه**». اهـ، وقد تحقق ذلك ولله الحمد.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع عشر

بدء أسباب قوة المسلمين في مكة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

لم تمنع الشدة والبلاء الذي أصاب المسلمين من المشركين أن يزدادوا صلابة في دينهم، واستمساكاً بعقيدتهم، وقد حرص أبو بكر ﵁ أن يشتري بعض العبيد المسلمين الذين كان سادتهم يوقعون بهم ألواناً من العذاب، فقد كان سادة بلال بن رباح ﵁ يخرجونه إذا حميت الظهيرة ويضعون الصخرة العظيمة على صدره، ويقولون له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد؛ فيقول وهو في هذا البلاء: أَحدٌ أَحدٌ، فمرَّ به أبو بكر ﵁ فاشتراه من سادته وأعتقه.

وقد ثبت في صحيح البخاري من طريق قيس بن أبي حازم أن بلالاً قال لأبي بكر ﵄: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعملَ الله. كما ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله ﵄ أن عمر ﵁ قال: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً.

وقد كانت فرحة المسلمين كبيرة عندما أسلم أسدُ الله وأسدُ رسوله ﷺ عمُّ النبي محمد ﷺ حمزةُ بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، غير أن رسول الله ﷺ لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء، أذن لهم في الخروج من مكة إلى أرض الحبشة، وقد عُلِمَ أن بها ملكاً لا يُظْلَمُ أَحَدٌ بجواره، فخرجوا دفعاً للفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، وكان ذلك أول هجرة في الإسلام، وكانت في السنة الخامسة من البعثة النبوية، وكان في مقدمة هؤلاء المهاجرين الأولين عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت حبيب الله ورسوله محمد ﷺ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومعه زوجته سهلةُ بنتُ سُهَيْل بن عمرو من بني عامر بن لؤي، والزبير بن العوام ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن

عبد الدار وعبد الرحمن بن عوف الزهري وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ومعه زوجته أمّ سلمة بنتُ أبي أمية المخزومية، وعثمان بن مظعون الجُمحي، وعامر بن ربيعة ومعه زوجته ليلى بنت أبي حثمة، وسهيل ابن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث القرشي، وقد اشتهر بنسبته إلى أمه بيضاء وهي دعد بنت جحدم.

ولم يتمكن بعض المسلمين من الهجرة ولا سيما من كان منهم من العبيد والموالي إذ كان سادتهم ومواليهم يربطونهم ويسجنونهم مع التعذيب حتى استشهدت سميةُ أمُ عمار بن ياسر رضي الله عنهم وهي تحت التعذيب بيد عدو الله فرعون هذه الأمة أبي جهل لعنه الله، وكانت أول شهيدة في الإسلام، ولم يقف الربط والسجن عند العبيد والموالي وحدهم، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يُسلم شديد البطش بمن يدخل في الإسلام من أهله وأقاربه، وقد ربط سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأخته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل زوجة سعيد بن زيد لما أسلما، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في مسجد الكوفة يقول: والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يُسْلِم عُمرُ. وفي لفظ للبخاري من طريق قيس قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: لقد رأيتُني مُوثِقي عمرُ على الإسلام أنا وأخته وما أسلم.

وقد كان عمر بن الخطاب طويلاً جسيماً إذا مشى بين أصحابه يحسبه الناس راكباً وهم مشاةٌ، يهابه من يراه، فلما شرح الله صدره للإسلام وأعلن إسلامه فرح به المسلمون فرحاً شديداً، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وقال ابن كثير في البداية والنهاية: قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت: والله إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب

عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف عليَّ وهو على شركه فقالت: وكنا نلقى منه أذى وشدة علينا، قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم. والله لنخرجن في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا؟ حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خُروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورِقَّتَه وحزنه علينا؟ قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قالت: نعم. قال: لا يُسْلم حتى يُسْلِم حمارُ الخطاب، قالت: يأساً منه لما كان يُرى من غلظته وقسوته على الإسلام. اهـ.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا: صَبَأ عمرُ. وأنا غلام فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قَبَاءٌ من ديباج فقال: قد صَبَأ عُمَرُ فما ذاك؟ فأنا له جار، قال: فرأيت الناس تَصَدَّعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل.

وفي رواية للبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السَّهميُّ أبو عمرو عليه حُلّة حِبر وقميصٌ مكفوف بحرير وهو من بني سهم وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمتُ. قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنتُ، فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبَأ، قال: لا سبيل إليه، فكَرَّ الناس.

وقد أخرج أبو يعلى من طريق عامر العقدِيِّ عن خارجة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**»، وكان أحبهما إلى الله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. اهـ. وخارجةُ المذكور في سند أبي يعلى هو خارجةُ بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو زيد المدني وقد ينسب إلى جده وهو صدوق له أوهام.

وقال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال:

لما أسلم أبي عمر قال: أيُّ قريش أنقلُ للحديث؟ فقيل له: جميلُ بن معمر الجمحي قال: فغدا عليه قال عبد الله بن عمر: فغدوت أَتْبَعُ أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيتُ، حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمتُ ودخلتُ في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يَجُرُّ رداءه واتَّبعهُ عمرُ، واتَّبَعْتُ أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبَأَ، قال: يقول عمرُ من خلفه: كذَب ولكني قد أسلمتُ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطاح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحْلِفُ بالله أن لو قد كُنَّا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلَّةُ حبرة وقميصٌ مُوشَّى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صَبَأ عمر، فقال: فَمَهْ؟ رجُلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عَدِيٍّ يُسْلِمُون لكم صاحبهم هكذا؟ خَلُّوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه، وهذا الرجل هو العاصِ بنُ وائل السهمي كما جاء في الحديث؟

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل العشرون

نزول سورة النجم وقصة الغرانيق

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

بعد أن أعزَّ الله الإسلام بعمر بن الخطاب ﵁ ومن قبله بأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ﵁ عم رسول الله ﷺ صار رسول الله ﷺ يجهر بالصلاة حول الكعبة، ويعلن على قريش ما يُنْزِلُهُ الله عليه من القرآن الكريم يحيط به أبو بكر وعمر وحمزة بن عبد المطلب ﵃، وقد كانت أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ وقرأها على المشركين وفيها سجدة هي سورة: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النّجْم: ١]. وإن كان قوله تعالى فيها: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٨]. لم ينزل إلا بعد الإسراء والمعراج.

وقد جلس المشركون والمؤمنون حول رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة النجم، فلما انتهى من قراءتها خرَّ ساجداً لله فسجد من حوله من المشركين والمؤمنين غير شيخ من المشركين أخذ كفاً من حصىً وسجد عليه، قال عبد الله بن مسعود ﵁ وكان حاضراً هذه القصة: فلقد رأيته قتل كافراً يعني ببدر، وهو أميه بن خلف وكأن عبد الله بن مسعود ﵁ يشير إلى أن من سجد من المشركين مع رسول الله ﷺ هداهم الله للإسلام بعد ذلك فأسلموا غير هذا الشيخ الذي أبى السجود واكتفى بأخذ ملء كفه من حصى أو تراب فسجد عليه.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: أوَّل سورة أُنْزِلت فيها سجدةٌ والنجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأَيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِل كافراً. وهو أمية بن خلف.

وفي لفظ للبخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيخاً أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: لقد رأيته بعدُ قتل كافراً.

وفي لفظ للبخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصىً أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قتل كافراً.

وفي لفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنسُ. قال الحافظ في فتح الباري في تفسير سورة النجم في شرح حديث ابن مسعود: ووقع في رواية زكريا عن أبي إسحاق في أول هذا الحديث: أن أول سورة استعلن بها رسول الله ﷺ فقرأ على الناس النجم. وله من رواية زهير بن معاوية: أول سورة قرأها على الناس النجم. اهـ.

وكان سجود المشركين مع رسول الله ﷺ بعد أشهر من الهجرة إلى الحبشة، ولما سجد المشركون مع رسول الله ﷺ ظن كثير من الناس أن أهل مكة أسلموا وطار الخبر إلى مهاجري الحبشة بأن المشركين أسلموا مع رسول الله ﷺ فرجعوا إلى مكة، بَيْدَ أنهم قبل أن يدخلوا مكة علموا أن خبر إسلام المشركين ليس بصحيح، فرجع بعضهم إلى الحبشة ثانياً ودخل بعضهم بجوار، ودخل بعضهم مستخفياً، وكان من أهم أسباب ترويج إشاعة أن المشركين أسلموا، هو دخول عمر بن الخطاب في الإسلام، ثم سجود المشركين مع رسول الله ﷺ، وسبب سجود المشركين مع رسول الله ﷺ هو ما وقع في قلوبهم من المهابة والخوف بعد ما سمعوا خواتيم سورة النجم وما فيها من تهديد شديد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥٤]... وما قرعهم بها من الحجج في أثناء تلاوتها عليهم.

أما ما زعمه بعض الإخباريين وبعض المفسرين من أن سبب سجود المشركين هو ما عرف بقصة الغرانيق فإنه زعم فاسد كاسد عاطل باطل لم يثبت بخبر صحيح ولا حسن عن رسول الله ﷺ، وكما أنه لا يصح نقلاً فإنه كذلك لا يصح عقلاً، فلا يجري على لسان رسول الله ﷺ ثناءٌ على آلهة المشركين بقصد أو بغير قصد، ولا يتسلط الشيطان فيتقوله في قراءة رسول الله ﷺ حيث زعم هؤلاء أنه جرى على لسان رسول الله ﷺ بعد ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: تلك الغرانيق العلا. وإن شفاعتهن لترتجى. مع أن ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى جاء على سبيل الذم في صلب السياق، وبعد ذكرها مباشرة حيث قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١ ـ ٢٢] (أي جائره) ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، ثم يذكر بعد ذلك قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

فهذه أدلّة قطعية في صلب السياق على كذب قصة الغرانيق، فلا يحل لمسلم أن يعتقد أن مثلها يقع لرسول الله ﷺ الذي صانه الله من الشيطان وعصمه منه قبل البعثة وبعدها، حتى صان رسوله محمداً ﷺ من أن يتمثل به الشيطان في المنام كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا يتمثل الشيطان بي**». وفي لفظ للبخاري من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان لا يتخيل بي**». وفي لفظ لمسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي**». وفي لفظ لمسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي**». وفي لفظ للبخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان لا يتكونني**».

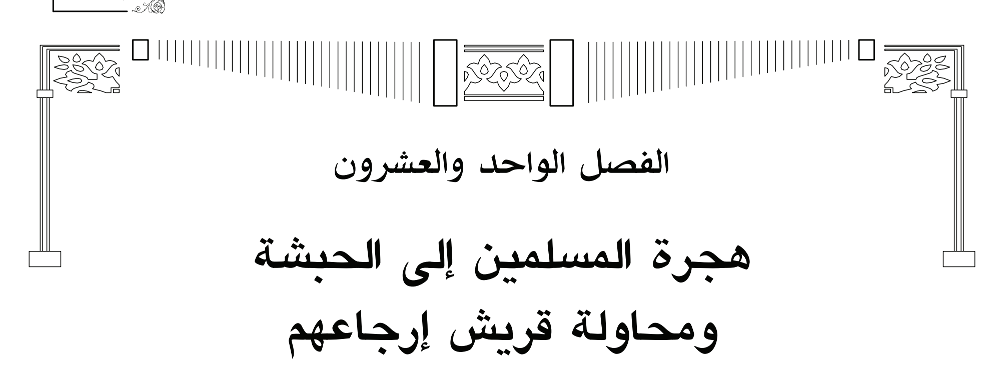
قال القاضي أبو بكر ابن العربي عن قصة الغرانيق: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها. وقال القاضي عياض عن حديث الغرانيق: هذا

الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده، وقال: من حُملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية. اهـ.

ومن حاول تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥٢] بأن المراد نسخ ما ألقاه الشيطان على لسان رسول الله ﷺ من الثناء على أصنام قريش بأنها الغرانيق العُلا فقد أبعد النجعة، وأغرق في الوهم، ولم يَدْرِ أن المراد بالنسخ في هذه الآية هو إزالة العراقيل والشُبَه التي يطرحها الشيطان في طريق دعوة المرسلين ويوسوس بها للكافرين، إذ من معاني النسخ في اللغة الإبطال والإزالة. وهو المقصود في هذه الآية.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والعشرون

هجرة المسلمين إلى الحبشة ومحاولة قريش إرجاعهم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

أشرت في الفصل السابق إلى أن إسلام عمر ﵁ وسجود المشركين مع رسول الله ﷺ لما سجد بعد قراءته سورة النجم تسبب في رجوع مهاجري الحبشة إلى مكة، وأنهم لما دنوا من مكة علموا أن خبر إسلام قريش لم يكن صحيحاً، فرجع بعضهم إلى الحبشة ثانياً ودخل بعضهم في جوار، ودخل بعضهم مستخفياً، غير أن قريشاً لاحقت المسلمين بالأذى، فأذن لهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى الحبشة، فخرجوا متتابعين، وكان في مقدمتهم جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ﵄، وتسمى هذه الهجرة التي خرج فيها جعفر ﵁ إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقد بلغ عددهم أكثر من ثمانين رجلاً، ويذكر أن المهاجرات من النساء إلى الحبشة في الهجرة الثانية كُنَّ ثماني عشرة امرأة، وقد سمع أبو موسى الأشعري ﵁ وقومه بمبعث رسول الله ﷺ فخرجوا مهاجرين إلى مكة فركبوا السفينة فألقتهم بأرض الحبشة.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهم أحدُهُما أبو بُردة والآخرُ أبو رُهْم، إمَّا قال في بضع وإما قال في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينةً، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى

قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم.

وبالرغم من أن المسلمين المهاجرين إلى الحبشة أمنوا على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وعقولهم، وأقاموا شعائرهم بحرية، إلا أنهم حُرِموا القرب من منزل الوحي، وإن كانوا عند هجرتهم قد حملُوا معهم أصول عقيدتهم الإسلامية حيث كانت السُّورُ المكية عموماً تدور في فلك حقائق ثلاثٍ؛ وهي تقرير أنه لا إله إلا الله وتقرير أن محمداً رسول الله ﷺ وتقرير البعث بعد الموت، مع قواعد الأخلاق والسلوك المستقيم، ولا يخشى عليهم من تضليل النصارى أو غيرهم، فإن الذين كانوا بالقرب من رسول الله ﷺ كانوا يتعلمون ما يُوحى به إلى رسول الله ﷺ أولاً بأول، ثم لما هاجروا إلى المدينة مع رسول الله ﷺ حصل لهم بسبب قربهم من رسول الله ﷺ الخير الكثير، إذ كان ﷺ يُطعمُ جائعهم ويُعَلِّمُ جاهلهم، وإن كانت أخبار الوحي لم ينقطع وصولها إلى المهاجرين بالحبشة، لكنهم ليسوا في هذا الباب كالمقيمين مع رسول الله ﷺ، بل قد يحصل لهم أحياناً نوع من الأذى والخوف.

ولذلك قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها لعمر رضي الله عنه: كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البُعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: وكان أُناسٌ من الناس يقولون لنا يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: ألحبشية هذه؟ ألبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كَلَّا والله،

كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار أو في أرض البُعداء البُغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأَيْمُ الله لا أطعمُ طعاماً ولا أشربُ شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخافُ، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا، قال: «**فما قلتِ له؟**» قالت: قلت له: كذا وكذا، قال: ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان.

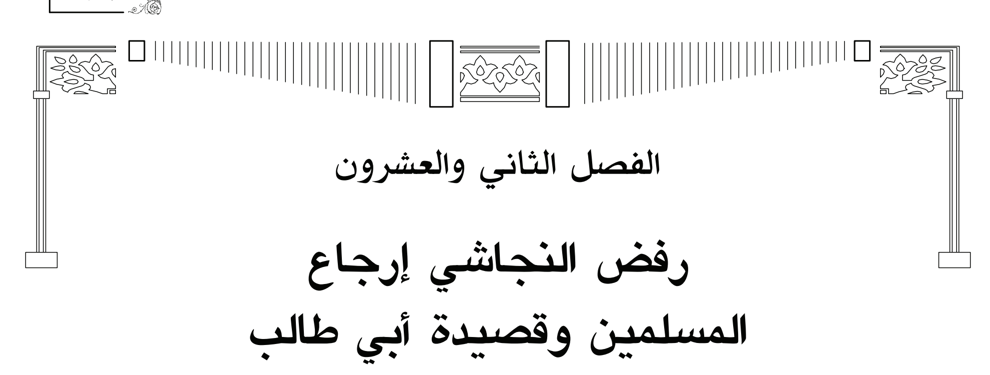
على أن أهل مكة من المشركين حرصوا على استرداد مَنْ بالحبشة من المهاجرين وبعثوا إلى النجاشي رسولين لطلب إعادة المسلمين إلى مكة.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جَلدين، وأن يُهْدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدمُ، فجمعوا له أُدُماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكلما النجاشي فيهم، ثم قَدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاهُ أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غِلْمَانٌ سفهاءُ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم. وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليرُدَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم،

فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدَّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلَّماهُ، فقالا له: أيها الملكُ إنه قد ضوى إلى بلدك منا غِلْمانٌ سفهاءُ، فارقُوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلمُ بما عابُوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والعشرون

رفض النجاشي إرجاع المسلمين وقصيدة أبي طالب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق قول أم سلمة رضي الله عنها: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي، قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأَسْلِمهمُ إليهما فليرُدَّاهُمْ إلى بلادهم وقومهم، قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يُكادُ قومٌ جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيُّنَا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوا ـ وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ـ سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلَّمهُ جعفر بن أبي طالب فقال: أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنُوحِّدَه، ونعبُدَهُ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة،

وصلة الرحم، وحُسْن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، ـ قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدَّقْنَاهُ وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحْلَلْنا ما أَحَلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نَستحِلَّ من الخبائث، فلما قهروُنا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سِواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظْلم عندك أيها الملك، قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأهُ عليَّ، قالت: فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريَم: ١] قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلَّت لحيتهُ، وبكت أساقفته حتى أخضلُوا مصاحِفهُم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون. وقولها في الحديث: جلدين أي قويين شديدين، وقولها: مما يستطرف من متاع مكة. أي يُستحسنُ ويُفرحُ به من السِّلع التي تصنع بمكة، وقولها: وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم، أي وكان من أحب وأعجب ما يفرح به النجاشي من السلع المصنوعة بمكة هو الجلد، فالأديم هو الجلد مطلقاً أو الأحمر منه أو مدبوغه ويُجمعُ على أُدْم والأَدَمُ اسمٌ للجمع. والبطريق القائد الكبير، وقولها «ضوى» أي لجأَ، وقولها: «أعلى بهم عيناً» أي أبصر وأعرف بهم من غيرهم، وقولها: ولا يُكاد قوم جاوروني أي ولا يصل أذى لقوم نزلوا بجواري من مكر أعدائهم، والأساقفة جمع أُسْقُف وهو الرئيس الديني عند النصارى أو العالم، أو هو فوق القِسيس ودون المطران. وقولها: فنشروا مصاحفهم: أي كتبهم الدينية.

هذا وقد كان عبد الله بن الحارث بن قيس السهمي أحد الشعراء المسلمين المهاجرين بالحبشة حينئذٍ فقال حين أَمِنَ المهاجرون بأرض الحبشة، وحَمِدُوا

جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً، وقد أحسن النجاشي جوارهم، فقال يذُمُّ كفار قريش على جورهم وصدِّهم عن سبيل الله ومعاداة رسول الله ﷺ:

يا راكباً بَلِّغَنْ عني مُغَلْغلةً ... من كان يرجو بلاغ الله والدين
كلَّ امرئٍ من عباد الله مُضْطهدٍ ... ببطن مكة مقهورٍ ومَفْتُونِ
أنَّا وجدنا بلاد الله واسعةً ... تُنْجِي من الذُّلِّ والمخزاة والهُونِ
إنا تَبِعْنَا رسول الله واطَّرَحوا ... قول النبي وعالُوا في الموازين

وبعث أبو طالب إلى النجاشي بقصيدة يحضه فيها على حسن جوار من جاورهم من المسلمين المهاجرين ويثني على موقفه وينعى على رسولي قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وفي هذه القصيدة يقول:

ألا ليت شعري كيف في النَّأي جعفرٌ ... وعمرو وأعداءُ العدو الأقاربُ
وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفراً ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تَعَلَّمْ أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المُجَانِبُ
تعَلَّم بأن الله زادك بسطةً ... وأسباب خير كُلُّها بك لازب
وأنك فيضٌ ذو سجال غزيرةٍ ... ينال الأعادي نَفْعَها والأقارب

وقولُ عبد الله بن الحارث السهمي: مغلغلة «أي رسالة» وقول أبي طالب: في النأي أي في البعد، وقوله: وهل نالت أفعال النجاشي جعفراً وأصحابه.. إلخ البيت، أي وهل بلغ كرمُ النجاشي وجُوده جعفراً والمهاجرين معه؟ أو وقف في سبيل ذلك وحال بينهم وبين التمتع بجودك وكرمك شاغب أي مُهيجٌ للشر عليهم، وقوله: فلا يشقى لديك المجانب، أي فلا يُهانُ من ينزل بجوارك ويدخل في حِماك، وقوله: بك لازب أي لاصق لا ينفك عنك ولا يفارقك، وقوله: وأنك فيض ذو سجال غزيرة... إلخ، أصل السجال الدلاء، وغزيرة أي كثيرة، والمراد أنه كريم العطاء ينتفع بكرمه وجوده أعداؤه وأحبابه.

هذا وقد وقف أبو طالب رغم بقائه على دين قومه يدافع عن رسول الله ﷺ ويحوطه ويعتب على قريش موقفهم من رسول الله ﷺ، وكانت قريش قد أفزعها أن عَلِمتْ أن المهاجرين إلى الحبشة آمنون في دار هجرتهم، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن الإسلام جعل يفشو في القبائل، فأخذت في تدبير ألوان من محاربة المسلمين والكيد لهم.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والعشرون

خروج أبي بكر ﵁ مهاجراً إلى الحبشة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن قريشاً أفزعها أن المهاجرين بأرض الحبشة قد أَمِنُوا على دينهم وأنفسهم، وأن النجاشي قد أكرم جوارهم وردَّ كيد أعدائهم، فاشتدت قريش في تضييقها على من بمكة من المسلمين، مع حماية الله تعالى لرسوله ﷺ من شرورهم وكيدهم، وضاقت مكة على أبي بكر ﵁ بما رَحُبَتْ، وأصابه فيها الأذى الشديد، فاستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّةِ وهو سيد القارة، كما كان سيِّد الأحابيش والقارة قبيلة مشهورة من بني الهُون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، والأحابيش هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو الهُون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا جميعاً فسُمُّوا الأحابيش للحلف الذي كان بينهم.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبَويَّ قطُّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يَمُرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بُكْرةً وعشيَّةً، فلما ابتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدُّغُنَّةِ وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، فارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشيَّةً في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا

يَخْرُجُ مثلُه ولا يُخْرَجُ، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تُكذِّبْ قريشٌ بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبا بكر فليعبُدْ ربَّه في داره، فلْيُصَلِّ فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يسْتَعْلِنْ به، فإنا نخشى أن يَفتِن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربَّه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فيتقذَّفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤُهم، وهم يعجبُون منه، وينظُرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحَبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعْلِن بذلك فسلهُ أن يَرُدَّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مُقرِّين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجِع إليَّ ذمتي، فإني لا أُحِبُّ أن تسمع العربُ أني أُخْفِرْتُ في رجل عقدْتُ له، فقال أبو بكر: فإني أرُدُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ﷻ، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: «**إني أريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين**». الحديث.

وقولها في الحديث: لم أعقل أبويَّ أي لم أُميز والدَيَّ تعني أباها أبا بكر رضي الله عنه وأمها أُم رومان رضي الله عنها، وأمُّ رومان قيل: اسمها زينب، وقيل: دعْد، وهي أخت بني فراس من بني غنم بن مالك بن كنانة، وقولها: يدينان الدين، أي يعتنقان دين الإسلام، وقولها: فلما ابتُليَ المسلمون أي اشتد أذى المشركين لهم، وقوله: أخرجني قومي أي تسببوا في إخراجي، وقوله: فأنا لك جارٌ أي أنا مُجيرٌ لك أمنع من يؤذيك. وقولها: فلم تُكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة أي لم

تَرُدَّ قريش أمان ابن الدغنة لأبي بكر وأنفذت قريش جوار ابن الدغنة له، وقولها: ثم بدا لأبي بكر أي ظهر لأبي بكر رأيٌ في أن يجهر بصلاته وقراءته، وقولها: بفِناء داره بكسر الفاء أي أمام داره، وقولها فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، أي يتدافعون وهم يحرصون على سماع القرآن من أبي بكر رضي الله عنه، فيقذف بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه. وفي لفظ فيتقصَّفُ أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر، وقولها: وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، أي وكان أبو بكر رضي الله عنه كثير البكاء لا يُطيق إمساك عينيه عن البكاء من رقة قلبه وشدة خشوعه عند تلاوة القرآن، وقولها: فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، أي أخافت قراءةُ أبي بكر رضي الله عنه في مسجده أمام داره رؤساء قريش الكفار لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا إلى دين الإسلام، وقولهم: فسله أن يرد إليك ذمتك، أي فاسأله واطلب منه أن يردَّ إليك أمانك له، وقولهم: فإنا قد كرِهْنا أن نُخفِرَك، أي فإنا لا نحب أن نغْدِر بك ولا نصون ذمتك وأمانك، وقولهم: ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان، أي ولن نسْكُتَ عن الإنكار على أبي بكر؛ لخشيتنا أن تُؤثِّرَ قراءتهُ وصلاتهُ على نسائنا وأبنائنا فيدخلون في دين الإسلام، وقوله: وأرضى بجوار الله، أي أسْعَدُ وأكتفي بأمان الله وحمايته وأتوكل على الله في رد كيدهم وإحباط مكرهم، وقولها: والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ بمكة، قد كان ذلك في حوالي السنة السابعة من البعثة النبوية، وكان سِنُّ عائشة رضي الله عنها يومها حوالي ثلاث سنوات.

وقد سلكت قريش في حربها للإسلام كلَّ طريق، فطلبوا من أبي طالب أن يسلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلموه شاباً من قريش مكانه، فتعجب أبو طالب من طلبهم هذا ورفضه رفضاً باتاً.

وقد أحست قريش أنها لن تصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الطريق فاجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن يقاطعوهم مقاطعة تامة، فذكروا في صحيفة المقاطعة هذه ألا يتزوجوا منهم ولا يُزوجوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وعلَّقوا صحيفتهم هذه في الكعبة توكيداً على

أنفسهم، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، واجتمعوا إليه مسلمهم وكافرهم إلا أبا لهب لعنه الله فإنه انحاز إلى قريش وظاهَرَهم على رسول الله ﷺ وعلى أبي طالب ومن معه.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والعشرون

مقاطعة قريش لبني هاشم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق أن قريشاً اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ألا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ليقتلوه، وعلَّقوا صحيفتهم في جوف الكعبة وتقاسموا على الكفر، وأن أبا طالب دعا بني هاشم وبني المطلب لنصرته وحماية رسول الله ﷺ من شر المشركين، وأنه استجاب لأبي طالب جميع بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم بإيمانه وكافرهم بحمية الجاهلية، ولم يشذ منهم غير أبي لهب لعنه الله فانحاز إلى قريش، وقد أثنى أبو طالب على بني هاشم وبني المطلب الذين سارعوا لإجابته والانتصار لرسول الله ﷺ وفي ذلك يقول:

إذا اجتمعتْ يوماً قريش لِمفْخَرٍ ... فعبد مناف سرُّها وصَميمُها
وإن فَخرتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى من سِرِّها وكريمها
تداعت قريش غَثها وسَمينُها ... علينا فلم تَظفرْ وطاشتْ حُلُومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً ... إذا ما ثنوا صُعرَ الرقاب نُقِيمُها
ونحْمي حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها مَنْ يرومها
بنا انتعش العُودُ الزواءُ وإنما ... بأكنافنا تَنْدَى وتنْمَى أرُومُهَا

وقد أشار رسول الله ﷺ الغداة من فتح مكة وكذلك في حجة الوداع إلى مكان تقاسم المشركين على النبي ﷺ تحدثاً بنعمة الله وتذكيراً بأن الله صدق وعده لرسوله وللمؤمنين وأنجزه لهم، ومكَّن لهم، وبدَّلهم بعد خوفهم أمناً كما وعدهم.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال واللفظ لمسلم: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى. ولفظ البخاري: قال النبي ﷺ

من الغد يوم النحر وهو بمنى ثم اتفقا أنه قال: «**نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر، وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يُسْلِمُوا إليهم رسول الله ﷺ**» يعني بذلك المُحَصَّب. وفي لفظ للبخاري من حديث أسامة بن زيد قال: قلت يا رسول الله! أين تنزل غداً ـ في حجته ـ قال: «**وهل ترك لنا عقيلٌ منزلاً؟**» ثم قال: «**نحن نازلون غداً بخَيف بني كنانة المحصَّب حيث قاسمتْ قريش على الكفر**، وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم أن لا يبايعوهم ولا يؤووهم». قال الزهري: والخيف الوادي. وفي لفظ للبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ننزل غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**». زاد البخاري يريد المُحَصَّب. وفي لفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أراد قدوم مكة: «**مَنْزِلُنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**». وقوله: حين أراد قدوم مكة يعني بعد رجوعه من منى لطواف الوداع. وفي لفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أراد حنيناً: «**منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر**».

وهذا الحديث يشعر بأن رسول الله ﷺ كان يحب النزول في خيف بني كنانة، وهو المحصَّب، ويقال له الأبطح والبطحاء وهو مسيل واسع فيه حصباء ينتهي إليه سيل وادي منى، فكان رسول الله ﷺ ينزله ليتذكر المسلمون ما كانوا فيه، فيشكروا الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الأمن بمكة في المكان الذي تمالأت قريش فيه على قتله، وإيذاء من معه، ولما دخلت بنو هاشم وبنو المطلب مع رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب دعا رسول الله ﷺ على قريش بأن يُعين الله رسوله محمداً ﷺ بسنين كسني يوسف أو أشد، فأصاب قريشاً القحط.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري في باب: إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط من طريق مسروق قال: أتيت ابن مسعود فقال: إن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذتهم سَنَةٌ حتى هلكوا

فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك هلكوا فادع الله، فقرأ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدّخان: ١٠]، ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدّخان: ١٦]، يوم بدر، ثم قال البخاري: وزاد أسباط عن منصور: فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث. وفي لفظ لمسلم من طريق مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً فقال: «**اللهم سَبْعٌ كَسَبع يوسف**»، قال: فأخذتهم سَنَةٌ حصتْ كلَّ شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم، قال الله عز وجل: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١١] إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدّخان: ١٥] الحديث.

وقد أشار أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة إلى اجتماع قريش وتآمرهم على رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني المطلب، وأكد أنه لن يُسلم محمداً ﷺ بحال. وعتب على قريش وأشار إلى استسقاء رسول الله ﷺ لهم، وفي ذلك يقول:

ولما رأيتُ القوم لا وُدَّ فيهمو ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائِل
وقد جاهرُونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوَعُوا أمرَ العَدُوِّ المزايِلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سَمْحَةٍ ... وأبيَض عَضْبٍ من تُرَاث المقاوِل

وفيها يقول:

أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسُوءٍ أو مُلحٍّ بباطل
وثورٍ ومن أرسى ثَبِيراً مكانه ... وراقٍ ليرقى في حراءٍ ونازِل
وبالبيت حقَّ البيتِ من بطن مكةٍ ... وبالله إن الله ليس بغافِل
وبالحَجَر المُسْوَدِّ إذ يمسحونه ... إذا اكْتَنفُوهُ بالضُّحَى والأصائِل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبةً ... على قدميه حافياً غير ناعل

وفيها يقول:

كذبتم وبيتِ الله نبزى محمداً ... ولما نُطاعِنْ دونه ونُنَاضِلِ
ونُسْلِمَهُ حتى نُصرَّعَ حوله ... ونذهَل عن أبنائنا والحلائل
وينْهَضَ قوم في الحديد إليكمو ... نَهَوضَ الرَّوايا تحت ذات الصلاصل

وفيها يقول:

وما ترْكُ قوم لا أب لك سيداً ... يحُوط الذِّمار غير ذَرْبٍ مُوَاكل
وأبيض يُسْتسْقى الغمامُ بوجهه ... ثِمال اليتامى عِصْمةً للأرامل
يلوذ به الهُلَّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نِعمة وفواضِلِ

وفيها يقول:

ومرَّ أبو سفيان عَنِّي مُعْرِضاً ... كما مَرَّ قَيْلٌ من عظام المقاوِل
يفرُّ إلى نجد وبرد مياهه ... ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويُخْبِرُنا فِعل المُنَاصح أنه ... شفيق ويُخْفِي عارمات الدواخل
أَمُطعِمُ لم أَخْذِلْك في يوم نجدةٍ ... ولا مُعْظِمٍ عند الأمور الجلائل

وفيها يقول:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً ... عقوبة شر عاجل غير آجل
بميزان قسط لا يخيس شَعيرةً ... له شاهد من نفسه غيرُ عائل
لقد سفِهت أحلامُ قوم تبدلوا ... بني خلف قيضا بنا والغياطِل
ونحن الصميمُ من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزومٍ تمالوا وألَّبوا ... علينا العِدَى من كل طَمْل وخامِل

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

۞ ۞ ۞



الفصل الخامس والعشرون

شذرات من قصيدة أبي طالب اللامية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

سقت في الفصل السابق بعض أبيات قصيدة أبي طالب اللامية في تأييد رسول الله ﷺ ومعاتبة قريش لمعاداتهم رسول الله ﷺ، وفي هذه القصيدة يقول أيضاً:

أعبد مناف أنتمو خيرُ قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كلَّ واغل
فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت أحاديث وائل

وفيها يقول:

فو الله لولا أن أجيء بِسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشياخنا في المحافل
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ على كل حالةٍ ... من الدهر جدّاً غير قول التهازُل
لقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنَى بقول الأباطل
حَدِبْتُ بنفسي دونه وحميتُه ... ودافعت عنه بالذُّرا والكَلاكِل

وقول أبي طالب: العدوَّ المزايل أي المفارق المجانب البَيّن العداوة، وقوله: أظَنَّةً أي متهمين، وقوله: بسمراء سمحة أي برمح وقوس مواتية، وقوله: وأبيض عضب من تراث المقاوِل، أي وسيف أبيض قاطع صقيل بتار ورثناه عن آبائنا أشباه الملوك، أو مما أهدته الملوك لآبائنا، إذ المقاوِلُ جَمْعُ مِقْوَل كمنبر، وهو الملك، ويقال له أيضاً القَيْل. وقوله: وموْطئ إبراهيم في الصخر رطبة.. إلخ البيت يعني موضع قدَميْ إبراهيم عليه السلام وأثر قدميه في الحجر لما قام عليه وهو يبني الكعبة، وهو المعروف بمقام إبراهيم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، وقد أبقاه الله تعالى شاهداً على أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وتوارثت معرفة ذلك القبائل جيلاً بعد جيل، وقد وصفه الله تعالى

بأنه من الآيات البينات حيث يقول: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] وقول أبي طالب: نبزي محمداً، أي نقهره ونبطش به، والمعنى: لا نقهر محمداً ولا نبطش به وكذب من يظن فينا ذلك، وقوله: ونُسْلِمَهُ أي ولا نُسْلِمَهُ، وقوله: حتى نُصَرَّعَ حوله، أي ولن نُسَلِمَ محمداً ولن نخْذُلَهُ حتى نهْلك دونه، وقوله: ونذهل عن أبنائنا والحلائل، أي وحتى لا يبقى فينا من يتذكر ولدَهُ أو حَليلَتَهُ، وقوله: وينهض قوم في الحديد إليكمو نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل، أي وحتى نكون قد فقدنا عقولنا وصرنا كالروايا، وهي الإبل التي تحمل الماء، فوقها ذاتُ الصلاصل أي المزاداتُ التي يُسْمَعُ لها صلصلة. وقوله: وما ترك قوم لا أب لك سيداً... إلخ البيت. الذمار هو الحمى، والذرب هو الفاحش، والمواكِل هو المتخاذلُ الذي يكل أمره إلى غيره ولا رأي له، وهو يعني أن محمداً ﷺ سيدٌ يحمي حماه، ولا يترك نصرته ويُسيء إليه إلا المتخاذل الذي يكل أمره إلى غيره، وقوله: وأبيض يُسْتَسْقَى الغمام بوجهه، يعني أن محمداً ﷺ ذو منزلة كريمة عند الله، وهو يُسْتَسْقَى به المطر، وقد أشار أبو طالب بهذا إلى قصة القحط الذي أصاب قريشاً بسبب دعاء رسول الله ﷺ عليهم، وأنهم لما اشتد بهم القحط وأجدبوا جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ وهم بمكة وطلب من رسول الله ﷺ أن يَسْتَسْقَي لهم وأن يطلب من الله أن يغيثهم، فاستسقى لهم فنزل عليهم الغيث لكنهم مع ذلك استمروا على كفرهم وعنادهم، على حدِّ قوله تعالى في ذلك: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٥]، أي مستمرون على كفركم وضلالكم وعنادكم.

وقد ذكر البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول الشاعر، وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يَسْتسْقِي فما ينزل حتى يجيش كلُّ ميزاب:

وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمةً للأرامل

وهو قول أبي طالب. وقوله: ثمال اليتامى، أي يحوط اليتامى ويرعى شؤونهم ويتولى أمورهم، ويقوم بحاجتهم، وقوله: عصمةً للأرامل، أي يعصم الأرامل ويحفظهن ويمنعهن مما يضرهن ويحميهن، والأرامل جمع أرملة وهي الفقيرة التي لا زوج لها، وقد يستعمل في الرجال على سبيل التوسع على حدّ قول الشاعر:

تلك الأرامل قد قضَّيْتَ حاجتها فمن لحاجة هذا الأرْمل الذكر

وقوله: يفر إلى نجد، أي يخذلنا أبو سفيان ويهرب منا إلى الطائف طلباً لبرد مياهه، فالمراد بنجد في هذا البيت هو الطائف لارتفاعها، إذ النجد ضد الغور، وقوله: ويُخْفي عارمات الدواخل، أي ولا يُظْهِرُ ما يمتلئ به قلبه من الحقد علينا؛ فالعارمات هي الدواهي الشديدات، والدواخل جمع داخلة وهي النية والمذهب. وقوله: لا يخيس شعيرة، أي لا يخطئ مقدار حبة شعير. وقوله: غير عائل أي غير جائر، وقوله: قيضا بنا، أي عِوَضاً عنا، وقوله: والغياطل هم فخذٌ من بني سهم بن عمرو بن هصيص كان يقال لأمهم الغيطلة، والغيطلة تطلق على الظلمة الشديدة والشجر الملتف واختلاط الأصوات والبقرة الوحشية وغلبة النعاس. وقوله: تمالوا أي تمالؤوا واجتمعوا وتشايعوا، وقوله: وألَّبُوا علينا أي سارعوا وجمعوا واجتمعوا علينا بالظلم والعداوة والتحريض والإفساد، وقوله: من كل طِمْل: الطِملُ هو الرجل الفاحش الذي لا يبالي ما صنع، وتطلق الطمولة على اللئيم والأحمق واللص. وقوله: وخامِل: الخامل هو الساقط الذي لا نباهة له. وقوله: فلا تُشركوا في أمركم كل واغل أي فلا تُدْخِلُوا في شؤونكم الواغل، وهو الضعيف النَّذْل الساقط المقصر في الأشياء المتطفل على الناس في طعامهم وشرابهم. وقول أبي طالب: فو الله لولا أن أجيء بسُبَّة تُجر على أشياخنا في المحافل، لكُنَّا اتبعناه... إلى آخر البيت. أي لولا أن دخولي في الإسلام يُلْحِق بآبائنا الذَّمَّ بأنهم ماتوا على غير الهدى ويسمُهُم أهل المحافل والمجالس بالنقص لذلك لكنت سارعت إلى الدخول في الإسلام، لأني موقن أن محمداً رسول الله ﷺ ولا يمنعني من الدخول في دينه إلا التزامي بما كان عليه آبائي، ويؤكد ذلك أبو

طالب بقوله: لقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ لدينا.. إلخ. ولذلك قال أبو طالب في نونيته المشهورة:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أُوسَّدَ في التراب دفِينا
ودعوتني وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبلُ أمينا
وعرضتَ ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارىَ سُبَّةً لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والعشرون

قصيدة أبي طالب الدالية ووفاته ووفاة خديجة رضي الله عنها

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

استمر حصار قريش لبني هاشم وبني المطلب نحو ثلاث سنوات حتى أصاب المسلمين ومن معهم جهد شديد، فأكلوا ورق الشجر والجلود اليابسة ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، وكانت قريش تؤذي من أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات، إلى أن قام في نقض الصحيفة نفرٌ من قريش كان من أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث العامري، وكان هشام واصلاً لبني هاشم لِرِحمٍ كانت بينه وبينهم، وقام معه في نقض الصحيفة زهيرُ بنُ أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، كما كان معهما المطعم بن عدي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فاتعدُوا خطم الحجون ليلاً بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم على نقض الصحيفة فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلَّةٌ، فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام، ونَلْبَس اللباس وبنو هاشم هلكى لا يُباعُ ولا يُبْتَاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفةُ القاطعةُ الظالمةُ، فقال أبو جهل ـ وكان في ناحية المسجد ـ: كذبت والله لا تشقّ، فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كُتِبَتْ، فقال أبو البَخْتري: صدق زمعة لا نرْضى ما كتب فيها، ولا نُقِرُّ بِهِ، فقال المطعمُ بنُ عَدِيٍّ: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأُ إلى الله منها ومما كتب فيها، فقال هشام نحواً من ذلك، فقال: أبو جهل: هذا أمر قُضِي بليل، تُشُوور فيه بغير هذا المكان، فقام المطعم إلى الصحيفة فشقَّها، وبعد أن شُقَّت الصحيفة، خرج بنو هاشم وبنو المطلب من

الشِّعب، وخرج مِنْه من معهم من المسلمين، فقال أبو طالب قصيدة داليَّةً يمتدح فيها أولئك النفر الذين قاموا في نقض الصحيفة، ويبعث البشرى بذلك إلى المهاجرين بالحبشة، ويمدح بني هاشم وبني المطلب الذين آزرُوه في نصرة رسول الله ﷺ، وفي ذلك يقول أبو طالب:

ألا هل أتى بَحْرِيَّنا صُنْعُ ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرْوَدُ
فَيُخْبرُهُم أن الصحيفة مُزِّقَتْ ... وأنْ كلَّ من لم يَرضَهُ الله مُفْسِدُ
تراوحها إفك وسحر مُجمَّعٌ ... ولم يُلْفَ سحرٌ آخرَ الدهر يَصْعَدُ
تداعى لها من ليس فيها بقرقرٍ ... فطائرُها في رأسها يتردَّدُ
وكانت كِفَاءً رُقعَةً بأثِيمَةٍ ... ليُقْطع منها ساعدٌ ومقلَّدُ
ويظْعَن أهلُ المكَّتين فيَهْرَبُوا ... فرائِصُهُمْ من خشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ
ويُتْرَكُ حرَّاثُ يُقَلِّبُ أمْرَهُ ... أيُتْهمُ فيهم عند ذاك ويُنْجِدُ
وتصْعد بين الأخشبين كتيبةٌ ... لها حِدْجٌ سَهْمٌ وقوْسٌ ومِرْهَدُ
فَمَنْ يَنْشَ من حُضَّارِ مكة عِزَّةً ... فعزَّتُنا في بطن مكة أتْلَدُ
نَشَأْنا بها والناسُ فيها قلائلٌ ... فلم نَنْفَكِكْ نَزْدادُ خيراً ونُحْمَدُ
ونُطْعِمُ حتى يَتْرُكَ الناسُ فضْلهُمْ ... إذا جَعَلتْ أيدي المُفِيضينَ تُرْعَدُ
جزى الله رهطاً بالحَجُون تجمَّعُوا ... على مِلإٍ يهْدي لِحَزْمٍ ويُرْشِدُ
قُعُوداً لدَى خَطْم الحَجُون كأنهم ... مقاولةٌ بل هم أعَزُّ وأَمْجَدُ
أعَان عليها كلُّ صَقْرٍ كأنه ... إذا ما مشى في رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْرَدُ
جَرِيءُ على كل الخُطُوبِ كأنه ... شِهابٌ بكَفَّيْ قابِسٍ يتوَقدُ
من الأكرمينَ من لؤي بن غالبٍ ... إذا سيم خسفاً وجهُهُ يتربَّدُ
طويلُ النِّجادِ خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ ... على وجهه يُسْقَى الغمامُ ويُسْعَدُ
عظيمُ الرَّماد سيدٌ وابنُ سيدٍ ... يَحُضُّ على مقْري الضيوف ويَحْشُدُ
ويبني لأبناء العَشيرة صالحاً ... إذا نحنُ طُفْنَا في البلاد ويَمْهَدُ
ألظَّ بهذا الصُّلْح كلُّ مُبَرَّئٍ ... عظيم اللِّواءِ أمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ
قضوا ما قضوا في ليلِهِمْ ثم أصْبَحُوا ... على مهلٍ وسَائِرُ الناسِ رُقَّدُ

هُمُوا رَجَعُوا سهْل ابن بيضاء راضياً وَسُرَّ أبو بكر بها ومحمدُ
متى شُرِّك الأقوامُ في حَلِّ أمرنا وكُنَّا قديماً قبلها نُتَوَدَّدُ
وكنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظلامةً ونُدْرِك ما شئنا ولا نَتشَدَّدُ
فيال قُصَيٍّ هل لكم في نفوسكم؟ وهل لَكُمُو فيما يجيء به غَدُ
فإني وإياكم كما قال قائلٌ لديك البيانُ لو تكلَّمْتَ أسْوَدُ

وقول أبي طالب: بَحْرِيَّنَا يعني الذين بأرض الحبشة من المسلمين، وقد نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه في طريق هجرتهم إلى الحبشة، وقوله: والله بالناس أرودُ، أي والله أرفق بالناس، ومنه: رويدك أي رفقاً، وقد جاء بلفظ التصغير؛ لأنهم يريدون به تَقْليلاً، أي أرفق قليلاً وليس له مُكبّرٌ من لفظه. والقرقر: الذليل؛ لأن القرقر في الأصل هو الأرض الموطوءة التي لا تمنع سالكها، ويجوز أن يكون المراد: ليس بذي هزْل؛ لأن القرقرة الضحك، وقوله: فطائِرُها في رأسها يتردد أي فحظُّها من الشؤم والنحس ملازم لها لا يفارقها، والرُّقعة بضم الراء هي التي تكتب، والمقُلَّدُ: موضعُ القلادة من العُنُق، وقوله: ويظعن أهل المكتين فيهربوا، أي ويغادر ويسافر أهل مكة ويفروا منها خوفاً على أنفسهم، والمراد بالمكتين مكة وإنما أوردها بلفظ التثنية لأنهم كانوا يكثرون في أشعارهم من تثنية البقعة الواحدة كقول الشاعر:

بالرقمتين له أجر وأعراس والحُمَّتَيْن سقاكِ الله من دار

وقول زهير بن أبي سلمى المزني: ودارٍ لها بالرقمتين وكقول عنترة:

كيف القرارُ وقد تَرَبَّعَ أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغَيْلَم

وكقول عنترة أيضاً:

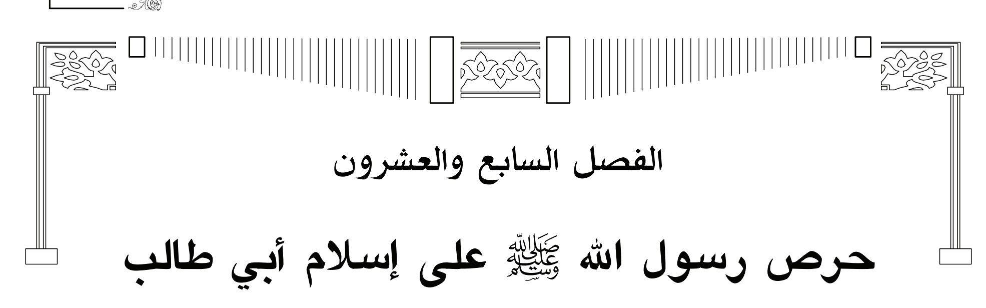
شربَتْ بماء الدُّحْرُضين فأَصْبَحَتْ زَوْرَاء تَنْفرُ عن حياض الدَّيْلَم

وكقول الشاعر: تَسْأَلُني برامتيْن سلْجَما.

فالرَّقْمَةُ الروضة، وقد ثنَّاها الشاعر: وعنيزة اسم موضع، وقد ثناها الشاعر كذلك. والدُّحْرُضُ ماء، وقد ثنَّاه كذلك، ورامةُ موضع بالبادية وقد ثنَّاهُ الشاعر أيضاً. والمراد بالمفيضين في قوله: إذا جعَلَتْ أيدي المفيضين تُرْعَدُ، أي المفيضين

بالقداح في المسير، وكان لا يُفيض معهم في الميسر إلا سَخِيٌّ، كأن أبا طالب يصفهم بأنهم يطعمون إذا بخل الناس، وقوله: جزى الله رهطاً بالحجون تجمعوا، يريد بهم هشام بن عمرو العامري، وزهير بن أبي أمية المخزومي، والمطعم بن عدي، وأبا البخْترِي بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وقوله: خَطْمِ الحَجُون، أي مقدمة الحجون، فالخطْم المقدمة، والحَجُون موضع بأعلى مكة، وقوله: كأنهم مقاولة، أي كأنهم ملوك، وقوله: كأنه إذا ما مشى في رفرف الدرع أحرد، أي كأن الواحد من هؤلاء الرهط إذا مشى كأنه صقر يمشي بطيئاً لثقل ما عليه من لباس الحرب، فرفرف الدرع هي فضولها وجوانبها وما تدلى منها، والحَرَدُ هي أن تثقل الدرع على الرجل فيتثاقل في المشي فيصير كالمتبختر، وقد روي بلفظ أجرد بالجيم بدل أحرد بالحاء والأجرد السَّبَّاق. وقوله: جَرِيٌّ على كل الخطوب، أي شجاعٌ في جميع أحواله وشؤونه، وقد روي: على حل الخطوب، كما روي على جُلَّى الخطوب، أي عظائم الأمور وكبار الحوادث. وقوله: همو رجعوا سهل بن بيضاء... إلخ البيت، أي إن هؤلاء الأماجد الذين مزقوا صحيفة المقاطعة تسببوا في عودة سهل ابن بيضاء إلى داره بمكة مسروراً كما سُرَّ بذلك أبو بكر الصديق ومحمد رسول الله ﷺ، وسهل ابن بيضاء هو سهل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر ويعرف بابن البيضاء، والبيضاء هي أُمُّهُ وهي دعد بنت جحْدم بن أمية ابن ضَرِب بن الحارث بن فهر، وبنو البيضاء ثلاثة سهل وسهيل وصفوان. وقول أبي طالب لديك البيان لو تكلمت أسود، هو مثلٌ يُضرب لمن يحاول استنطاق من لا ينطق، وأصله أن قتيلاً قتل عند جبل يقال له أسود ولم يعرف القاتل، فقال قائل: لديك البيان لو تكلمت أسود، أي أنت أيها الجبل لو كنت تنطق لكشفت حقيقة القاتل وشهدت عليه، هذا وقد كان خروج بني هاشم وبني المطلب من الشعب في السنة العاشرة من البعثة النبوية، وقد مات أبو طالب بعد أشهر من خروجهم من الشعب، وكذلك ماتت خديجة رضي الله عنها في هذه السنة نفسها فاشتدت المصائب على رسول الله ﷺ وهو صابر محتسب يبلغ رسالة الله، والله يعصمه من الناس.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل السابع والعشرون

حرص رسول الله ﷺ على إسلام أبي طالب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها بعد أشهر من خروج بني هاشم وبني المطلب من الشعب، وقد كان أبو طالب عضداً لرسول الله ﷺ، يرد عنه كيد المشركين. كما كانت خديجة رضي الله عنها وزيرة صدق لرسول الله ﷺ، وقد حرص رسول الله ﷺ على إسلام أبي طالب، ولكن الله يهدي من يشاء، وهداية القلوب بيد الله وحده، وقد أصر أبو طالب على دين آبائه خشية أن تناله سُبَّةٌ بأنه رغب عن دين عبد المطلب!

فقد روى البخاري في صحيحه من طريق ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «**أي عَمِّ، قل لا إله إلا الله كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب: فقال النبي ﷺ: «**لأَسْتَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عنه**» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]. وفي لفظ للبخاري من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: أيْ عَمِّ، قل لا إله إلا الله أُحَاجُّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ: «**لأستَغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْه عنك**» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وفي لفظ للبخاري من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرتْ أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة، فقال: أي عمِّ قل لا إله إلا الله كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغَبُ عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضُها عليه ويُعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم: على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**» فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التّوبَة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦].

وفي لفظ للبخاري من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «**يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**» فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية [التّوبَة: ١١٣].

وفي رواية مسلم من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**» فأنزل الله تعالى ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي

قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وفي رواية لمسلم من حديث العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: «**نعم، وجدته في غَمراتٍ من النار فأخرجتُه إلى ضَحْضاح**».

وفي رواية للبخاري في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضبُ لك؟ قال: «**هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**». وفي رواية للبخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجْعَلُ في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يَغْلي منه دماغُه**». وفي رواية لمسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغُهُ**».

وقوله: في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح، الغمرات جمع غمرة بإسكان الميم، وغَمْرَةُ الشيء شدتُه ومزْدَحُمُهُ. والضحضاح أصله الماء اليسير الذي يصل إلى الكعبين، والمراد هنا أنه أخرج إلى مكان من جهنم يصل إلى كعبيه فقط كأنه لابس نعلين من النار، ولكنه مع ذلك يغلي منهما دماغه، وموت أبي طالب بهذه الصفة آية بينةٌ على أن الله تعالى هو وحده لا شريك له المهيمنُ على خلقه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، يهدي من يشاء فضلاً ويُضل من يشاء عدلاً، وأن الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين ليسوا بمسيطرين على خلق الله، ولذلك صارت زوجةُ نوح

وولُده وزوجةُ لوط وأبو طالب إلى ما صاروا إليه، وصارت زوجة فرعون إلى ما صارت إليه مما أوضحه القرآن الكريم وجلَّاه؛ ليعلم الناسُ أن الأمر كله لله، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولله الحكمة البالغة والحجةُ القاطعة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها.

كما أن في هذا دليلاً ساطعاً على الفرق بين علم القلب وتصديقه، فعامة أهل مكة كانوا في قرارة قلوبهم يعلمون أن محمداً رسول الله، وأنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا شاعر، على حدّ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وعلى حدّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤].

نسأل الله ﷻ أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وأن يُثَبِّتَنَا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا أو إلى أحدٍ سواه طرفة عين.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والعشرون

أبناء خديجة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

أشرت في ختام الفصل السابق إلى موت أبي طالب بعد خروج بني هاشم وبني المطلب من الشعب، وقد توفيت كذلك في هذه السنة وهي السنة العاشرة من البعثة النبوية، الصِّديقَةُ خديجة بنت خويلد زوجةُ رسول الله ﷺ، وقد كانت نعم العون لرسول الله ﷺ، وكانت قد بلغت نحو خمس وستين سنة عاشت فيها مع رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة كانت فيها المثل الأعلى للزوجة الصالحة، وقد رزق الله تعالى منها رسوله محمداً ﷺ القاسم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وقد مات القاسم قبل البعثة، أما بناته فقد أدركن الإسلام وهاجرن مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة مدة حياتها معه ﷺ، وقد بشرها رسول الله ﷺ بالجنة.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأة لرسول الله ﷺ كما غِرْتُ على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، وثنائه عليها، وقد أُوحِيَ إلى رسول الله ﷺ أن يبشِّرها ببيت لها في الجنة من قصب. وفي لفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كَنْتُ أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربُّه أن يُبَشِّرَها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان ليذبح الشاة ثم يُهْدي في خُلَّتها منها. وقد رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصَب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها، وفي لفظ لمسلم من حديث

عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أُدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقولُ: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة. قال: فأغضبتهُ يوماً فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد رُزِقْتُ حُبَّها**». وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما غِرْتُ للنبي ﷺ على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط. وفي رواية للبخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومنِّي، وبشِّرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وفي رواية للبخاري ومسلم واللفظ لمسلم من طريق إسماعيل قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أكان رسول الله ﷺ بشر خديجة ببيت في الجنة؟ قال: نعم. بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وفي لفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: بشر رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة. كما روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالةُ بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك، فقال: «**اللهم هالةُ بنتُ خويلد؟**» فَغِرْتُ فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدقين هَلكت في الدهر، فأبْدَلك الله خيراً منها؟ وفي لفظ البخاري: فارتاع بدل قولها عند مسلم: فارتاح لذلك.

قال السهيلي: وإنما بشرها ببيت في الجنة من قصب يعني قصب اللؤلؤ؛ لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان. لا صخب فيه ولا نصب؛ لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ولم تُتْعِبْه يوماً من الدهر، فلم تَصْخَبْ عليه يوماً ولا آذَتْه أبداً. اهـ.

والصخبُ هو الصوت المرتفع المختلط، والنَّصَبُ هو المشقة والتعب، وقول عائشة رضي الله عنها: ما غرت على امرأة. هو من الغيرة وهي الحمية والأنفة، وهو يدل على أن الغيرة غير مستنكرة من فاضلات النساء؛ لأنها تدل على شدة حبها لرسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: خير نسائها مريمُ بنتُ عمران وخير نسائها خديجة بنتُ خويلد.

وبعد موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يصلون إليه ولا يقدرون عليه، غير أن رسول الله ﷺ استمر يصدعُ بأمر الله ويقرأ القرآن على قريش، محتسباً عند الله عز وجل ما يناله منهم من الأذى، واجتهدت قريش في الصد عن سبيل الله، وكان رسول الله ﷺ يجلس في المسجد الحرام، وكان إذا جلس في المسجد يجلس إليه المستضعفون من أصحابه مثل خباب بن الأرت وعمار بن ياسر، وصهيب وأبي فكيهة ويسار مولى صفوان بن أمية وأشباههم من المسلمين.

وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: اطرد هؤلاء من مجلسك فنحن لا نرضى بالجلوس مع هؤلاء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢ ـ ٥٥].

وقد حاولت قريش أمراً عجيباً إذ طلبوا من رسول الله ﷺ أن يشاركوه في عبادة الله وأن يشاركهم في عبادة الأوثان، فأنزل الله عز وجل تيئيساً لهم مما يحاولونه من ذلك فقال: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦].

وأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦].

وقال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ (٤) فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ١ ـ ٩].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والعشرون

معجزة انشقاق القمر لرسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

بعد أن أيقن كفار قريش أن رسول الله ﷺ لن يميل إلى باطلهم، ولن يعبد ما يعبدون اجتهدوا في نصب العداوة لرسول الله ﷺ، وبذلوا كل ما يستطيعون لتنفير أحياء العرب وبخاصة من يقدُم إلى مكة من الحجاج أو المعتمرين أو التجار من رسول الله ﷺ، وكانوا يحذرونهم من أن يسمعوا من رسول الله ﷺ شيئاً ويصفونه لهم بأنه شاعر وساحر وكاهن ومجنون؛ حرصاً منهم على إطفاء نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فقد قَدِم إلى مكة الطفيل بن عمرو، وعلى الرغم من تحذير قريش له أن يسمع من رسول الله ﷺ فقد أبى الله ﷻ إلا أن يُسْمِعَه قراءة رسول الله ﷺ، قال الطفيل: فو الله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقد عرض الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ أن يهاجر إلى أرض دَوْسٍ.

فقد روى مسلم في صحيحه من طريق جابر رضي الله عنه أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! هل لك في حِصْنٍ حَصينٍ ومنْعةٍ؟ قال: حصنٌ كان لدَوْسٍ في الجاهلية، فأبى ذلك النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار. الحديث.

وقد أخذت قريش تتعنت وتطلب من رسول الله ﷺ أموراً يخرق بها نظام الكون، فطلبوا منه إحياء الموتى حتى يصدقوه، وأن يُنزل إليهم ملائكة من السماء، أو يأتي بالله، أو يفجر لهم من الأرض ينبوعاً، وأن يُحوِّل لهم جبال مكة إلى أنهار ومزارع، أو يكون له قصر من الذهب، أو أن يرقى إلى السماء،

وأنهم حتى لو رأوه يرقى إلى السماء ما آمنوا به حتى يأتيهم بكتاب من الله ﷻ يقرؤونه.

فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ أنهم لو أُجيبوا إلى بعض هذه الآيات التي يقترحونها فإنهم لن يؤمنوا، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ٧ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

وقد أيَّد الله تعالى رسوله بالمعجزات الكافية والآيات الشافية، فقد انشق القمر حتى رأوه فلقتين، لكنهم كلما رأوا آية قالوا: سحر مستمر؛ كما قال

تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ١ ـ ٥].

وقد أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما قصة انشقاق القمر، فقد روى البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية فأراهم القمر شِقَّتَيْنِ، حتى رأوا حِراءً بينهما. وروى البخاري من حديث عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى فقال: «**اشهدوا**»، وذهبت فِرقةٌ نحو الجبل. كما روى البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بِشِقَّتَين، فقال رسول الله ﷺ «**اشهدوا**»، وفي لفظ لمسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**» وفي لفظ لمسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقةً وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اشهد**»، ثم ذكر مسلم رحمه الله عن ابن عمر عن النبي ﷺ مثل ذلك، وفي لفظ لمسلم عن ابن عمر رضي الله عنه نحو ذلك إلا أنه قال: «**اشهدوا اشهدوا**». وفي رواية لمسلم من حديث أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آيةً فأراهم انشقاق القمر مرتين. وفي لفظ لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه: انشق القمر فرقتين. وقوله في الحديث وذهبت فرقة نحو الجبل، أي ذهبت قطعة من القمر في ناحية جبل حراء وبقيت قطعة في مكانه.

وقوله: اشهدوا أي اضبطوا ذلك بالمشاهدة، وقوله في بعض ألفاظ الحديث: فكانت فِلقة وراء الجبل وفلقة دونه، وقوله في بعض ألفاظه: حتى رأوا حراءً بينهما، وقوله في بعض ألفاظه: فستر الجبل فِلْقةً وكانت فلقة فوق الجبل كلها بمعنى واحد؛ لأنه إذا نزلت قطعة تحت حراء وبقيت قطعةٌ منه فهو بينهما،

وكذلك إذا ذهبت فرقة عن يمين حراء أو شماله. وقوله في بعض ألفاظ الحديث: فأراهم انشقاق القمر مرتين، هو بمعنى قوله: اشهدوا اشهدوا أي إنه طلب منهم أن يشهدوا مرتين: وقال بعض أهل العلم: المراد بمرتين أي فرقتين، قال ابن كثير: الظاهر أنه أراد فرقتين، وقد أيد ابن القيم رحمه الله وكذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري أن المراد بالمرتين يعني فرقتين.

وقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ أن يصدع بأمر الله، وأن لا يحزن على تكذيب قريش وغيرهم من الكافرين له. وأعلمه أنه يكفيه المستهزئين ويدفع عنه شرهم وكيدهم ومكرهم، وأوصاه أن يستعين عليهم بتسبيح الله وتمجيده وتحميده حيث يقول عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٩].

وكما قال عز وجل: ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨ ـ ٨٩].

وكما قال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١٠ ـ ١١].

وقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكما قال عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٨ ـ ١٠٩].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثلاثون

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن الله تبارك وتعالى وصَّى حبيبه ورسوله محمداً ﷺ أن يصبر على ما يصيبه من الأذى من قومه، وأن لا يستعجل لهم حيث يقول: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد ضرب الله تبارك وتعالى له أمثلة كثيرة مما وقع لإخوانه الأنبياء، وأنهم صبروا على ما كُذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله، ولا مبدل لكلمات الله حيث يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤ ـ ٣٥].

وقد ساق الله تبارك وتعالى كثيراً من قصص الأنبياء في كتابه الكريم؛ ليثبت بها فؤاد رسول الله ﷺ ولتكون عبرة لأولي الألباب، وفي ذلك يقول: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ١٢٠].

وقال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١٠ ـ ١١١].

وقد أراد الله تبارك وتعالى أن يري محمداً ﷺ من آياته الكبرى، وأن

يرفع درجته فوق درجات جميع النبيين والمرسلين، وأن يبين له مكانته عند أهل السموات العُلى، ويرى بعينه عجائب قدرة الله وأن يُعاين سِدْرة المنتهى، فأسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به جبريل إلى السموات العُلى. ولقي جملة من إخوانه الأنبياء، وفرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس. ورجع إلى مكة في جزء من هذه الليلة المباركة، وقد ذكر الله الإسراء في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وأشار إلى قصة المعراج في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٨].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما قصة الإسراء والمعراج، فقد أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به: «**بينما أنا في الحطيم** ـ وربما قال في الحِجْر ـ **مضطجعاً إذ أتاني آتٍ فَقَدْ قال وسمعته يقول: فشَقَّ ما بين هذه إلى هذه،** فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به؟ قال: من ثُغْرةِ نحرهِ إلى شعْرته، وسمعته يقول من قَصَّه إلى شعرِته، **فاستخرج قلبي، ثم أتيتُ بطَسْتٍ من ذهب مملوءةٍ إيماناً فَغُسل قلبي، ثم حَشي، ثم أُتيتُ بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض،** فقال له الجارود: هو البُرَاقُ يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، **يضع خطوه عند أقصى طَرْفِهِ، فحُمِلْتُ عليه، فانْطلق بي جبْريلُ، حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسَلِّمْ عليه. فسلمتُ عليه فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل**

إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فَسَلِّم عليهما، فسلمتُ فردَّا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسَلِّمْ عليه. فسلمتُ عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرْسِلَ له؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلّم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يُبْكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعِث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلّم عليه، فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفُعَتْ لي سدرة المنتهى، فإذا نبقُها مثل قِلَاَل هَجَر، وإذا ورقُها مثل آذان الفيلةِ، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعةُ أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت:

ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفراتُ، ثم رُفِع لي البيتُ المعمورُ يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم أُتيتُ بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرةُ، أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليَّ الصلواتُ خمسين صلاةً كلَّ يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أُمرتَ؟ قال: أُمِرْتُ بخمسين صلاةً كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربتُ الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأُمِرْتُ بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: مثله؟ فرجعت فأُمرتُ بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بم أُمرت؟ قلت: أُمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلِّمُ، قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي.

ولم تذكر رواية البخاري هذه الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وقد أوردها مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُتيتُ بالبراق وهو دابة أبيض طويلٌ فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال:

قد بُعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحَّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ﵇، **فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ إذا هو قد أُعْطي شطر الحُسْن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﵇ قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله ﷻ:** ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريَم: ٥٧] **ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون ﷺ فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ﵇ قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ﷺ، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسْنِداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يُطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف على أمتي، فحط**

عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمسُ صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنةً، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً، قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، فقال رسول الله ﷺ: «**فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه**».

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والثلاثون

عشرة أقوال في وقت المعراج

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

سقتُ في الفصل السابق ما أورده البخاري من طريق أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما وما أورده مسلم من حديث أنس رضي الله عنه من قصة الإسراء والمعراج. وقد جاء في لفظ للبخاري ومسلم من طريق أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد ﷺ، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعدٌ، على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة، إذا نظر قِبَل يمينه ضَحِك، وإذا نظر قِبَل يساره بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودةُ عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهلُ اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى**». **الحديث.**

وفي آخره من لفظ البخاري: «**ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدْخِلْتُ الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**».

وأما لفظ مسلم في آخره: «**ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثم أُدْخِلْتُ الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**». اهـ.

وقوله في لفظ البخاري: حبايل اللؤلؤ، أي فيها عقودٌ وقلائدُ من اللؤلؤ. وفي رواية للبخاري أوردها في أحاديث الأنبياء من طريق أنس عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: جنابذ اللؤلؤ، كلفظ مسلم، والجنابذ هي جمع جُنْبُذة وهي القبة وما ارتفع من البناء، قال الحافظ في الفتح: فهو فارسيٌّ معرب، وأصله بلسانهم كُنْبذة بوزنه لكن الموحدة مفتوحة، والكاف ليست خالصة، ويؤيده ما رواه المصنف في التفسير من طريق شيبان عن قتادة عن أنس قال: لما عُرج بالنبي ﷺ قال: «**أتيت على نهر حافتاه قِبابُ اللؤلؤ**». اهـ.

هذا وقد كان الإسراء والمعراج بجسم رسول الله ﷺ وروُحه يقظةً لا مناماً في جزء من ليلة واحدة، فإن رسول الله ﷺ لما أصبح من ليلة الإسراء والمعراج وأخبر أهل مكة بذلك استغربوا ذلك أيما استغراب وأنكروه أشد الإنكار. ولو كان مناماً ما استنكره أحد، فإنك لو أخبرت أحداً أنك طفت الدنيا كلها في لحظة واحدة في المنام ما استنكر ذلك ولا استغربه، وقد أشار الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم إلى فتنة الناس بقصة الإسراء والمعراج، حيث ازداد المشركون كفراً وعناداً، وازداد المؤمنون تصديقاً وإيماناً، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسْري به، كما أن قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسرَاء: ١] يفيد أنها كانت بالجسم والروح، فإن العبد إنما يطلق على مجموع الروح والجسد، وقد طلبت قريش من رسول الله ﷺ أن يصف لهم بيت المقدس لعلمهم أنه لم يره في حياته فجلَّاه الله لرسوله ﷺ حتى وصفه لهم.

فقد روى البخاري في صحيحه من طريق أبي سلمة قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لما كذبتني قريش قمت في الحِجْر فجلَّى الله لي بيت المقدس، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه. زاد

يعقوب بن إبراهيم: حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه: لما كذَّبني قريش حتى أسري بي إلى بيت المقدس نحوه.

كما روى مسلم في صحيحه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيتُني في الحِجْر وقريشٌ تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثْبِتها فكُربْتُ كُرْبةً ما كُرِبْتُ مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جعْدٌ كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروةُ بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبُكم يعني نفسه، فحانت الصلاة فأممتُهُم، فلما فَرَغْتُ من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالكٌ صاحبُ النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام**». اهـ.

وقوله: وما جعلنا الرؤيا المراد بها هنا البصرية، فإن الرؤيا تطلق على المنامية والبصرية، فالعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا. وقوله: لما كذبني قريش، أي لما أنكرت قريش مسرى رسول الله ﷺ ومعراجه، وقوله: لم أُثْبِتْها أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها. وقوله: فكُرِبتُ كُرْبةً أي حزِنتُ حزناً أخذ بنفسي، والضمير في «مثله» من قوله: ما كُرِبْتُ مثله: يعود على معنى الكُربة أو الغم أو الهم أو الشيء كما قال النووي.

وفي قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] مع أن السُّرَى والإسراء لا يكون إلا بالليل لإفادته تأكيد أن هذه الرحلة العظيمة تمت في جزء من ليلة؛ لأن التنوين في قوله: «ليلاً» للتقليل أي في جزء قليل من الليل. والمعراج مأخوذ من عَرَج بفتح الراء يَعْرُجُ بضمها إذا صَعِدَ.

وقد اختلف العلماء في وقت المعراج على نحو عشرة أقوال، فقيل كان قبل الهجرة بنحو سنة أو سنة وشهر أو سنة وشهرين أو سنة وثلاثة أشهر أو سنة وخمسة أشهر أو سنة وستة أشهر وقيل غير ذلك. كما قيل: إنه كان في ربيع

الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في شوال، أو في رمضان، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري، في باب المعراج.

هذا ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء والمعراج جاءه جبريل عند الزوال فبيّن له كيفية الصلاة وأوقاتها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا، وصلى به جبريل في ذلك اليوم وفي اليوم التالي والمسلمين يأتمون برسول الله ﷺ وهو يقتدي بجبريل، فبين لهم أول الوقت وآخرهُ كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى وبريدة وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مسعود الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نزل جبريل فأَمَّني، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه ثم صليت معه، يَحْسُبُ بأصابعه خمس صلوات**».

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والثلاثون

خروج الرسول ﷺ إلى الطائف

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرتُ في الفصل السابق أن رسول الله ﷺ لما أخبر قريشاً بقصة الإسراء والمعراج استغربوا ذلك أشد الاستغراب، وأنكروه أشد الإنكار، وأخذوا يلاحقون رسول الله ﷺ أينما ذهب لتكذيبه، والصد عن سبيل الله، ومحاولة إطفاء نور الله بأفواههم، واشتدت فتنة المشركين، وأخذوا يبالغون في أذى المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يعرض نفسه على ثقيف لعلهم يستجيبون لله ورسوله، وينصرون دين الله، وقد أتى ابن عبد ياليل بن كُلالٍ فدعاهم إلى الله ووقف بمُشرَّقِ ثقيف، أي سوق الطائف يقرأ عليهم القرآن، وكان فيما قرأه عليهم من القرآن سورة ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطّارق: ١] فلم يجبه إلى الإسلام أحد منهم، بل ردُّوه ردّاً قبيحاً، وأعانهم على ذلك من كان بالطائف من قريش.

فقد روى أحمد في المسند فيما أخرجه ابنه عبد الله قال: حدثني أبي ثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله: وسمعته أنا من عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مُشرَّقِ ثقيف وهو قائم على قوس ـ أو عصاً ـ حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعته يقول: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ حتى ختمها، قال: فوعَيْتُها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف، فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم. فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بِصَاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه.

وقد أخرج هذا الحديث كذلك البخاري في تاريخه والحسنُ بن سفيان وابن خزيمة والطبراني في الكبير وغيرهم، وعبد الرحمن بن خالد العدواني ذكره ابن

أبي حاتم ولم يجرحه أحدٌ، وبقية رجاله ثقات. كما ذكره البخاري في التاريخ الكبير، وذكر أنه روى عن أبيه، وروى عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، وعبد الله بن محمد بن أبي شيبة هو الإمام أبو بكر بن أبي شيبة من شيوخ البخاري ومسلم، ومروان بن معاوية الفزاري من رجال البخاري ومسلم كذلك، وعبد الله بن عبد الرحمن الطائفي من رجال مسلم، وقوله في الحديث: «وقف بمُشَرَّقِ ثقيف» أي بسوق الطائف. قال في القاموس المحيط في باب القاف فصل الشين في مادة «الشَّرق» وكمُعَظَّم مسجدُ الخَيْفِ والمُصَلَّى وجبل لِهُذَيل وسُوقُ الطائف. اهـ.

وفي هذا الحديث دلالةٌ ظاهرةٌ على أن قريشاً كانت تلاحق رسول الله ﷺ أينما ذهب؛ لتصد عن سبيل الله وتحاول إطفاء نور الله، وقد أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أنه أصابه من تكذيب ثقيف هَمٌ كبير وحُزْنٌ شديدٌ، فاق ما أصابه من الحُزْن يوم أُحد، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أَشدَّ من يوم أُحد؟ قال: **«لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَلٍ، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرنِ الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلَّمَ عليَّ، ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يُخْرِجِ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»**.

وفي لفظ لمسلم: **«فناداني ملكُ الجبال، فسلَّمَ عليَّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك، لتأمرني**

بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطْبِق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

هذا وقوله في الحديث: لقيتُ من قومك ما لقيت، أي أصابني من قريش أذى عظيمٌ في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، وقوله: عرضت نفسي على ابن عبد ياليل، أي وقفت على ابن عبد ياليل وطلبت منه نصرة الإسلام والاستجابة لله ورسوله، وابن عبد ياليل بن عبد كُلال كان كبير أهل الطائف من ثقيف، وقوله: فانطلقت على وجهي، أي اندفعت نحو الجهة المواجهة لي هائماً لا أدري أين أتوجه من شدة ما أصابني من أذاهم، وقوله: فلم أستفق أي لم أفِق مما أنا فيه من الهم. وقوله: إلا بقرن الثعالب. أي إلا في المكان المعروف بقرن الثعالب، ويقال له قرن المنازل أيضاً، وهو ميقات أهل نجد، ويعرف في عصرنا بالسيل، وهي قرية بها ماء على مرحلتين من مكة شرقيها، والقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير. وقوله: ملك الجبال. أي الملك الموكَّل بالجبال. وقوله: ذلك فيما شئت أي أنا أطيعك فيما تريد أن تعاقب به قومك الذين كذبوك وآذوك، فأْمُرْني بما شئت أنَفِّذْ لك ما تُريد. وقوله: إن شئت أن أطْبق عليهم الأخشبين. أي إن شئت ضممتُ الأخشبين وجعلتهما كالطَّبَق عليهم حتى يهلكوا جميعاً. والمراد بالأخشبين: جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن الجبل المقابل لأبي قبيس المراد في هذا الحديث: وكأنه قُعيقعان، وقال الصغاني: بل هو الجبل الأحمر الذي يُشرِفُ على قُعيقعان، ووهِم من قال: هو ثور، كالكرماني، ثم قال الحافظ: وسميا بذلك لصلابتهما وغِلظَ حجارتهما والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة. ويحتمل أن يريد أنهما يصيران طبقاً واحداً. اهـ.

وقول رسول الله ﷺ: «وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل» يدل على أن منزل ابن عبد ياليل على عقبة بين الطائف وقرن الثعالب. وكان في قرن الثعالب حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وكانا في البستان وقد ألجأه السفهاء إلى الحائط فلما رآه ابنا ربيعة رقّا له، قال ابن إسحاق في

السيرة النبوية وابن كثير في «البداية والنهاية»: وأرسلا إليه بقطف من العنب مع غلام نصراني يقال له عداس فلما بدأ رسول الله ﷺ يأكل قال: «بسم الله فقال يا عم أهل هذه البلاد لا يعرفون هذا». فقال النبي ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس، وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى» فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي» فاكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

وفي قوله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». صفة بارزة مشرقة من شفقة رسول الله ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه ورحمته، وفيه يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وفيه يقول: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]. فهو الرحمة المهداة ﷺ؛ ولذلك كان المثل الأعلى في الصبر واحتمال الأذى والإحسان إلى خلق الله وصدق من سماه الرؤوف الرحيم.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والثلاثون

عرض رسول الله ﷺ نفسه على قبائل العرب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرتُ في الفصل السابق ما لقيه رسول الله ﷺ من ثقيف حينما عرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال بالطائف، وما كان من نزول جبريل ومعه ملك الجبال ليطيع رسول الله ﷺ فيما يأمره به في قومه لما صنعوه معه، وما كان من جواب رسول الله ﷺ في التأني بهم والصبر على أذاهم لعل الله يُخْرِج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى مكة. وأخذ يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج، ويغشاهم في منازلهم بمنى يدعوهم إلى الله. كما كان يخرج إلى أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز يتبع الناس في منازلهم في هذه الأسواق التي تجتمع فيها القبائل من شتى نواحي الجزيرة العربية.

فقد روى أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أُبَلِّغ كلام ربي؟**» فأتاه رجل من همدان فأجابه ثم خَشِي أن لا يتبعه قومه، فجاء إليه فقال: آتي قومي فأُخْبِرُهُم ثم آتيك من العام القابل؟ قال: «**نعم**»، فانطلق الرجل، وقد وصف الترمذي هذا الحديث بأنه حسن صحيح.

قال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر أنا إسرائيل عن عثمان يعني ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أُبَلِّغ كلام ربي** عز وجل؟» فأتاه رجل من همدان، فقال: «**ممن أنت؟**» قال

الرجل: من همدان، قال: «**فهل عند قومك من مَنَعةٍ؟**» قال: نعم، ثم إن الرجل خَشِي أن يُخْفِرهُ قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل؟ قال: «**نعم**»، وجاء وفد الأنصار في رجب. وأسود بن عامر من رجال البخاري ومسلم وأصحاب السنن وإسرائيل كذلك، وعثمان بن المغيرة من رجال البخاري وأصحاب السنن، وسالم بن أبي الجعد من رجال البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

وروى الإمام أحمد عن إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن ربيعة بن عِبَاد وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجلٌ وضيء الوجه أحول، ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب. وقد صحح هذا الحديث ابن حبان وقد كان رسول الله ﷺ يصطحب معه بعض أصحابه حين يعرض نفسه على القبائل في المواسم، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشُّهُبُ فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرْسِلتْ علينا الشُّهُبُ، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمرُ الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سَمِعُوا القرآن تَسَمَّعُوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢]، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول

الجن، وقوله: في طائفة من أصحابه أي بين جماعة من الصحابة ﷺ خرجوا معه مرافقين له ﷺ، وقوله: «عامدين إلى سوق عكاظ» أي قاصدين إلى سوق عكاظ للدعوة إلى الإسلام بين القبائل التي تشهد السوق، وسوق عكاظ موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم، وعُكاظ بضم العين وتخفيف الكاف وآخره ظاء معجمة، يقال فيه: سوق عكاظٍ وسوق عكاظَ بالصرف وعدمه، فأهل الحجاز يقولون: سوق عكاظٍ، وبنو تميم يقولون سوق عكاظَ بمنعه من الصرف.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم، وهو نخل في وادٍ بين مكة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن، وقال البكري: أولُ ما أُحْدِثت قبل الفيل بخمس عشرة سنةً، ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة، فخرج الخوارج الحرورية فنهبوها فترِكَتْ إلى الآن، وكانوا يقيمون به جميع شوال يتبايعون ويتفاخرون، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم، وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان:

سأنشر إن حَييتُ لكم كلاماً يُنَشَّرُ في المجامع من عكاظِ

وكان المكان الذي يجتمعون به منه يقال له: الابتداء، وكانت هناك صخور يطوفون حولها، ثم يأتون مجنة فيقيمون بها عشرين ليلة من ذي القعدة، ثم يأتون ذا المجاز وهو خلف عرفة فيقيمون به إلى وقت الحج. اهـ.

وقوله في الحديث: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، أي وقد حجزت الشياطين ومنعت من استراق السمع من السماء، وقوله: وأرسلت عليهم الشُّهُب. أي ورجمت الشياطين الذين يحاولون استراق السمع بالشهب، والشُّهُبُ جمع شِهاب وهو شُعْلةٌ ساطعةٌ من نار تنبعث من النجوم على الشياطين المسترقة للسمع، فتحول بينهم وبين خبر السماء، وكانت هذه الظاهرة هي إحدى الآيات الشاهدة على مبعث رسول الله ﷺ وصيانة دينه من تحريف المحرفين، وردع الكهنة والعرافين، وليس معنى ذلك أن الرمي بالشهب لم يكن موجوداً في

الجاهلية والأزمنة المتقدمة، إذ قد جاء في صحيح مسلم ما يدل على أن الرمي بالشهب كان موجوداً في الجاهلية، إلا أنه كان يحدث في حالات نادرة جداً، فلما بُعث رسول الله ﷺ وصان الله السماء من استراق السمع صار كلٌّ من يستمع من الشياطين يجدُ له شهاباً رصداً.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والثلاثون

أول نفر من الخزرج آمنوا برسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرتُ في ختام الفصل السابق أن ظاهرة الرمي بالشُهب كانت موجودة في الجاهلية والأزمنة المتقدمة إلا أنها كانت تحدث في حالات نادرة جداً وقد كان بعض أهل الجاهلية يعتقدون أنها تحدث لميلاد عظيم أو موت عظيم.

فقد روى مسلم في صحيحه من طريق ابن شهاب حدثني عليٌ بن حسين أن عبد الله بن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلِدَ الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يُرْمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربُّنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرش، ثم سبَّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال**»، قال: «**فيستخبر بعض أهل السموات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجنُّ السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويُرْمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون**».

وفي حديث مسلم هذا دليل صريح على أنهم كانوا يشاهدون هذه الشهب في الجاهلية، إلا أنها لم تكن على الحالة التي صارت إليها بعد مبعث رسول الله ﷺ، إذ قد حيل بينهم وبين استراق السمع حيلولة تامة؛ ولذلك جاء في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا

نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ١٠].

ولذلك جاء في حديث الشيخين البخاري ومسلم: وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء. وقوله: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، أي اندفع الجن الذين قصدوا تهامة فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بأصحابه صلاة الفجر بنخلة، وهو موضع بين مكة والطائف على بعد ليلة من مكة؛ وهي التي ينسب إليها بطن نخل، وقوله: فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، أي أنصتوا وأصغوا إليه. وقوله: فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، أي قال بعض هؤلاء لبعض: إن الذي حال بينكم وبين استراق السمع هو هذا الحدث العظيم بنزول هذا القرآن العجب، فآمنوا، وقوله: ورجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

وقد ذكر الله ﷻ قصة الجن هذه في سورة الجن وكذلك في سورة الأحقاف حيث يقول: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

ولا شك أن في إخبار الله تعالى رسوله محمداً ﷺ وأصحابه بقصة استماع الجن للقرآن وإنصاتهم له وسرعة إيمانهم به مواساةً لرسول الله ﷺ ولمن معه من المؤمنين، وردْعاً أيَّ رَدْع لأهل مكة ومن يليهم من المشركين الذين آذوا رسول الله ﷺ وكذَّبوه.

ولما أراد الله تبارك وتعالى إظهار دينه وإعزاز رسوله وإنجاز وعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم ليعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل

موسم، فبينما هو عند العقبة لقِي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**من أنتم؟**» قالوا: نفرٌ من الخزرج، قال: «**أمن موالي يهود؟**» قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه فسارَعوا إلى الإيمان بالله والاستجابة لرسوله ﷺ، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدُمُ عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك من هذا الدين. فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك. ثم انصرفوا راجعين إلى يثرب قد آمنوا وصدقوا ولم تحدث بينهم وبين رسول الله ﷺ بيعة، وقد كانوا ستة نفر كلهم من الخزرج من أهل يثرب الذين كانوا يسمعون من اليهود عندهم أن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه، وأنهم سيتبعونه إذا ظهر، وأنهم سيقاتلون معه أهل الأوثان، وكان هؤلاء الرهط الستة أول الأنصار إسلاماً، وقد سماهم كثير من أهل العلم وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي رضي الله عنه، وعوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي رضي الله عنه ويقال له عوف بن عفراء. ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزُّرقي الخزرجي رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته: كان أول من أسلم من الخزرج.

وروى البخاري من طريق يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع وكان رفاعة من أهل بدر، وكان رافع من أهل العقبة، وكان يقول لابنه: ما يَسُرُّني أني شهدتُ بدراً بالعقبة. اهـ. والرابع هو قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السَّلَمِيُّ الخزرجي رضي الله عنه، والخامس هو عقبةُ بن عامر بن نابيٍ بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري

السَّلمي الخزرجي رضي الله عنه، والسادس هو جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السَّلَميُّ الخزرجي رضي الله عنه، وقد توجه هؤلاء الرهط الميامين إلى المدينة بعد أن حملوا معهم كثيراً من القرآن الذي أخذوه من رسول الله ﷺ، فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم أمر رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخامس والثلاثون

بيعة العقبة الأولى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن الرهط الستة الميامين الخزرجيين لما رجعوا إلى المدينة ذكروا لقومهم الإسلام، فدخل في دين الله بدعوتهم عدد كبير، وفشا الإسلام في المدينة حتى لم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيهم ذكر رسول الله ﷺ، فلما كان العامُ المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج ورجلان من الأوس، وعزموا على الاجتماع برسول الله ﷺ، وتواعدوا معه العقبة، فاجتمعوا برسول الله ﷺ عندها، وأعلنوا لرسول الله ﷺ أنهم استجابوا لله ولرسوله، وبايعوه بيعة العقبة الأولى، وهؤلاء الاثنا عشر رجلاً هم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعقبة بن عامر بن نابي، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعوف بن الحارث، وهؤلاء الخمسة من أهل العقبة الأولى كما تقدم، وحضر معهم معاذ بن الحارث، أخو عوف بن الحارث وهما ابنا عفراء، وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق الزرقي الخزرجي، وأبو عبد الرحمن يزيدُ بنُ ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليفُ الخزرج، والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج العجلاني الخزرجي، وعُوَيم بن ساعدة بن عابس بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأوسي، وأبو الهيثم بن التيهان بن مالك بن عبيد أو عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعون بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسي رضي الله عنهم، ويسمى هؤلاء أهل العقبة الثانية وأصحاب البيعة الأولى.

قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحيِّ عن عبادة ـ وهو ابن الصامت ـ قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايَعْنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يُفترض الحربُ، على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزْني، ولا نَقْتُل أولادنا، ولا نأتي ببُهْتَانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفَّيْتُمْ فلكم الجنةُ، وإن غَشِيتُمْ من ذلك شيئاً فأمركُم إلى الله إن شاء عَذَّب وإن شاء غَفَر.

وقد روى نحو ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من طريق الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير (وهو مرثد بن عبد الله اليزني» عن الصُّنَابِحِيِّ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: إني من النُّقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وقال: بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل النفس إلا بالحق، ولا ننتهب ولا نعصي بالجنة إن فعلنا ذلك، فإن غشينا من ذلك شيئاً كان قضاءُ ذلك إلى الله.

كما أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من طريق أبي إدريس عائذِ الله يعني الخولاني أن عبادة بن الصامت من الذين شَهِدُوا بدراً ومن أصحابه ليلة العقبة أخبره أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابةٌ من أصحابه: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمْرُهُ إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**»، قال: فبايعناه على ذلك.

وفي لفظ لمسلم من طريق أبي الأشعت الصنعاني عن عبادة بن الصامت قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النساء أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا يعْضه بعضُنا بعْضاً، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أتى منكم حدّاً فأقيم عليه فهو كفارتُهُ، ومن ستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له.

ومعنى كون هذه البيعة أخذت على غرار البيعة التي أخذت على النساء أي على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء التي جاءت في سورة الممتحنة بعد ذلك عام الحديبية، فكان هذا مما ألهم الله تعالى به رسوله ﷺ، فجاء القرآن على وفْقِهِ، وهو شبيه بما كان ينزل به القرآن على وفق ما ذكره عمر بن الخطاب تأييداً له رضي الله عنه؛ ولذلك أورد البخاري رحمه الله حديث أبي إدريس الخولاني في باب بيعة النساء من صحيحه في كتاب الأحكام؛ لأنها وردت في القرآن في حق النساء حيث يقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقوله في لفظ حديث أبي الأشعث الصنعاني عند مسلم: ولا يَعْضه بعضُنا بعضاً. أي لا يرميه بالعضيهة وهي البهتان والكذب، يقال: عضَهَهُ يَعْضَهُهُ كمنعه يَمْنَعُهُ، وقال في القاموس المحيط: وعضه كمنع عضْها، ويحرك وعضيهةً وعِضْهةً بالكسر كَذَب وسحَرَ ونَمَّ، ثم قال: وكَفَرِح، ثم ذكر من معانيها على هذا الوزن فقال: وجاء بالإفك والبهتان كأَعْضه وفلاناً بهتَهُ، وقال فيه ما لم يكن، ثم قال: والعِضهُ كعِنَب الكذبُ والبهتانُ والسحر. اهـ.

وقد رجع هؤلاء الميامين إلى المدينة وأخذوا يَدعُون قومهم إلى دين الإسلام، ثم أرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ليبعث لهم رسول الله ﷺ رجلاً يقرئهم القرآن ويُفَقِّهُهُم في الدين، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي العبدري ليقرئهم القرآن وليُفقِّهَهُم في الدين، وعندما وصل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة نزل على أسعد بن زرارة رضي الله عنه وأخذ في الدعوة إلى الإسلام وتعليم القرآن، وكانوا يسمونه (المقرئ) وكان يؤمهم في الصلاة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل السادس والثلاثون

بيعة العقبة الثانية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن مصعب بن عمير عندما وصل إلى المدينة نزل على أسعد بن زرارة رضي الله عنه، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام، وتفقيه المسلمين في دين الله، وقد استجاب لله ورسوله ودخل في دين الإسلام سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهو ابن خالة أسعد بن زرارة، كما استجاب لله ورسوله ودخل في دين الإسلام أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، وهما سيدا الأوس، وقد وقف سعد بن معاذ بعد إسلامه مباشرة على قومه فقال لهم: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيْمنُنا نقيبةً، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، وازداد انتشار الإسلام بالمدينة حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات.

وقبيل موسم الحج رجع مصعب رضي الله عنه إلى مكة، فلما جاء موسم الحج خرج عدد كبير من الأوس والخزرج من المسلمين والمشركين إلى مكة للحج، وكان فيهم البراء بن معرور بن صخر بن سابق بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم ابن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، وكعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج، وابنه جابر بن عبد الله.

قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة أن أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أن أباه كعباً حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها قال: خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا، ثم قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك، فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمّه؟ قلنا: نعم. قال كعب: كنا نعرف العباس، وكان لا يزال يقدُم علينا تاجراً، قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «**هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟**» قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه. وهذا كعب بن مالك، قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: «**الشاعر؟**» قال: نعم، ثم قال كعب: ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمْرَنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً، قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسللُ تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعْب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا: نُسَيْبَةُ بنتُ كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنتُ عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سَلِمة وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد

المطلب وهو يومئذٍ على دين قومه إلا أنه أَحَبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له، فلما جلس كان أول مُتكلم العباس بن عبد المطلب فقال: يا معشر الخزرج! قال: وكانت العرب إنما يسمون هذا الحيَّ من الأنصار: الخزرج: خزرجها وأوسها: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عِزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدَعُوهُ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده، قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورَغَّب في الإسلام، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق، لنَمْنَعَنَّك مما نمنع منه أُزُرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناءُ الحروب وأَهْلُ الحلقةِ، ورِثْناها كابراً عن كابر، قال: فاعترض القول ـ والبراءُ يكلم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال حِبَالاً وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عَسَيْت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدَعنا؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أُحارِبُ من حاربتم وأُسَالِمُ من سالمتم**». قال كعب بن مالك: وقد قال رسول الله ﷺ: «**أخرِجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم**»، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعةً من الخزرج وثلاثةً من الأوس. قال كعب: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراءُ بنُ معرور ثم بايع بعدُ القومُ. فكانت هذه هي بيعة العقبة الثانية وهي العقبةُ الثالثةُ الأخيرة، وهي التي أعقبتها هجرةُ رسول الله ﷺ إلى المدينة. فكان من النقباء عبادةُ بن الصامت والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام والدُ جابر، وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن

الحارث بن الخزرج، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج وغيرهم.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: ولقد شهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها.

كما روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أنا وأبي وخالاي من أصحاب العقبة. وفي لفظ للبخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال: شهد بي خالاي العقبة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع والثلاثون

بدء هجرة المسلمين للمدينة المنورة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

عندما تمت البيعةُ الثانيةُ عند العقبة صرخ الشيطان بأعلى صوته ينادي كفار قريش يستعْدِيهم على رسول الله ﷺ وعلى من بايعه من الأنصار، فقد قال ابن إسحاق: حدثني معبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه، قال كعب: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذِ صوت سمعتهُ قط: يا أهل الجباجب ـ والجباجبُ: المنازل ـ هل لكم في مُذَمَّم والصُّباةِ معه، قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزبُّ العقبة، هذا ابن أزْيَبَ** ـ قال ابن هشام: ويُقال: ابنُ أُزَيْب ـ **أتسمع أيْ عدوَّ الله أما والله لأفرَغَنَّ لك**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفَضُّوا إلى رحالكم**» قال: فقال له العباس بن عُبدة بن نضلة: والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم**». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّةُ قريش، حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا: يا معشر الخزرج! إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهُرِنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبْغَضُ إلينا أن تنشبَ الحربُ بيننا وبينهم منكم، قال: فانْبَعَث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله: ما كان من هذا شيء، وما علمناه، قال: وصدَقُوا لم يعْلَمُوهُ، قال: وبعْضُنَا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارثُ بن هشام بن المغيرة المخزوميُّ، وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلتُ له كلمةً ـ كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا ـ يا أبا جابر! أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادتنا مِثل نَعْلَيْ هذا الفتى من

قريش؟ قال: فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إليَّ، وقال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه أَحْفَظْتَ والله الفتى. فاردد إليه نعليه، قال: فقلت: والله لا أردُّهُما، فألٌ والله صالحٌ، لئن صدق الفألُ لأسلُبَنَّهُ. اهـ.

وقوله في الحديث: يا أهل الجباجب: قال في القاموس المحيط: والجباجب الطبْلُ وجبال مكة حرسها الله تعالى أو أسواقُها أو منحر بمنى كان يُلقَى به الكروش والضخامُ من النُّوق. اهـ.

وقول الشيطان: هل لكم في مذمم والصُّبَاةِ معه يقصد بمذمم أحْمدَ خلق الله لله محمداً ﷺ، لكنَّ الشيطان وأتباعه من كفار قريش كانوا يسمونه مذمماً من عداوتهم له وليُنَفِّروا الناس عنه، كما كانوا يسمون المستجيبين لله ورسوله من أصحابه رضي الله عنهم الصُّباة أي المفارقين للدين، وقوله ﷺ: هذا أزبُّ العقبة أي هذا شيطان بالعقبة اسمه أزَبُّ، وقوله: هذا ابن أزيب أي هذا شيطان الصارخ اسم أبيه أزيبُ، قال في القاموس في معنى الأزيب: والعداوةُ والقُنفُذُ والنشاط والنشيط والقصيرُ المتقاربُ الخَطْوِ واللئيم والدَّعِيُّ والأمر المنكر والشيطان والفزع والداهية. اهـ.

وقوله: جِلَّةُ قريش أي عظماؤهم وساداتهم، وقولهم: يا معشر الخزرج، المراد بالخزرج هنا ما يعم الأنصار من الأوس والخزرج، إذ كانت العربُ تسمي هذا الحيَّ من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها، هذا وبعد أن نفر الناس من منى توجه الأنصار إلى المدينة وأظهروا بها الإسلام.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجرُ فإذا هي المدينة يثربُ**». وقوله في الحديث: وهَلي أي ظني. كما روى البخاري في صحيحه من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال ـ وهو يومئذٍ بمكة ـ للمسلمين: «**إني أُرِيتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين**» قالت: فهاجر من هاجر قِبَل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز

أبو بكر قِبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسْلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه.

وقوله: بين لابتين أي بين حرتين. وقولها: ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، أي رجع معظمهم لا جميعهم؛ لأن جعفراً رضي الله عنه تخلف مع بعض أصحابه بأرض الحبشة زمناً، وقد كان في أوائل المهاجرين إلى المدينة المنورة مصعبُ بن عمير وابن أم مكتوم وبلال وسعد بن أبي وقاص وعمار بن ياسر وعمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنهم. فقد روى البخاري في صحيحه من طريق أبي إسحاق سمع البراء رضي الله عنه قال: أول من قَدِمَ علينا مصعبُ بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار بن ياسر وبلالٌ رضي الله عنهم وفي رواية للبخاري من طريق أبي إسحاق: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعبُ بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئون الناس، فقَدِم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم عمرُ ابن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، وقوله: وكانوا يقرئون الناس، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وفي رواية الأصيلي وكريمة: فكانا يقرئان الناس وهو أوجه، ويُوَجَّهُ الأولُ: إما على أن أقل الجمع اثنان وإما على أن من كان يُقرئانه كان يقرأ معهما أيضاً. أهـ.

وقد نزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ومن معه على رفاعة بن عبد المنذر بقباء، وقد روى الإسماعيلي من طريق عبد الله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء أنهم قالوا لمصعب بن عمير لما وصل إلى المدينة مهاجراً: ما فعل رسول الله ﷺ فقال: هو مكانه وأصحابه على أثري.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والثلاثون

هجرة أبي سلمة وأم سلمة إلى المدينة المنورة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أوائل المهاجرين إلى المدينة بعد أن أذن لهم رسول الله ﷺ في ذلك، وكان من المهاجرين الأولين إلى المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزوميُّ ابنُ عمة رسول الله ﷺ برَّةَ بنتِ عبد المطلب، فقد قال ابن إسحاق: حدثني أبي إسحاقُ بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجالُ بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعُوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهطُ أبي سلمة، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا بُنَيَّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة. قالت: ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني، قالت: فكنت أخرج كل غداةٍ فأجلس بالأبطح، فما أزالُ أبكي حتى أُمْسِي، سنةً أو قريباً منها، حتى مرَّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخْرِجون هذه المسكينة؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت؟ قالت: وردَّ بنو عبد الأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته

في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ من خلق الله، قالت: أتبلَّغُ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أو ما معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله إلا الله وبُنَيَّ هذا. قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فو الله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيَّدهُ في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواحُ قام إلى بعيري فقدَّمه، فرحَّله ثم استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقباء قال: زوجُك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة، قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة اهـ.

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أكثر من راوٍ عنه، وأبوه إسحاق بنُ يسار ثقة، وسلمةُ بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ذكر البخاري في التاريخ أنه روى عن جدة أبيه أم سلمة وعن جده عمر بن أبي سلمة، قال في تهذيب التهذيب: ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يذكر فيه جرحاً، وذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين. اهـ. ووصفه ابن حجر في التقريب بأنه مقبول.

وقد كان عثمان بن طلحة يومئذٍ كافراً، ثم هداه الله للإسلام فأسلم في هدنة الحديبية، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد رضي الله عنه واستشهد بأجنادين في أول خلافة عمر رضي الله عنه.

وقد كان في أوائل المهاجرين إلى المدينة كذلك عامر بن ربيعة ومعه امرأته أمُّ عبد الله بنت أبي حثمة رضي الله عنهما، ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم إلى المدينة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة،

ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو فُتن إلا عليٌّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة ﵁ وعامر بن فهيرة، وكان أبو بكر كثيراً ما كان يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له: «**لا تعجل لعل الله يجعلُ لك صاحباً**» فيطمع أبو بكر أن يكونه، وقد بقي رسول الله ﷺ في مكة بعد هجرة أصحابه أربعة أشهر، ففي لفظ البخاري في صحيحه من حديث عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال للمسلمين: «**إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين**»، فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رِسْلك، فإني أرجو أن يؤذن لي**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «**نعم**»، فَحَبَس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليَصْحَبَهُ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورقَ السَّمُر ـ وهو الخَبطُ ـ أربعة أشهر.

وقد جاء الإذن لرسول الله ﷺ في الهجرة بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، فقد أخرج الترمذي وصححه هو والحاكم من حديث ابن عباس ﵄ أنه أُذِن لرسول الله ﷺ في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وقد جاءت الأسباب المباشرة لهجرة رسول الله ﷺ حينما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له أنصار وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من مكة إلى المدينة، وعرفوا أنهم قد نزلوا داراً يحب أهلها من هاجر إليهم، وقد صارت لهم بها منعةٌ، وأيقنوا أن رسول الله ﷺ سيلحق بأصحابه ﵃، فاجتمع أشراف قريش في دار الندوة ليتشاروا في أمر رسول الله ﷺ وماذا يصنعون به، وكانت دار الندوة لقصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً ذا شأن إلا بها، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٥٤].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والثلاثون

هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق خبر اجتماع قريش في دار الندوة للتشاور فيما يفعلونه برسول الله ﷺ، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليٌّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا عليه، فلما رأوا علياً ردَّ الله عليهم مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري، فاقْتَفوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السيرة النبوية بعد سياق هذا الحديث: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ اهـ. وكذلك حسَّن الحافظ ابن حجر إسناد هذا الحديث.

وقد جعل الله تبارك وتعالى في هجرة رسول الله ﷺ آيات بينات، فقد روى البخاري ومسلم والترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو بكر: «نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «**يا أبا بكر! ما ظنُّك**

باثنين الله ثالثهما؟» وفي اختيار غار ثور للاكتنان من المشركين سياسة نبوية، إذ إن أول ما ينصرف وهلُ المشركين للبحث عن رسول الله ﷺ هو طلبه في شمال مكة لا في جنوبها، ليقينهم أنه إذا خرج من مكة فستكون وجهتُهُ المدينة، وغار ثور يقع في جنوبي مكة على طريق المسافر إلى اليمن.

وقد نص الله تبارك وتعالى على صحبة أبي بكر رضي الله عنه لرسوله وحبيبه محمد ﷺ، وأشار إلى قول رسول الله ﷺ لأبي بكر وهو معه في الغار: ما ظنك باثنين الله ثالثهما: حيث يقول: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال الإمام البغوي في تفسير هذه الآية: قال الحسين بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نصّ القرآن، وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً لا كافراً. اهـ.

كما ذكر الله تبارك وتعالى قصة تآمر قريش على رسول الله ﷺ في محكم كتابه حيث يقول: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليوثقوك ويحبسونك، وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾ [الإسرَاء: ٧٦] أي لينفوك من مكة.

وقد روت عائشة أم المؤمنين وغيرها قصة هجرة رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري من طريق ابن شهاب قال: قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فبينا نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مُتَقنِّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فِدىً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأُذن له، فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «**أَخْرِجْ من عندك**»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك ـ بأبي أنت يا رسول الله ـ قال: «**فإني قد أُذن لي في الخروج**»، قال

أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**». قال أبو بكر: فخذ ـ بأبي أنت يا رسول الله ـ إحدى رَاحِلَتَيَّ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «**بالثَّمن**»، قالت: فجهزناهما أحثَّ الجهاز، ووضعنا لهما سُفْرةً في جِرَاب، قطعت أسماء بنتُ أبي بكر قطعةً من نطاقها، فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثَوْرٍ، فمكثا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِنٌ، يَدَّلَّجُ من عندهما بِسَحر، فيُصْبِحُ مع قريش بمكة كبائتٍ، فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك، حتى يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة ـ مولى أبي بكر ـ مِنْحَةً من غنم، فيُريحُها عليهما حين تذهب ساعةٌ من العشاء، فيبيتان في رسل ـ وهو لبنُ منحتهما ورضيفهما ـ حتى ينْعِق بها عامر بن فُهَيْرَةَ بغلس، يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل ـ وهو من بني عبد بن عدي ـ هادياً خِرِّيتاً، والخِرِّيتُ: الماهِرُ بالهداية ـ وقد غمس حِلْفاً في آل العاص ابن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمِنَاهُ، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداهُ غار ثور بعد ثلاث، يأتي براحلتيهما، فأتاهما صُبْح ثلاث، فارتحلا، وانطلق معهم عامرُ بن فهيرة، والدليلُ الدِّيليُّ فأخذ بهم طريق السواحل. وفي رواية: طريق الساحل.

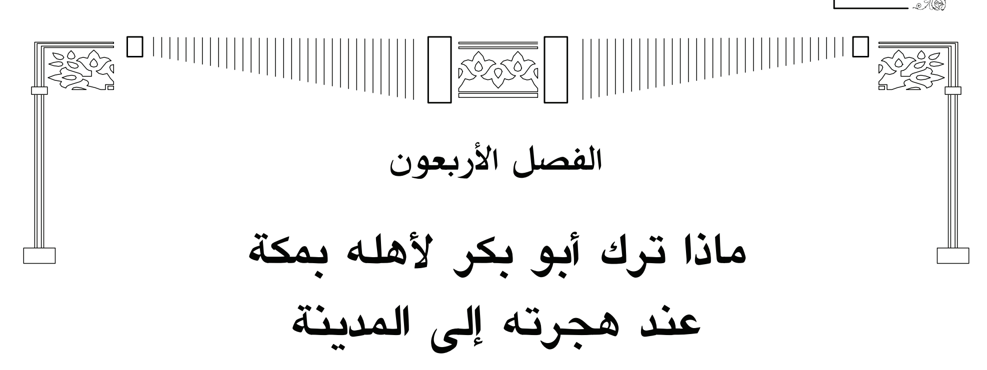
وفي رواية للبخاري أيضاً: استأذن النبيَّ ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى، فقال: «**أقم**»، فقال يا رسول الله أتطمع في أن يؤذن لك؟ فكان يقول: «**إني لأرجو ذلك**»، قال: فانتظره أبو بكر، فأتاه رسول الله ﷺ ذات يوم ظُهراً، فناداه، فقال له: «**أخرج من عندك**» قال أبو بكر: إنما هما ابنتاي، فقال: «**أشعرت أنه قد أُذِن لي في الخروج؟**» فقال: يا رسول الله الصحبة، فقال النبي ﷺ: «**الصحبة**»، فقال: يا رسول الله عندي ناقتان كنت أعددتهما للخروج، فأعطى النبي ﷺ إحداهما وهي الجدعاء، فركبا فانطلقا حتى أتيا الغار ـ وهو بثور ـ فتواريا فيه.

وفي رواية للبخاري أخرى من حديث عائشة أيضاً قالت: لقَلَّ يوم كان يأتي

على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، فلما أذن له في الخروج إلى المدينة لم يَرُعْنا إلا وقد أتانا ظُهراً، فخُبِّر به أبو بكر، فقال: ما جاء النبي ﷺ في هذه الساعة إلا من حدث، فلما دخل عليه قال لأبي بكر: «**أخرج من عندك**»، قال: إنما هما ابنتاي عائشة وأسماءُ، قال: «**أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج؟**» قال: الصحبة يا رسول الله، قال: «**الصحبة**»، قال: يا رسول الله عندي ناقتان أعددتهما للخروج، فخذ إحداهما، قال: «**قد أخذتها بالثَّمن**».

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الأربعون

ماذا ترك أبو بكر لأهله بمكة عند هجرته إلى المدينة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في الفصل السابق إلى أن رسول الله ﷺ مكث هو وأبو بكر رضي الله عنه بالغار ثلاث ليال، وأن الدليل الدِّيليَّ أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث فارتحلا، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي، وأخذ بهم الدليل طريق الساحل، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه قد احتمل معه كل ماله وقدره خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم.

قال ابن إسحاق حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه عن جدته أسماء رضي الله عنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم ـ أو ستة آلاف درهم ـ فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة ـ وقد ذهب بصره ـ فقال: والله إني لأُراهُ قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلتُ: كلا يا أبة، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوَّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعْتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيده فقلت: يا أبة ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إذ كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم. قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردتُ أن أُسَكِّن الشيخ بذلك. اهـ.

وقد صرَّح ابن إسحاق في هذا الخبر بالتحديث وشيخه يحيى بن عباد ثقة، وعبَّاد بنُ عبد الله بن الزبير كان قاضي مكة زمن أبيه وهو ثقة كذلك.

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أبو بكر إلى أبي في منزله، فاشترى منه رحْلاً، فقال لعازب: ابعث

معي ابنك يحمله معي إلى منزلي، فقال لي: احْمِله، فحملتُه وخرج أبي معه ينتقد ثمنه فقال له أبي: يا أبا بكر، كيف صنعتما ليلة سريْت مع رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، أسرَيْنا ليلتنا كلها، حتى قام قائمُ الظهيرة، وخلا الطريقُ فلا يمر فيه أحد، حتى رُفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعدُ، فنزلنا عندها فأتيت الصخرة، فسوَّيْتُ بِيَديَّ مكاناً ينام فيه رسولُ الله ﷺ في ظلها، ثم بسَطْتُ عليه فروةً، ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفُضُ لك ما حولك، فنام وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا بِرَاعٍ مُقْبلٍ بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فلقيته، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة، فقلت: أفي غنمك لبنٌ؟ قال: نعم، قلت: أفتحْلِبُ لي؟ قال: نعم، فأخذ شاةً فقلت له: انْفُض الضَّرْع من الشعر والتراب والقذى، فحلبَ لي في قَعْبٍ معه كُثْبَةً من لبن، قال: ومعي إداوةٌ أرتوي فيها للنبي ﷺ، ليَشْرَب منها ويتوضأ، قال: فأتيتُ النبي ﷺ، وكَرْهتُ أن أُوقظه من نومه، فوافقته قد استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيت، ثم قال: «**ألم يَأْنِ الرحيل؟**» قلت: بلى، قال: فارتحلنا بعدما زالت الشمس، وأتْبعنا سراقةُ بن مالك ونحن في جَلْدٍ من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أُتِينا فقال: «**لا تحزن إن الله معنا**»، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فارتطمت فرسُهُ إلى بطنها ـ أُرى ـ فقال: إني قد علمتُ أنكما قد دعوتما عليَّ: فادعوا الله لي، واللهُ لكما أن أردَّ عنكما الطلب، فدعا رسول الله ﷺ فنجا، فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: كُفِيتُمْ ما ههنا، فلا يلقى أحداً إلا ردَّه، قال: ووفى لنا. زاد في رواية أن سراقة قال: وهذه كنانتي، فخذ سهماً منها فإنك سَتَمُرُّ على إبلي وغلماني بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، قال: لا حاجة لي في إبلك.

وفي رواية للبخاري: قال ابن شهاب: أخبرني عبد الرحمن بن مالك المُدْلِجيُّ وهو ابن أخي سُراقةَ بن مالك بن جُعْشُم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جُعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتلهُ أو أَسَرَهُ، فبينما أنا جالسٌ في مجلس من

مجالس قومي بني مُدْلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سُراقة إني قد رأيت آنفاً أسْوِدةً بالساحل أراها محمداً وأصحابه، قال سراقةُ: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لَبِثْتُ في المجلس ساعة ثم قمت فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تخرج بفرسي، وهي من وراء أكمةٍ فتحسبها عليَّ، وأخذتُ رُمْحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططتُ بِزُجِّهِ الأرض، وخفضتُ عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تُقربُ بي، حتى دنوت منهم فعثُرَتْ بي فرسي، فخررت عنها فقمت، فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمتها: أضُرُّهُمْ أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي ـ وعصيت الأزلام ـ تُقَرِّبُ بي، حتى سمعتُ قراءة رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكْثِرُ الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثانٌ ساطعٌ في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أَكْرَهُ، فناديتهم: الأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي ـ حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ـ أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية ـ وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ـ وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني شيئاً، ولم يسألاني، إلا أن قالا: أخْفِ عنا ما استطعت، فسألتهُ أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رُقْعةٍ من أدم، ومضى رسول الله ﷺ، قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب بياض.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والأربعون

وصول الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وبناء مسجد قباء والمسجد النبوي

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى أن الزبير بن العوام رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ، وأن الزبير كسا رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ثياب بياض.

ثم ساق البخاري من حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير قال: وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغْدُون كلَّ غداةٍ إلى الحرة، فينتظرونه حتى يَرُدَّهُمْ حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم، فلما آوَوْا إلى بيوتهم أوْفى رجلٌ من اليهود على أُطُمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبَصُر برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيِّضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهوديُّ أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب! هذا جَدُّكم الذي تنتظرونه، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدَل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يُحَيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّل عليه بردائه. فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوفٍ بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسِّس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بَرَكَتْ عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبَداً للتَّمر لسُهَيْلٍ وسَهْلٍ غلامين يتيمين في حَجْر أسعد بن زُرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكَتْ به راحلته: هذا إن شاء الله المنزلُ، ثم

دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يَقْبَلَهُ منهما هبةً، حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَّبِن في بُنْيانِه.

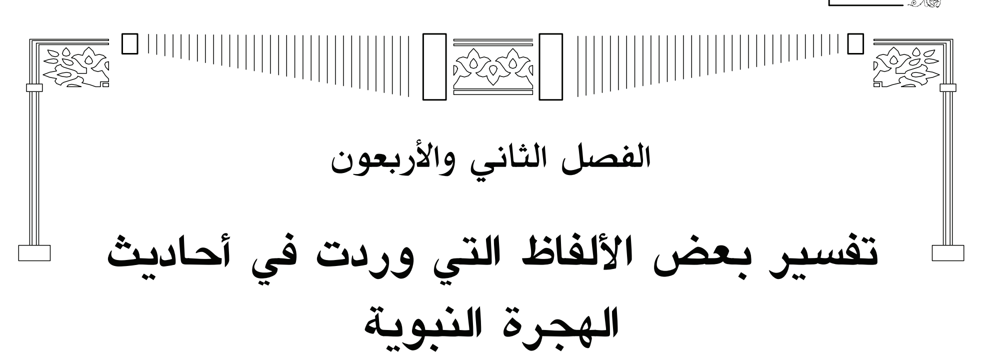
وقد جاء في رواية للبخاري ومسلم من طريق البراء بن عازب رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: فقدمنا المدينة ليلاً، فتنازعوا: أيهم ينزل عليه؟ فقال: «**أنزل على بني النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك**»، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق، ينادون يا محمد يا رسول الله يا محمد، يا رسول الله وفي رواية أخرى: جاء محمد، جاء محمد رسول الله، وفي رواية للبخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقبل نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة وهو مُردِفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعْرفُ ونبي الله شابٌ لا يُعْرفُ، قال: فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا رجل يهديني السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، فالتفت أبو بكر إذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: «**اللهم اصرَعْهُ**»، فصرعه الفرس، ثم قامت تُحمْحِمُ، فقال: يا نبي الله، مُرْني بما شئت، قال: «**فقِف مكانك، لا تتْرُكَنَّ أحداً يَلْحَقُ بنا**»، قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مَسْلحةً له، فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر، فسلَّمُوا عليهما، وقالوا: ارْكبا آمنين مطاعَيْن، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحَفُّوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله جاء نبي الله، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليُحَدِّثُ أهله، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يَخْتَرِفُ لهم، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسَمِعَ من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**أيُّ بيوت أهلنا أقربُ؟**» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي، قال: «**فانطلِقْ فهيِّئ لنا مَقيلاً**»، قال: قُومَا على بركة الله، فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبد الله بن

سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهودُ أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادْعُهُمْ فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعْلَمُوا أني قد أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ، فأرسل نبي الله ﷺ، فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسْلِموا**»، قالوا: ما نعلمه، قالها ثلاث مِرار، قال: «**فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله، ما كان لِيُسْلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان لِيُسلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان لِيُسْلم، قال: «**يا ابن سلام اخرُجْ عليهم**»، فخرج فقال: يا معشر اليهود: اتقوا الله فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت. فأخرجهم رسول الله ﷺ.

وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌ، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بالُ الولد ينزعُ إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني به جبريل آنفاً**»، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «**أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشُرُهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأةِ نزع الولد وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل نزعت الولد**»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والأربعون

تفسير بعض الألفاظ التي وردت في أحاديث الهجرة النبوية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

قد اشتمل حديث عائشة رضي الله عنها عند البخاري وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه عند البخاري ومسلم، وحديثُ سراقة بن مالك بن جَعْشُمٍ رضي الله عنه عند البخاري، وحديثُ عروة بن الزبير رضي الله عنه عند البخاري، وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند البخاري، قد اشتملت هذه الأحاديث التي تحدثت عن هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة على بعض الكلمات التي تحتاج إلى إيضاح وتفسير، وإليكم تفسيرها، قوله: «بين لابتين» أي بين حرتين، والحرة الأرض ذات الحجارة السود، وقوله: على رسلك.. أي على مَهْلِكَ، فالرِسْلُ التؤدةُ والرفق والتمهل، وقوله: قال أبو بكر: الصحابة، أي أريد المصاحبة لك في هجرتك يا رسول الله، والراحلة: البعير القويُّ على الأحمال والسَّيْر، وقوله: في نحر الظهيرة: أي أوَّلُ الزوال، وهو أشدُّ ما يكون في حرارة النهار، وقوله: «هذا رسولُ الله مُتَقَنِّعاً» أي هذا رسول الله مغطياً رأسه، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ استخفاءً من الكفار، وقوله: «أَحَثَّ الجَهَاز» أي أسرعَ الجهاز، والجَهَازُ هو ما يحتاجُ إليه في السفر. وقولها: «سُفرةً في جراب» أي زاداً في جراب، وأصل السفرة في اللغة الزادُ الذي يُصنعُ للمسافر، ثم استعمل في وعاء الزاد، والمراد في الحديث هنا نفس الزاد والجرابُ الوِعَاءُ، والنطاق: أن تشد المرأةُ وسطها بحبل أو نحوه وترفع ثوبها من تحته فتعطفُ طرفاً من أعلاه على أسفله لئلا ينالَ الأرض. وإنما سميت أسماء رضي الله عنها ذات النطاقين لأنها قطعت نطاقها قطعتين؛ فربطت بإحداهما على فم جراب سفرة رسول الله ﷺ وشَدَّت وسطها بالقطعة الأخرى، وقولها: «ثَقِفٌ» أي

حاذقٌ فَطِنٌ ثابتُ المعرفة بما يحتاج إليه، وقولها: لَقِنٌ أي سريعُ الفهم. وقوله: يَدَّلَّجُ من عندهما بسحر، تقول العرب: أدْلَج لمن سار أول الليل، وتقول: ادَّلَّجَ لمن سار آخر الليل، وقوله: فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا وعاه، أي لا يسمع عبد الله ابن أبي بكر رضي الله عنه من قريش شيئاً من تدبيرهم السيئ ضد رسول الله ﷺ إلا حفظه وضبطه وأخبر به رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، والرِّسْلُ هو اللبن الطريُّ، والرضيفُ هو اللبن المرضوف أي الذي وُضعت فيه الحجارة المحماةُ بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته، والرَّضْفُ الحجارة المحماة. وقوله: حتى يَنْعِقَ بها عامر بن فهيرة بغلس، أي حتى يصيح بالغنم عامر بن فهيرة في ظلمة آخر الليل، والنعيق هو صوت الراعي إذا زجر الغنم. وقوله: رجلاً من بني الديل، هذا الرجل هو عبد الله بن أريقط، أو ابنُ أرقط من بني عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقوله: غَمَس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، أي كان حليفاً لهم. وقوله: كَثْبة من لبن، أي قليلاً من لبن. والإداوة المطهرة، وقوله: ألم يئن الرحيل؟، أي ألم يقرب وقت الرواح؟ وقوله: في جلد من الأرض، أي أرضٍ غليظةٍ صُلْبةٍ، وقوله: أُتينا، أي أُدْرِكنا ولحق بنا أعداؤنا. وسراقة هو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، وكان منزله بُقَديدٍ، وقوله: أسودةً، أي أشخاصاً، والأكمة هي الرابية المرتفعةُ عن الأرض من جميع جوانبها. وقوله: «فخططت بِزُجِّهِ الأرض وخفضت عاليهُ» الزُّجُّ هي الحديدة التي في أسفل الرمح ومراده أنه أمسك رمحه بيده وجرَّ زُجَّه على الأرض فخطَّها به لئلا يظهر بريقهُ لمن بَعُد منه، لأنه كره أن يتبعه من قومه أحدٌ فيشركه في الجعالة التي جعلتها قريش لمن أتى برسول الله ﷺ وأبي بكر. وقوله: فرفعتها تُقرِّب بي أي أسرعت بها، والتقريب هو السيرُ دون العدْو وفوق العادة، وقيل هو أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً.

والكنانة هي كالخريطة المستطيلة من جلد تجعل فيها السهام، وهي الجُعْبَةُ، والأزلام القِدَاحُ واحدها زُلَم وزَلَم بضم الزاي وفتحها، والقِدْحُ هو السهم الذي لا نصل له ولا ريش، كانوا في جاهليتهم يتخذون هذه الأزلام ويكتبون عليها

الأمر والنهي أي افعل أو لا تفعل، وكان الرجل منهم يضعها في كنانته أو في وعائه ثم يُخرج منها عند عزمه على أمر ما اتفق له من غير قصد، فإن خرج الآمر مضى على عزمه، وإن خرج الناهي انصرف، والاستقسام طلب القَسْم، والمراد به النصيب المُغَيَّبُ عنه عند طلبه. وكانوا يطلبون ذلك من جهة الأزلام، فما أمرتهم به فعلوه، وما نهتهم عنه انصرفوا عنه، وقد وصف الله تعالى في محكم كتابه الاستقسام بالأزلام بأنه فسق. وقوله: فخرج الذي أكره، أي لا تضر محمداً وأبا بكر، وكره ذلك؛ لأنه كان يحب أن يردَّ محمداً وأبا بكر ليأخذ عن كل واحد منهما مائة ناقة من كفار قريش. وقوله: عُثانٌ، أي غُبار، وقوله: ساطع، أي مرتفعٌ في الجو حالة كونه منتشراً. وقوله: فلم يرزآني شيئاً، أي لم يأخذا مني شيئاً. وقوله: قافلين من الشام، أي راجعين من سفرهم وعائدين من الشام، وقوله: أَوْفَى أي أشرف واطَّلع، وقوله: على أُطمٍ أي من فوق أُطم، والأطمُ: بناء مرتفع، وهو الحصنُ، ويقال: كان بناءً من حجارة كالقصر. وقوله: «يزول بهم السراب»، أي يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل معناه: ظهرت حركتهم للعين، والسراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء. وقوله: مبيضين، أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير، وقوله: هذا جَدُّكم الذي تنتظرونه، أي هذا حظُّكم وصاحبُ دولتكم الذي تتوقعونه، وقوله: حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، أي ابن مالك بن الأوس بن حارثة، ومنازلهم بقباء، وكان نزوله ﷺ في بيت كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

وقوله: المسجد الذي أُسس على التقوى ـ يعني مسجد قباء ـ وقوله: «مربداً» المِرْبَدُ هو البَيْدَرُ الذي يوضع فيه التمر. وقوله: ينادون يا محمد يا رسول الله، أي يطلبون من رسول الله ﷺ أن ينزل في بيوتهم، يريد كل واحد منهم أن ينال شرف نزول رسول الله ﷺ في بيته. وقوله في حديث أنس: وهو مرِدفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعْرَفُ ونبي الله شاب لا يعرف، أي كان أبو بكر في بعض مراحل الرحلة المباركة يركب خلف رسول الله ﷺ على ناقته، وكان أبو

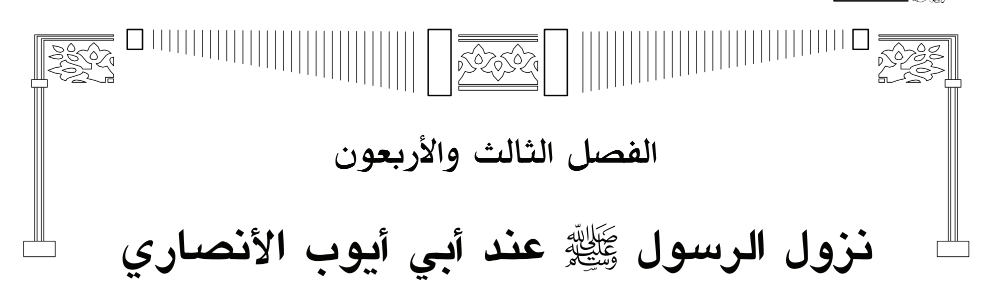
بكر كثير الأسفار للتجارة يعرفه الكثير من العرب، وكان قد بادره الشيب، بخلاف رسول الله ﷺ فإن الشيب لم يكن بادره، فمن يراه يحسبه شاباً ﷺ، ولا شك أن رسول الله ﷺ أكبر وأَسَنُّ من أبي بكر بسنتينٍ، كما كان أكمل بني آدم خَلْقاً وخُلُقاً ﷺ، وقوله: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ، أي كان سراقة بن مالك بن جعشم أول النهار باذلاً غاية ما يقدر عليه لقتل رسول الله ﷺ أو لأسره، وقوله: وكان آخر النهار مَسْلَحَةً له، أي فصار آخر النهار باذلاً غاية ما يقدر عليه في حفظ رسول الله ﷺ وصيانته من أعدائه والدفاع عنه، ولله در القائل:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن آمان

وقوله: يخترف أي يجني من الثمار.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والأربعون

نزول الرسول ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

لقد فرح أهل المدينة بقدوم رسول الله ﷺ فرحاً لم يسبق ولم يلحق له مثيل عندهم، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء».

وقد ذكرت في الفصل قبل السابق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نزل جانب دار أبي أيوب، وأنه ﷺ قال: «**أيُّ بيوتِ أهلنا أقرب؟**»، فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله.

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم السَّمَعيِّ حدثني أبو أيوب قال: لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفل، وأنا وأمُّ أيوب في العُلُوِّ، فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أكرهُ أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فكن في العُلُو وننزل نحن فنكون في السفل، فقال: «**يا أبا أيوب، إن أرفَقَ بنا وبمن يغشانا أن أكون في سُفْل البيت**». فكان رسول الله ﷺ في سُفْله وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حَبٌّ لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفةٍ لنا، ما لنا لحافٌ غيرها ننشفُ بها الماء تخوُّفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه، قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا ردَّ علينا فضلةً تيمَّمتُ أنا وأمُّ أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً ـ أو ثوماً ـ فردَّه رسول الله ﷺ فلم أر لِيَدِهِ فيه أثراً، قال: فجئته فَزِعاً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رَدَدت عشاءك، ولم أر فيه موضع يدك؟

فقال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه. قال: فأكلناه، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد. اهـ.

وقد روى مسلم في صحيحه من طريق أفلح مولى أبي أيوب عن أبي أيوب أن النبي ﷺ نزل عليه فنزل النبي ﷺ في السفل وأبو أيوب في العلو، قال: فانتبه أبو أيوب ليلةً فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتَنحَّوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**السُّفْلُ أرفَقُ**»، فقال: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السُّفل، فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعاماً فيه ثُومٌ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزِعَ، وصَعدَ إليه، فقال: أحَرَامٌ هو؟ فقال النبي ﷺ: «**لا، ولكني أكرههُ**»، قال: فإني أكره ما تكره أو ما كَرِهت، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى. اهـ.

وأبو أيوب هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، وهو معروف باسمه وكنيته، وأمه هند بنت سعيد بن عمرو من بني الحارث بن الخزرج، وأم أيوب هي بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية رضي الله عنها، وقد عرفت بكنيتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى الثناء على أبي أيوب وأم أيوب بخصوصهما في قصة الإفك حيث يقول: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّور: ١٢]، وفي قوله في الحديث: وقد انكسر حُبٌّ لنا. الحُبُّ بضم الحاء هو الجَرَّةُ الضخمة، وقوله: وكان النبي ﷺ يؤتى، أي تأتيه الملائكة وتناجيه كما جاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال: فلما رآه كره أكلها قال: «**كُلْ فإني أناجي من لا تناجي**».

هذا وبعد أن استقر رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه أمر ببناء المسجد النبوي، وكان قبل بنائه يصلي حيث أدركته الصلاة، ويصلي في مرابض الغنم، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلةً، ثم أرسل

إلى مَلَأِ بني النجار قال: فجاؤوا متقلدي سيوفهم، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر رِدْفهُ، وملأ بني النجار حوله، حتى ألقى بفناءِ أبي أيوب، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاةُ، ويصلي في مرابض الغنم، قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأِ بني النجار فجاؤوا، فقال: «**يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا**»، فقالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: فكان فيه ما أقول لكم، كانت فيه قبورُ المشركين، وكانت فيه خِرَبٌ، وكان فيه نخلٌ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنُبِشت، وبالخِرَب فسويت، وبالنخل فقطع، قال: فصفوا النخلَ قِبلةَ المسجد، قال: وجعلوا عِضادَتَيه حجارةً، قال: جعلوا ينقلون ذاك الصخر، وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم، يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خيرُ الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وقوله: في مرابض الغنم، أي في الأماكن التي تأوي إليها الغنم، وقوله: ثامنوني بحائطكم، أي قرورا معي ثمن بستانكم أو ساوموني بثمنه، وقوله: وكانت فيه خِرَبٌ، الخِرَبُ على وزن العِنَب، جمعُ خِرَبةٍ كوزن عنبة، وهو ما تخرَّب من البناء، وقوله: فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت، أي فأخرج ما في القبور من عظام المشركين ووضعت في مكان بعيد عن أرض المسجد، وقوله: وبالخِرب فسويت، أي أمر بها فرُفعت رسومها، وسويت مواضعها لتصير جميع أرض المسجد مبسوطةً مستويةً للمصلين. وقوله: وجعلوا عِضادَتيه حجارة: عِضادتا الباب في الأصل هما خشبتاه من جانبيه، ولكل باب عضادتان، وقد وضعت عِضادتا باب مسجد رسول الله ﷺ من الحجارة. وقوله: وهم يرتجزون، أي ينشدون رَجَزاً، وهو ضرب من الكلام بين الشعر والنثر.

وقد ألهم الله تبارك وتعالى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الملهَم المحدَّث، فاستشار المسلمين في وضع ابتداء للتاريخ الإسلامي فاتفق الصحابة رضي الله عنهم وأجمعوا على رأي عمر رضي الله عنه في أن يكون ابتداء التاريخ الإسلامي من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة.

قال البخاري في صحيحه: باب التاريخ: من أين أرَّخوا التاريخ؟ ثم ساق

بسنده إلى سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما عَدُّوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته، ما عَدُّوا إلا من مَقدمِهِ المدينة، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: أفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التّوبَة: ١٠٨]؛ لأنه من المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمر وهو أول الزمن الذي عزَّ فيه الإسلام، وعَبَد فيه النبيُّ ﷺ ربه آمناً، وابتدأ بناء المسجد.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والأربعون

هجرة أهل بيت الرسول ﷺ وبنائه بعائشة رضي الله عنها

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في الفصل السابق ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه في قصة بناء رسول الله ﷺ المسجد النبوي، وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفُهُ الجريدُ وعمدُهُ خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمُدَهُ خشباً اهـ.

ولما انتهى رسول الله ﷺ من بناء مسجده الشريف أمر ﷺ فبنيت له حُجرٌ لتكون مساكن له ولأهله، وكانت هذه الحُجر قصيرة البناء، قال الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله وكان غلاماً مع أمه التي كانت مولاةً لأم سلمة زوج رسول الله ﷺ ورضي الله عنها قال: لقد كنت أنال أطول سقف في حُجر النبي ﷺ بيدي. وكان أبو بكر رضي الله عنه قد نزل بالسُّنْح من العوالي في منزل خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك أخي بني الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وقد تزوج أبو بكر رضي الله عنه ابنته ومات عنها وهي حامل رضي الله عنها، وقد جهَّز العباس عمُّ رسول الله ﷺ أهل بيت رسول الله ﷺ فاطمة وأمَّ كلثوم وزوجة رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة رضي الله عنهن، ومعهن أبو رافع مولى رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد جاءت عائشة وأمها أم رومان وأسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وهي يومها حامل مُتِمٌّ بعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين، وكان أهل أبي بكر في صحبة أهل رسول الله ﷺ ومعهم عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما، فنزل آل رسول الله ﷺ معه، ونزلت عائشة مع أمها وبقية آل أبي بكر مع أبي بكر بالسُّنح، وكان رسول الله ﷺ قد تزوج عائشة بمكة بعد موت

خديجة رضي الله عنها إلا أنه لم يدخل عليها إلا في شوال من السنة الأولى للهجرة، وهي بنتُ تسع سنين بعد ثمانية أشهر تقريباً من هجرته ﷺ.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبَنَى بي في شوال، فأيُّ نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني؟

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُرِيتُكِ في المنام مرتين. إذا رجلٌ يحملك في سرقة حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشفها فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِهِ**»، ورواه مسلم من طريق هشام عن أبيه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: أُرِيتُك في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك الملكُ في سَرَقةٍ من حرير، فيقولُ: «**هذه امرأتك، فاكشفُ عن وجهك، فإذا أنت هي فأقولُ: إن يكُ هذا من عند الله يُمضِهِ**». وقوله في الحديث: في سَرَقة من حرير، أي في قطعة من جَيِّد الحرير.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قال: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنتُ ستِّ سنين، فقَدِمنا المدينة، فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج، فَوُعِكت، فتمزق شعري، فَوفَى جُمَيمةً، فأتتني أمِّي أُمُّ رومانَ وإني لفي أُرجوحةٍ، ومعي صواحبُ لي، فصرخت بي، فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج، حتى سكن بعضُ نفَسي، ثم أخذت شيئاً من ماء، فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نِسوةٌ من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن، فأصْلحن من شأني، فلم يرُعني إلا رسول الله ﷺ ضُحىً، فأسلمتني إليه، وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين.

وقولها في الحديث: تزوجني أي عقد عليَّ، وقولها: تمزق شعري أي تقطع، وقد روي: تمرَّق بالراء بدل الزاي، أي انتتف، وقولها: فوفى جُميمةً، أي ثم ذهب عني الوعكُ فتربى شعري فكثر، والجميمةُ تصغيرُ الجُمَّة، وهي

مجتمع شعر الناصية، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين: جُمَّةً، وقولها: في أُرجوحة هي آلة يلهو بها الصبيان إذ يتخذون حبلاً يعلقونه في خشبة ويركبه الصبيان، وقولها: أنْهجُ، أي أتنفسُ تنفساً عالياً، وقولهن: على خير طائر، أي أفضل حظ وأحسن نصيب، وقولها: فلم يرعني أي فلم يفزعني شيء، وقولها: إلا رسول الله ﷺ ضُحىً، أي إلا دخول رسول الله ﷺ عليَّ، وكان ذلك في وقت الضحى، أي بعد ارتفاع النهار، وقد أفزعها ذلك؛ لأنه كان مفاجأة لها رضي الله عنها حيث لم تكن تعلمُ بوقت بناء رسول الله ﷺ بها. ثم نَقَلها رسول الله ﷺ إلى حجرتها الشريفة بجوار المسجد النبوي.

وقد كانت المدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ من أوبأ أرض الله من الحمى، وبخاصة لمن ينزل بها من غير أهلها، فأصاب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك بلاءٌ، وصرف الله تبارك وتعالى ذلك عن نبيه محمد ﷺ، وقد روى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنتهُ مضطجعةٌ قد أصابتها حمى، فرأيت أباها يُقَبِّلُ خدها وقال: كيف أنت يا بُنَيَّةُ؟ ودخول البراء مع أبي بكر رضي الله عنه على عائشة وهي مصابةٌ بالحمى كان قبل بناء رسول الله ﷺ بها.

كما روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبتِ كيف تجدُك؟ ويا بلالُ كيف تجدُك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كلُّ امرئ مَصَبَّحُ في أهله ... والموتُ أدنى من شِراكِ نَعْلِهِ

وكان بلالٌ إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته، ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذْخِرٌ وجليل
وهل أردَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ ... وهل يبدون لي شامةٌ وطفيلُ

قالت عائشة رضي الله عنها: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها، وانقل حماها فاجعلها بالجُحْفة**».

وقد استجاب الله تبارك وتعالى دعاء نبيه محمد ﷺ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**رأيت كأن امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمَهْيَعةٍ**». وهي الجُحْفَةُ ـ **فأوَّلْتُها أن وباء المدينة نُقِلَ إلى مهيعة** ـ وهي الجحفةُ.

وقوله: وُعِكَ، أي أصابه الوَعْكُ، وهي الحمى، وقولها: رفع عقيرته أي صوته، وقوله: بوادٍ، أي بوادي مكة، وقوله: وجليل هو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت وغيرها، وشامة وطَفيل جبلان بقرب مكة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخامس والأربعون

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

عندما استقر المهاجرون بالمدينة وقد خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجدوا من إخوانهم الأنصار حُبّاً لمن هاجر إليهم، وقلوباً خالصةً صافيةً من الغِلِّ والحقد والحسد، وقد وصف الله تبارك وتعالى حال المهاجرين والأنصار حيث يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩].

وقد صار المهاجرون والأنصار إخوةً أظهر وأشد من إخوة النسب، وقد أرشدهم رسول الله ﷺ أن يتآخوا: اثنين اثنين، فيتآخى رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار، وكان رسول الله ﷺ هو الذي يؤاخي بينهم، فآخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد رضي الله عنهما، وآخى بين أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة رضي الله عنهما، كما رواه مسلم، وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما، كما آخى بين عدد آخر من المهاجرين والأنصار، وكانت هذه المؤاخاة عاملاً من أهم أسباب إزالة وحشة الغربة عن نفوس المهاجرين، ولتؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة وليشد بعضهم أزْر بعض، وكان المتآخيان يتوارثان بهذه الأخوة حتى نزل قوله تعالى بعد غزوة بدر: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] يعني في الميراث.

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا

مَوَٰلِيَ﴾ [النساء: ٣٣] قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النِّساء: ٣٣] كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجريُّ الأنصاريَّ دون ذوي رحمه للأخوَّة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ نُسِختْ ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له. اهـ.

وقال البخاري في صحيحه: باب كيف آخى النبيُّ ﷺ بين أصحابه، وقال عبد الرحمن بن عوف: آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدمنا المدينة، وقال أبو جُحيفة: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون المدينة من مكة، وليس بأيديهم وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصارُ على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام، ويكفوهم العمل والمؤونة، وقد أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: قال: لما قدم المهاجرون من مكة المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء. وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام، ويكفونهم العمل والمؤونة، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «**لا**». فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا.

وقد ساق البخاري ومسلم بعض القصص المشرقة لما كان بين المتآخين في الله من المهاجرين والأنصار مما يُظهر الشخصية المثالية للإنسان المسلم، الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه، وهو شهادة ظاهرة بأن تعاليم الإسلام في تربية الإنسان تصعد به إلى أعلى درجات السلوك الإنساني ليقيم المجتمع المثالي.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثرُ الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أُطَلِّقها، فإذا انقضت عدتها

فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلُّوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: مَهْيم، قال: تزوجت، قال: «**كم سقت إليها؟**» قال: نواةً من ذهب أو وزن نواة من ذهب. وقوله في الحديث: مهيم، أي ما شأنك أو ما هذا؟ فهي كلمة استفهامية مبنية على السكون. وقال ابن مالك: هي اسم فعل بمعنى أخبرني، وقد بلغ من حرص الأنصار على إنزال المهاجرين في بيوتهم أنهم كانوا يقترعون على ذلك لتطيب نفوسهم.

فقد روى البخاري في صحيحه من طريق خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأةً من نسائهم بايعت النبي ﷺ أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين، قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فَمَرَّضْتُهُ حتى توفي، وجعلناه في أثوابه، فدخل علينا النبي ﷺ، فقلت: رحمةُ الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك أن الله أكرمه؟**» قالت: قلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: «**أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله وأنا رسول الله ما يُفعلُ بي**» قالت: فو الله لا أُزكي أحداً بعده، قالت: فأحزنني ذلك فَنِمتُ، فرأيتُ لعثمان بن مظعون عيناً تجري، فجئت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**ذلك عمله**».

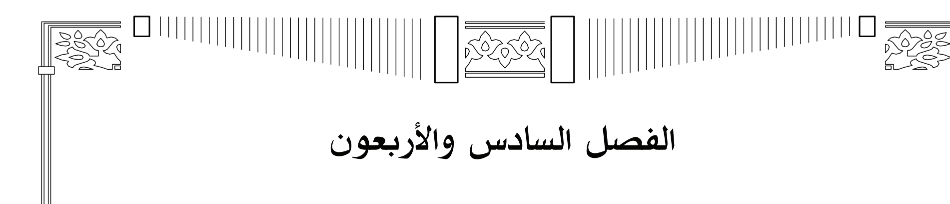
هذا وقد كان كل واحد من المتآخين يعامل أخاه في الصلة والإحسان والبر كما يعامل أخاه في النسب أو أعظم، فقد قال البخاري في صحيحه: باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له، ثم ساق بسنده إلى أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما آنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من

آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**».

وقوله في الحديث: فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَة أي لابسةً ثياب البذلة أي المهنة، أي ليست لابسةً ثياب الزينة بسبب أن زوجها أبا الدرداء كان منصرفاً عنها لاشتغاله بالصيام نهاراً وبالقيام ليلاً رضي الله عنهم أجمعين.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والأربعون

مجيء العرب إلى المدينة المنورة وبدء الصلاة الرباعية ومشروعية الأذان للصلاة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

عرف أهل الجزيرة العربية وغيرهم أن المدينة المنورة صارت دار الهجرة، وأن رسول الله ﷺ قد أصاب فيها الأمن والاستقرار، وكان بعض رجال القبائل من شتى أنحاء الجزيرة قد قدموا إلى رسول الله ﷺ عندما أعلن الدعوة بمكة وآمنوا، وأمرهم رسول الله ﷺ بالرجوع إلى قومهم لعدم قدرتهم على تحمل أذى قريش لمن آمن برسول الله ﷺ، فلما سمعوا بهجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة جاؤوا مهاجرين إلى رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء الطفيلُ بن عمرو الدَّوسي رضي الله عنه.

فقد روى مسلم في صحيحه من طريق جابر رضي الله عنه أن الطفيل بن عمرو الدَّوسيَّ أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هل لك في حِصن حَصين ومَنَعةٍ؟ قال: حِصنٌ كان لدوس في الجاهلية، فأبى ذلك النبيُّ ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه، فاجْتووا المدينة فمرض فجزع. فأخذ مشاقِص له فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنةٌ، ورآه مغطياً يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ فقال: ما لي أراك مغطياً يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم وليديه فاغفر**».

وقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أول امرأة من المهاجرات تلد في مدينة رسول الله ﷺ، حيث قدمت مع أخيها عبد الله بن أبي بكر وعائشة وأمها أم رومان وهي حامل متم، فولدت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا مُتمِمٌّ، فأتيت

المدينة فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تَفَلَ في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريقُ رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه، ثم ساق البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أوَّلُ مولود وُلِدَ في الإسلام عبد الله بن الزبير، أتوا به النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ تمرة، فلاكها ثم أدخلها في فيه، فأولُ ما دخل بطنه ريقُ النبي ﷺ.

وكانت الصلاة قد فرضت ركعتين ركعتين يعني ما عدا المغرب، فجعل الله الظهر والعصر والعشاء أربعاً، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في السفر والحضر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر. وفي لفظ للبخاري. عنها: فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعاً.

أما ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، فقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وبعد أن ذكر حديث عائشة ثم حديث ابن عباس رضي الله عنهم قال: ولا ينافي ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها لأنها أخبرت أن أصل الصلاة ركعتان، ولكن زيد في صلاة الحضر، فلما استقر ذلك صح أن يقال: إن فرض صلاة الحضر أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم اهـ.

وكانوا يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس، وكانوا يتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولَا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال قم فنادِ بالصلاة**».

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث هو التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه عن أبيه قال: فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه أخو بلحارث بن الخزرج النداء، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله إنه طاف بي هذه الليلة طائفٌ: مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدُلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: «**إنها لرؤيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها، فإنه أندى صوتاً منك**» فلما أذَّن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه، وهو يقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى. فقال رسول الله ﷺ: «**فللّه الحمد على ذلك**».

هذا وقد كان حول المسجد النبوي بيوت، فكان بلال يرقى أطول بيت منها وهو لامرأة من الأنصار من بني النجار فيؤذن عليه، فقد قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة. ولما سمعت اليهود الأذان انزعجوا واشتد حقدهم على الإسلام والمسلمين، فاتخذوا من النداء إلى الصلاة لعباً، ولهواً، وأخذوا يدسون إلى من في قلوبهم مرض أن هذا النداء بدعة، لم يأت بها نبي من الأنبياء، ففضح الله تعالى سريرتهم وكشف للمسلمين عن خبثهم ومكرهم وحذر المسلمين من موالاتهم، وفي ذلك يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧ ـ ٥٨].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل السابع والأربعون

أذى اليهود والمنافقين للنبي ﷺ وأصحابه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن اليهود لعنهم الله قد انزعجوا عندما سمعوا الأذان، واتخذوه هزواً ولعباً، وقد روى أبو داود في سننه قال: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم قال: أخبرنا شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن كعب بن مالك وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ، ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة ـ وأهلها أخلاط ـ منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية [آل عِمرَان: ١٨٦] إلخ الحديث.

كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق عروة بن الزبير أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمار، على قطيفةٍ فدكيةٍ، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال: حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبَي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدةِ الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابةِ خمر عبد الله بن أبيٍّ أنفه بردائه، ثم قال: لا تُغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال

عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نُحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عُبادة، فقال له النبي ﷺ: «**يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حُبابٍ؟**» يريد عبد الله بن أُبيٍّ، قال كذا وكذا، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعفُ عنه، واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يُتَوِّجوه فيُعصِّبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ زاد البخاري: كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البَقَرَة: ١٠٩] إلى آخر الآية، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به إلخ الحديث.

وقوله في الحديث: على قطيفة فدكية، أي كساءٍ غليظ منسوب إلى فَدَك بفتح الفاء والدال، وهي بلد مشهور على مرحلتين من المدينة، وهي من قرى خيبر، وقوله: وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أُبي، أي قبل أن يظهر الإسلام بلسانه وإن كفر قلبه، إذ صار لعنه الله رأس المنافقين. وقوله: عجاجةُ الدابة أي ما ارتفع من غبار حوافرها، وقوله: خَمَّرَ أي غَطَّى، وقوله: لا تُغَبِّرُوا علينا، أي لا تثيروا علينا الغبار، وقوله: فاغشنا به في مجالسنا، أي ائتنا به في منازلنا وأماكن وجودنا وجلوسنا، وقوله: يتثاورون، أي يتواثبون، أي قاربوا أن يثب بعضهم على بعض فيقتتلوا، يقال: ثار إذا قام بسرعة وانزعاج، وقوله: يُخَفِّضُهم، أي يُسكِّنهم، وقوله: أبو حباب هي كنية عدو الله عبد الله بن أُبي، وتكنيةُ رسول الله ﷺ له في هذا المقام بهذه الكنية التي اشتهر بها هي صورة من صور السياسة الشرعية في تأليف القلوب والتلطف في الدعوة إلى الله ﷻ. وقوله: ولقد اصطلح أهل هذه البَحْرةِ أو البُحَيْرة أي اتفق أهل يثرب من الأوس والخزرج واليهود، وقوله: على

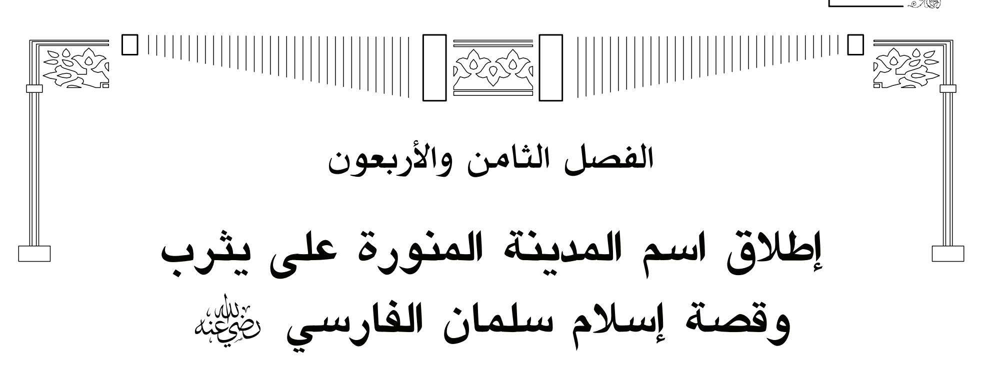
أن يُتَوِّجوه، أي على أن ينصبوه ملكاً عليهم يلبسوه التاج، وقوله: شرق بذلك، أي غَصَّ بالحق الذي آتاك الله فلم يستسغهُ، وقد وصف أبو قيس صِرْمةُ بن أنس أو ابن أبي أنس أو ابن قيس بن مالك بن عدي بن عامر بن غانم بن عدي بن النجار حال رسول الله ﷺ وحال أصحابه من المهاجرين والأنصار حيث يقول:

ثوى في قريش بضع عشرة حِجَّة ... يُذَكِّر لو يَلْقَى صديقاً مُواتيا
ويَعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يُؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه ... وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وألفى صديقاً واطمأنت به النوى ... وكان له عوناً من الله باديا
يقصُّ لنا ما قال نوح لقومه ... وما قال موسى إذ أجاب المناديا
فأصبح لا يخشى من الناس واحداً ... قريباً ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسَنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعاً ولو كان الحبيب المواسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا
أقول إذا صليت في كل بيعةٍ ... حنانيك لا تظهر علينا الأعاديا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخيفةً ... تباركت قد أكثرتُ لاسمك داعيا
فطأ مُعرضاً إن الحتوف كثيرةٌ ... وإنك لا تبقي لنفسك باقيا
فو الله ما يدري الفتى كيف سعيُهُ ... إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تَحفلُ النخلُ المعِيمةُ ربَّها ... إذا أصبحت رَيّاً وأصبح ثاويا

قال ابن كثير في البداية والنهاية عن هذه القصيدة: رواها عبد الله بن الزبير الحميدي وغيره عن سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن عجوز من الأنصار قالت: رأيت ابن عباس يختلف إلى صرمة بن قيس يروي هذه الأبيات، رواه البيهقي. اهـ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والأربعون

إطلاق اسم المدينة المنورة على يثرب وقصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في الفصل السابق قصيدة أبي قيس النجاري الأنصاري رضي الله عنه في قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة وما لقيه بها من نصر ومنعة وتأييد، وقوله رضي الله عنه: ثوى في قريش، أي أقام بمكة، وقوله: بضع عشرة حجةً أي ثلاث عشرة سنة، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وأخرجه مسلم من طريق أبي جمرة الضُّبعي عن ابن عباس قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، وبالمدينة عشراً، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقول أبي قيس رضي الله عنه: بذلنا له الأموال من جل مالنا، أي العظام الكبار من الإبل، أو المراد به معظم كل شيء. وقوله: ولا تحفل النخل المعيمة ربها إلى آخر البيت، أي لا تحس ولا تبالي النخلة المعيمة وهي الطويلة، يقال: نخلة عميمة ومُعيمة وهي الطويلة، كما يقال: عاومت النخلة إذا حملت سنة ولم تحمل سنة.

هذا وقد أطلق رسول الله ﷺ اسم المدينة على يثرب فصارت علماً بالغلبة على مدينة رسول الله ﷺ، أما غيرها من المدن فلا يطلق إلا بقيد من حال أو مقال، وهذا من أوائل الحضارة الإسلامية وأحد معالم مؤشراتها، وقد كره رسول الله ﷺ بعد ذلك أن تسمى باسمها القديم يثرب؛ لأنه من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة والتعبير بالذنب، قال في القاموس: وثَرَبَهُ يَثْرِبُهُ وثَرَّبَهُ وعليه

وأَثْرَبَهُ لامه وعيَّره بذنبه، والمُثْرِبُ القليلُ العطاء وبالتشديد المُخلط المفسد. اهـ.

وكان رسول الله ﷺ يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرتُ بقرية تأكل القرى، يقولون: يثربُ وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد**» وقوله: أمرت بقرية، أي بالهجرة إلى قرية، وقوله: تأكل القرى، أي تفتحها وتغلب أهلها وتساق غنائم البلاد المفتتحة إليها، ويغلب فضلها على فضل غيرها من القرى. وقوله: تنفي الناس، أي تُبعدُ شِرَار الناس منها، وقوله: كما ينفي الكير خبث الحديد، الكير بكسر الكاف هو زِقٌ ينفُخُ فيه الحداد فتستعرُ النار فيصفى الحديد من وسخه الذي تخرجه النار ويميز جيدُه من رديئه.

أما ما ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم في قصة الأحزاب حيث يقول: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزَاب: ١٣]، فهو حكاية قول المنافقين. ولا يفهم من قول رسول الله ﷺ تنفي الناس أن كل من خرج من المدينة وسكن قرية أخرى يكون خبيثاً؛ لأن المقصود من الحديث خاص من الناس وهو من كره سكناها ورغب عنها، قال الحافظ في الفتح: بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التّوبَة: ١٠١]، والمنافق خبيث بلا شك، وقد خرج من المدينة بعد النبي ﷺ معاذ وأبو عبيدة وابن مسعود وطائفة، ثم عليٌّ وطلحة والزبير وعمار وآخرون وهم من أطيب الخلق، فدلَّ على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس ووقت دون وقت.اهـ.

ولا شك أن من سكن المدينة وصبر على لأوائها وشدتها كان رسول الله ﷺ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وقد سمى رسول الله ﷺ المدينة طيبة وطابة، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في المدينة: «**إنها طيبة وإنه تنفي الخَبَثَ كما تنفي النار خبث الفضة**». كما روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى سَمَّى**

المدينة طابة»، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: «**هذه طابةٌ**» كما أطلق رسول الله ﷺ اسم الأنصار على الأوس والخزرج وحلفائهم، وسماهم الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم حيث يقول:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ويقول عز وجل: ﴿**لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١١٧].

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق غيلان بن جرير المِعْولي الأزدي رحمه الله قال: قلت لأنس: أرأيت اسم الأنصار كنتم تُسَمَّوْنَ به؟ أم سماكم الله به؟ قال: بل سمانا الله به.

وقد أحس المسلمون في المدينة أنهم يُكَوِّنُون المجتمع المثالي الذي يتساوى فيه الأحمر والأبيض والأسود، والعرب والعجمُ، والفقراء والأغنياء، إذ صاروا كلهم سواسيةً كأسنان المشط في ظل شريعة الله، والنور الذي أنزل الله على رسوله وحبيبه محمد ﷺ، وأقبل على الدخول في الإسلام الكثير من العرب والعجم، والأحرار والموالي والعبيد الذين ساوى الإسلام بينهم، وقد سبق في فصل سابق أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء.

وقال البخاري: باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، ثم ساق بسنده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب، يعني من سيد، إلى سيد ثم ساق البخاري بسنده إلى سلمان رضي الله عنه أنه قال: أنا من رام هُرْمُز، وقال البخاري: باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، وقال النبي لسلمان: كاتب وكان حرّاً فظلموه وباعوه. اهـ.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده قصة إسلام سلمان رضي الله عنه وكيفية مكاتبته،

ومعاونة رسول الله ﷺ له، وقد أخرجها أحمد من طريق ابن إسحاق بسند وصفه الهيثمي في مجمع الزوائد بأن رجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق إذ كان ثقة مدلساً، وقد روى عنه الثقات هذا الحديث مُصَرِّحاً فيه بالتحديث فزالت علة التدليس، قال ابن إسحاق ﵀: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي مِن فِيه، قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها: جَيْ، وكان أبي دِهْقَانَ قريته، وكنت أحَبَّ خلق الله إليه، لم يزل به حبهُ إيايَ، حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعةً.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والأربعون

تابع قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق ما ذكره سلمان رضي الله عنه عن نفسه من كونه فارسياً من أهل أصبهان، وما كان من شدة حب أبيه له وحبسه إياه، واجتهاده في المجوسية ثم قال سلمان رضي الله عنه:

وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ قال: فَشُغل في بنيان له يوماً: فقال لي: يا بني إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها، فاطلعها ـ وأمرني فيها ببعض ما يريد ـ ثم قال لي: ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إليَّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري، قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم، أنظر ما يصنعون؟ فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن فيه، فو الله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني أين كنت؟ أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت، مررت بناسٍ يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم فو الله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: كلا والله إنه لخير من ديننا، قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبروني بهم،

قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: مَنْ أفضل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقُفُّ في الكنيسة، قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، فأتعلم منك وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه، قال: وكان رجل سوءٍ، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورقٍ، قال: فأبغضته بغضاً شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوءٍ يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعهُ فاستخرجوا سبع قلال مملوءةٍ ذهباً وورقاً، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاؤوا برجلٍ آخر، فجعلوه مكانه، قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه، قال: فأحببته حبّاً لم أحبه شيئاً قبله مثله، قال: فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناس، وبدَّلوا، وتركوا ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو على ما كنتُ عليه. فالحق به، فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن الحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاةُ قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق

بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي فقال: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حُضِر قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم. فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا، فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري، فقال أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هَدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كانت لي بقراتٌ وغُنيمةٌ، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حُضِر قلت له: يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلانٌ إليك فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس، آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب، مُهَاجَرهُ إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علاماتٌ لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغُيِّبَ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كلب تجارٍ فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه، وغنيمتي هذه، قالوا: نعم فأعطيتهموها، وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني إلى رجل يهودي عبداً فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقْ في نفسي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها، وبُعِثَ رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى

المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذْقٍ لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي. قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة. ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال. قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهب به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به، فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه عليَّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وُصِفَ لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخمسون

الإذن بالقتال وغزوات الأبواء وبواط ثم العشيرة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في فصل سابق أن بعض المسلمين استأذنوا رسول الله ﷺ في أن يميلوا على المشركين بسيوفهم بعد تمام بيعة العقبة الثانية فلم يأذن لهم رسول الله ﷺ، وأن العباس بن عبادة بن نضلة قال لرسول الله ﷺ ليلتها: والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، فقال رسول الله ﷺ: **«لم نؤمر بذلك»**.

وكان كثير من المسلمين يتمنون أن يأذن الله لهم في قتال أعدائهم، وإلى ذلك يشير الله تبارك وتعالى في محكم كتابه حيث يقول في سورة القتال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ﴾ [محمَّد: ٢٠]، أي يأذن الله لنا فيها بقتال الكفار بدليل قوله: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢١].

وكان المشركون لا يفتؤون يصدون عن سبيل الله ويؤذون أولياءه حتى قتلوا سمية أم عمار بن ياسر وزوجها ياسراً رضي الله عنهم، فلما مكن الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وللمسلمين بالمدينة أذن الله تعالى لهم في قتال أعدائهم حيث يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٨ ـ ٤٠].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب المغازي قال الزهري: أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ [الحَجّ: ٣٩] أخرجه النسائي وإسناده صحيح. اهـ.

ولا شك أن شريعة القتال في الإسلام ليست بدعاً في شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل كانت شريعة الإسلام في هذا الباب وغيره أرحم الشرائع وأكملها وأتقنها وأحسنها، إذ هي تَنْهَى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ المسنين، وتنهى عن الغدر والتمثيل بجثث الأعداء، وقد حاول بعض أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملاحدة أن يُلبسوا على بعض الأغرار بأن الإسلام إنما انتشر بالسيف، فقال بعض الناس من المنتسبين للعلم: إن القتال في الإسلام للدفاع فقط وتغافلوا عن الآيات الكثيرة، والأحاديث الصحيحة الثابتة في أن الجهاد إنما هو لإعلاء كلمة الله، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن الشرائع السماوية السابقة كلها متفقةٌ على الجهاد لإعلاء كلمة الله، وأنها ما كانت تبيح الأسر إلا بعد التقتيل الشديد في أعداء الله، وإلى ذلك يشير الله تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الأنفال: ٦٧]، أي حتى يبالغ في قتل الكفار ويوسعهم جراحة إلى أن تغلظ الأرض من دمائهم وجثثهم، وفي الإصحاح العشرين من سفر التثنية في الفقرة العاشرة إلى السادسة عشرة من التوراة التي بيد اليهود والنصارى يقول: «حيث تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكلُّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبعد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الربُّ إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمةً ما». اهـ.

على أن اليهود والنصارى لعنهم الله لم يقفوا في هذا الباب عند حدود ما

كان قد شرع لهم على لسان أنبيائهم، بل كانوا لا يتركون حياً يمشي على الأرض في المدن والقرى التي يحاربونها، وما محاكم التفتيش التي أقامها النصارى ضد مسلمي الأندلس ولا مذابح اليهود للمسلمين في فلسطين ولبنان بخافية على أحدٍ، مع الفارق العظيم بين معاملة أهل الإسلام لمن يكون تحت أيديهم من الكفار من الرحمة والإحسان لهم حتى أشار الله ﷻ إلى أن إطعام الأسير الكافر من أعظم ما يقرب العبد من ربه، حيث يقول في ورثة الجنة من الأبرار: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨ ـ ٩].

هذا وبعد أن أذن الله للمسلمين في قتال الكفار خرج رسول الله ﷺ في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة إلى غزوة ودَّان أو الأبواء يريد قريشاً، فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجديُّ بن عمرو الضمري ورجع بغير قتال.

قال البخاري في صحيحه في أول كتاب المغازي: باب غزوة العُشَيْرة، قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبيُّ ﷺ الأبواء، ثم بُواط، ثم العشيرة. وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري أن الذي في السيرة: غزوة ودان ثم قال الحافظ رحمه الله: وليس بين ما وقع في السيرة وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق اختلاف؛ لأن الأبواء وودَّان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية، ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة «وهو بالأبواء أبو بودَّان» اهـ.

قلت: الأبواء قرية بين مكة والمدينة تقع شرقي قرية مستورة شمالي رابغ، وهي على نحو منتصف الطريق بين مكة والمدينة، وتسمى الآن «الخُرَيْبة»، وبينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً. وودَّان موضع بين الأبواء والجحفة يقع جنوباً من الأبواء وبينه وبين الجحفة ثمانية أميال فهو أقرب إلى الجحفة من الأبواء.

قال الحافظ في الفتح: وأما بواط فبفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو وآخره مهملة، جبل من جبال جهينة بقرب ينبع، قال ابن إسحاق: ثم غزا في شهر ربيع الأول يريد قريشاً أيضاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ورجع ولم يلق

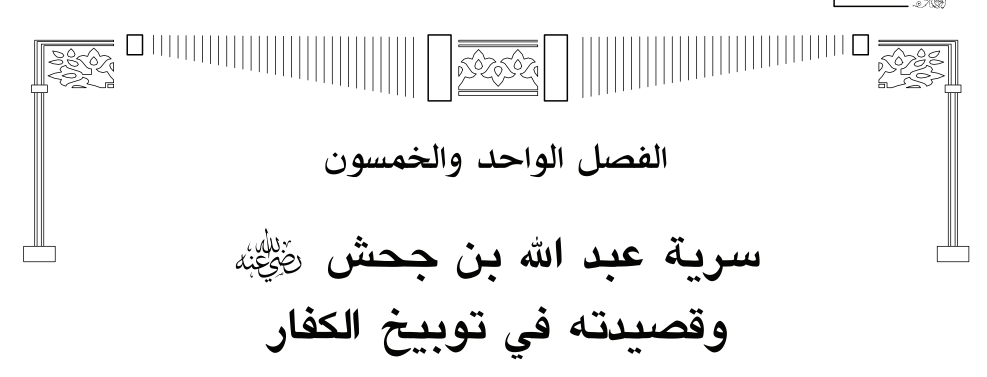
كيداً، ورضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور جبلٌ مشهور عظيم بينبع. اهـ.

وأما العُشَيْرَة فمكانها عند منزل الحاج بينبع ليس بينها وبين البلد لا الطريق، قال الحافظ في الفتح: وأما العشيرة فلم يختلف على أهل المغازي أنها بالمعجمة والتصغير وآخرها هاء، ثم قال: قال ابن إسحاق: هي ببطن ينبع، وخرج إليها في جمادى الأولى يريد قريشاً أيضاً، فوادع فيها بني مدلج من كنانة. اهـ.

وكان خروج رسول الله ﷺ في هذه الغزوات الثلاث ليلقى تجار قريش حين يمرون إلى الشام ذهاباً وإياباً، وكان ذلك من أعظم أسباب إلقاء الرعب في نفوس كفار قريش وغيرهم من الكفار، وهو مما يسمى في عصرنا بحرب الأعصاب.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والخمسون

سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه وقصيدته في توبيخ الكفار

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

في شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله ﷺ سريَّةً وأمَّر عليهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأه إلا بعد مسيرة يومين، وأنه لا يكره أحداً من أصحابه على المسير معه بعد قراءة كتاب رسول الله ﷺ عليهم.

فلما بلغ المكان الذي أمره رسول الله ﷺ بقراءة الكتاب فيه ويذكر أنه «بطن مَلَل» وقرأ الكتاب على أصحابه تبعوه جميعاً سوى رجلين تخلفا للبحث عن راحلتهما.

فلقوا ابن الحضرمي في ناس من قريش راجعين بتجارة من الشام فقاتلوهم واتفق وقوع ذلك في أول يوم من رجب ولم يكونوا قد رأوا هلال رجب، وكانوا يظنون أن هذا اليوم هو الثلاثون من جمادى الآخرة. وقتلوا ابن الحضرمي وأخذوا الذي كان معهم.

فاستغلت قريش هذه الحادثة أسوأ استغلال، وقالوا: محمد يزعم أنه يعظم الشهر الحرام ويقاتل فيه.

فأنزل الله عز وجل:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فإنهم لم يصيبوا أجراً فأنزل الله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقد أشار البخاري في صحيحه إلى قصة سرية عبد الله بن جحش هذه حيث قال في كتاب العلم:

واحتج بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي ﷺ، حيث كتب لأمير السرية كتاباً وقال: «لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ». اهـ.

وقال السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧]: أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه بسند صحيح عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح أو عبيدة بن الحارث، فلما ذهب لينطلق بكى صبابةً إلى رسول الله ﷺ فجلس، وبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا، وقال: «**لا تكرهن أحداً على السير معك من أصحابك**»، فلما قرأ الكتاب استرجع وقال: سمعاً وطاعةً لله ولرسوله، فَخَبَّرَهُم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان، ومضى بقيتهم، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾، فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً، فليس لهم أجر، فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. اهـ.

وقد ساق ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره وفي البداية والنهاية حديث جُندب بن عبد الله من رواية الحافظ أبي محمد بن أبي حاتم قال:

حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقَدَّمِيُّ حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السِّوار عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وساق الحديث باللفظ المتقدم إلى قوله: فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولا شك أن ابن أبي حاتم أحد الثقات الحفاظ وأبوه أحد الأعلام الثقات، ومحمد بن أبي بكر المقدميُّ من رجال البخاري ومسلم، والمعتمر بن سليمان من رجال الجماعة، وأبوه سليمان بن طرخان التيمي من رجال الجماعة أيضاً، والحضرميُّ ذكر أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيُّ في كتابه: الجرح والتعديل أن عبد الله بن أحمد بن حنبل سأل يحيى بن معين عن الحضرمي الذي يروي عنه التيمي فقال: ليس به بأس. اهـ.

وذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمة أبي السوار فقال: روى عنه الحضرمي اهـ.

وأبو السوار من رجال البخاري ومسلم.

وقد قال عبد الله بن جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوبخ كفار مكة على كفرهم بالله وصدهم عن سبيل الله.

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكمو عما يقول محمد ... وكفرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يُرى لله في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غُلٌ من القيد عاند

وقوله: بنخلة يشير إلى المكان الذي حصلت فيه المعركة، وقوله: أوقد الحرب واقد، يريد أن واقد بن عبد الله اليربوعي حليف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو الذي رمى ابن الحضرمي بسهم فقتله، وكان واقد رضي الله عنه أحد الرهط الذين بعثهم رسول الله ﷺ تحت إمرة عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وقوله: وابن عبد الله عثمان بيننا: يشير إلى أنهم أخذوا عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي أسيراً، وقوله غُلٌ هو القيد الذي يوضع في العنق أو في اليد. وقد روي: من القد، وهو سيرٌ يُقدُّ من جلد غير مدبوغ يغل به الأسير، وقوله: عاند أي يسيل بالدم غير المنقطع.

هذا وقد كان رسول الله ﷺ يصلي بالمدينة مستقبلاً بيت المقدس. وكان اليهود قد أعجبهم ذلك، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جهة بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً.

وكان رسول الله ﷺ يحب أن تكون قبلته إلى الكعبة وهي قبلة أبوية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فكان رسول الله ﷺ يُكثر الدعاء والابتهال إلى الله أن يوجه إلى الكعبة البيت الحرام.

فاستجاب الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنزل عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والخمسون

تحويل القبلة إلى الكعبة وموقف اليهود من ذلك

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن رسول الله ﷺ كان بعد مقدمه المدينة يصلي إلى جهة بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان اليهود يعجبهم أن يتجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه في صلاته إلى الكعبة قبلة أبويه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة السلام، وكان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في السماء ضارعاً إلى الله ﷻ أن يحول قبلته إلى المسجد الحرام، فاستجاب الله دعاءه وأنزل عليه: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ**﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، وقد روى البخاري في صحيحه من طريق زهير عن أبي إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال: أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَلَ بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قِبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجلٌ ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة، فداروا كما هم قِبَلَ البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَلَ بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك، قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال، وقُتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي لفظ للبخاري من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله ﷻ: ﴿**قَدْ**

نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤] فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] فصلى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة.

وقد روى مسلم في صحيحه من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤]، فنزلت بعدما صلى النبي ﷺ، فانطلق رجل من القوم فمر بناسٍ من الأنصار وهم يصلون فحدثهم، فولوا وجوههم قِبَلَ البيت.

وقوله في لفظ زهير عند البخاري: نزل على أجداده أو قال: أخواله من الأنصار: الشك فيه من أبي إسحاق السَّبيعي شيخ زهير، وفي إطلاق لفظ أجداده أو أخواله تجوُّزٌ؛ لأن الأنصار أقاربه من جهة الأمومة؛ لأن أم جده عبد المطلب بن هاشم منهم وهي سلمى بنتُ عمرو أحد بني عدي بن النجار، وإنما نزل النبي ﷺ بالمدينة على إخوتهم بني مالك بن النجار. وقوله: ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، رواية مسلم من طريق أبي إسحاق: ستة عشر شهراً بلا شك، وقد روى البزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف «سبعة عشر»، قال الحافظ في الفتح: والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس. اهـ.

وقوله: وأهل الكتاب، هو عطف على اليهود من عطف العام على الخاص، أو المراد النصارى، لأن قبلة المسيح كانت إلى بيت المقدس، ولم

يصلوا إلى الشرق إلا في عهد قسطنطين، أو كان إعجابهم بطريق التبعية لليهود صداً عن سبيل الله، وقوله: مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، قال الحافظ في الفتح: ذكر القتل لم أره إلا في رواية زهير، وباقي الروايات إنما فيها ذكر الموت فقط، وكذلك روى أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم صحيحاً عن ابن عباس: والذين ماتوا بعد فرض الصلاة وقبل تحويل القبلة من المسلمين عشرة أنفس، فبمكة من قريش: عبد الله بن شهاب، والمطلب بن أزهر الزهريان، والسكران بن عمرو العامريُّ، وبأرض الحبشة منهم: حطَّابُ بالمهملة ابن الحارث الجُمحي وعمرو بن أمية الأسدي وعبد الله بن الحارث السهمي، وعروة بن عبد العُزَّى، وعديُّ بن نضلة العدويان، ومن الأنصار بالمدينة البراء بن معرور بمهملات وأسعد بن زرارة، فهؤلاء العشرة متفق عليهم، ثم قال الحافظ: ولم أجد في شيء من الأخبار أن أحداً من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة، لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع، فإن كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة من غير الجهاد، ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ إذ ذاك. اهـ.

هذا وقد وطَّن الله تبارك وتعالى نفوس المؤمنين على ما سينالهم من السفهاء اليهود والمشركين والمنافقين من لمزٍ بسبب تحويل القبلة، وأرشدهم للجواب المفحم لكل لامِزٍ من هؤلاء، وأنه إنما فرض عليهم التوجه لبيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة لامتحان أهل الإيمان ممن ينقلب على عقبيه، وأن المشرق والمغرب وسائر الجهات لله وحده فقال:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٣].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم رجل فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

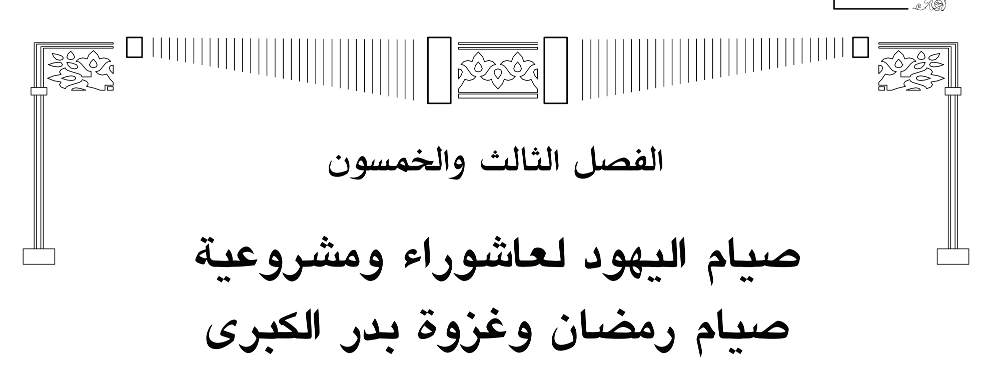
وفي رواية لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤] فمر رجل من بني سلمة وهم ركوعٌ في صلاة الفجر، وقد صلوا ركعةً فنادى: ألا إن القبلة قد حولت، فمالوا كما هم نحو القبلة.

وقد كان تحويل القبلة إلى الكعبة سبباً في مطاوعة بعض مرضى القلوب لليهود في الإنكار على المسلمين، وبدأت أعناق النفاق تَشْرَئِبُّ، وقد طمأن الله المسلمين بأن اليهود يعتقدون في قرارة نفوسهم أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق، وإن كان الحسد يحول بينهم وبين الإذعان له، حيث يقول:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والخمسون

صيام اليهود لعاشوراء ومشروعية صيام رمضان وغزوة بدر الكبرى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

أشرت في فصل سابق أن رسول الله ﷺ قد صانه الله تبارك وتعالى فلم يكن يوافق قريشاً في عباداتهم في الجاهلية إلا ما كان من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقد كانت قريش تصوم في الجاهلية يوم عاشوراء، وكان رسول الله ﷺ يصومه قبل بعثته ﷺ مع قريش، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء كذلك، فسألهم رسول الله ﷺ عن سبب صيامهم ليوم عاشوراء فذكروا أنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، وأنهم يصومونه شكراً، فأخبرهم رسول الله ﷺ أنه أحق بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه حتى فرض صيام رمضان، فصار من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وفي رواية للبخاري ومسلم واللفظ لمسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه، فقال

رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**»، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه.

ولا معارضة بين قوله في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، وبين ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قدم المدينة يوم الإثنين من ربيع الأول فقد أفاد الحافظ ابن حجر في الفتح بأن في الكلام حذفاً تقديره: قدم النبي ﷺ المدينة فأقام إلى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياماً، ويحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه ﷺ المدينة، وهذا التأويل مما يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى عليه الصلاة والسلام لإضلالهم اليوم المذكور، وهداية الله للمسلمين له، ولكن سياق الأحاديث تدفع هذا التأويل، والاعتماد على التأويل الأول، ثم وجدت في المعجم الكبير للطبراني ما يؤيد الاحتمال المذكور أولاً وهو ما أخرجه في ترجمة زيد بن ثابت من طريق أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله الناس، إنما كان يوم تُسْتَرُ فيه الكعبة، وكان يدور في السنة، وكانوا يأتون فلاناً اليهوديَّ يعني ليحسب لهم، فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه. وسنده حسن، وقال شيخنا الهيثمي في زوائد المسانيد: لا أدري ما معنى هذا؟ قلت: ظفرت بمعناه في كتاب الآثار القديمة لأبي الريحان البيروني، فذكر ما حاصله أن جهلة اليهود يعتمدون في صيامهم وأعيادهم حساب النجوم، فالسنة عندهم شمسية لا هلالية، قلت: فمن ثم احتاجوا إلى من يعرف الحساب ليعتمدوا عليه في ذلك. اهـ. كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله.

وليس سؤال رسول الله ﷺ لليهود عن سبب صيامهم ليحصل منهم على علم ديني أو دنيوي، إذ لم يحدث لرسول الله ﷺ بقول اليهود تجديد حكم ولم يصمه اقتداءً بهم، فإنه كان يصومه قبل ذلك كما جاء في الصحيحين في صدر هذا الفصل.

هذا ويكاد أهل العلم يطبقون على أن فرضية صوم رمضان كانت في شعبان من السنة الثانية للهجرة أي قبل غزوة بدر بنحو شهر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد في فصل هديه ﷺ في الصيام: وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات. اهـ.

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى، وكان سبب غزوة بدر أن رسول الله ﷺ بلغه أن أبا سفيان بن حرب قد أقبل من الشام في عير لقريش فيها تجارة كثيرة وأموال عظيمة، ومع أبي سفيان نحو أربعين راكباً من كبار قريش فيهم عمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل الزهري، فشاور رسول الله ﷺ أصحابه في أن يخرجوا إليها لعل الله يُنفلهموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم؛ لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً، وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تكلم فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ـ يعني الخيل ـ ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْكِ الغماد لفعلنا، فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا، وقد كان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس من لقي من الركبان تخوفاً على أموال قريش، حتى علم أن محمداً قد استنفر أصحابه لعير قريش، فاستأجر أبو سفيان ضَمْضَمَ بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد تعرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة وأخبر أهل مكة بذلك، فأخذ أبو جهل يستنفر الناس ويقول: أدركوا عيركم.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدث عن سعد ابن معاذ أنه كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أميةُ إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعدٌ معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خَلوةٍ لعلِّي أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: أراك تطوفُ بمكة

آمناً وقد أويتم الصُّباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، فقال له سعد ورفع صوته عليه: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشدُّ عليك منه، طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي، فقال سعد: دعنا عنك يا أمية فو الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**»، قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أميةُ فزعاً شديداً، فلما رجع أميةُ إلى أهله قال: يا أم صفوان ألم تري ما قال لي سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ. فقلت له: بمكة؟ قال لا أدري، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم، فكره أميةُ أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غَلَبتني فو الله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أميةُ يا أم صفوان جَهِّزيني، فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: لا. ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عَقَلَ بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله ﷻ ببدر.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والخمسون

عدة أصحاب بدر رضي الله عنهم جميعاً

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

خرج رسول الله ﷺ من المدينة بعد ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه رضي الله عنهم، وكانوا بضعة عشر وثلاثمائة، وكان المهاجرون منهم نَيِّفاً على ستين، وكان الأنصار منهم نَيِّفاً وأربعين ومائتين، وقد روى البخاري من طريق أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه يقول: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة.

وفي لفظ للبخاري عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر عِدَّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة.

وروى البخاري من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. اهـ.

وقد خرجوا من المدينة في سبعين بعيراً يعتقبونها، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعليٌ زميلي رسول الله ﷺ، قال: فكانت عُقبة رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشي عنك فقال: «**ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»، ويذكر أنه لم يكن معهم من الفرسان غير المقداد بن الأسود رضي الله عنه. قال الإمام أحمد: حدثنا

عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضرِّب عن علي قال: ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المقداد. اهـ.

وكانت قريش قد خرجت على الصعب والذلول في عدد من المقاتلين يتراوح ما بين التسعمائة إلى الألف، ومعهم أكثر من خمسين فارساً، ومعهم القيان يَضْرِبْنَ بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين، وكانوا كما وصفهم الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٧ ـ ٤٨].

وكان رسول الله ﷺ يبعث العيون لمعرفة مكان أبي سفيان وعيره، فجاءته الأخبار وهو قريب من الصفراء بأن أبا سفيان قد فاتهم بالعير، وأن مكة قد رمتهم بأفلاذ كبدها، فشاور أصحابه ﷺ، وقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن مسعود ﷺ قال: شهدتُ من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبُّ إليَّ مما عُدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره. يعني قوله.

وقد أرسل رسول الله ﷺ بعض أصحابه فنزلوا عند ماء بدر يلتمسون خبر أبي سفيان وقريش، فوردت عليهم روايا قريش أي إبلهم التي كانوا يستقون عليها التي تحمل لهم الماء، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: ما لي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف.

قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبالُ أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها

البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغِماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: ما لي علمٌ بأبي سفيان ولكنْ هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علمٌ ولكن هذا أبو جهل وعتبةٌ وشيبةُ وأميةُ بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف قال: «**والذي نفسي بيده، لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم**».

وقد بدأ رسول الله ﷺ يُبشر أصحابه بإحدى الطائفتين العير أو النفير، فأبو سفيان في العير وأبو جهل في النفير، فالعير ليس فيها قتال والنفير لا يأخذونه إلا بقتال، وقد كان بعض المؤمنين كره القتال لأنهم لم يكونوا قد استعدوا له، ويودون أن غير ذات الشوكة يعني العير تكون لهم، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، فعسى أن يكره الإنسان شيئاً وهو خير له، وعسى أن يحب شيئاً وهو شر له، وهكذا تم في بدر، فقد كانت ثمارها أعظم من ثمار أضعاف عير قريش، وقد وصل المشركون إلى بدر ونزلوا بالعدوة القصوى، أي بشفير الوادي الأقصى من المدينة وهو جنوب ماء بدر. ولما وصل رسول الله ﷺ إلى بدر نزل مع أصحابه بالعدوة الدنيا أي بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، وكان الركب يعني العير التي بها أبو سفيان أسفل من بدر فهي مما يلي سيف البحر.

قال ابن كثير في تفسير سورة الأنفال: والمعروف أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك، أي على أول ماء وجده، فتقدم إليه الحُبَابُ بن المنذر فقال: يا رسول الله، هذا المنزل الذي نزلته مَنْزِلٌ أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزلٌ نزلته للحرب والمكيدة؟ فقال: «**بل منزل نزلته للحرب والمكيدة**»، فقال: رسول الله إن هذا ليس بمنزل، ولكن سر بنا حتى ننزل

على أدنى ماء يلي القوم، ونُغَوِّرُ ما وراءه من القُلُب، ونستقي الحياض، فيكون لنا ماءٌ وليس لهم ماءٌ، فسار رسول الله ﷺ ففعل ذلك اهـ.

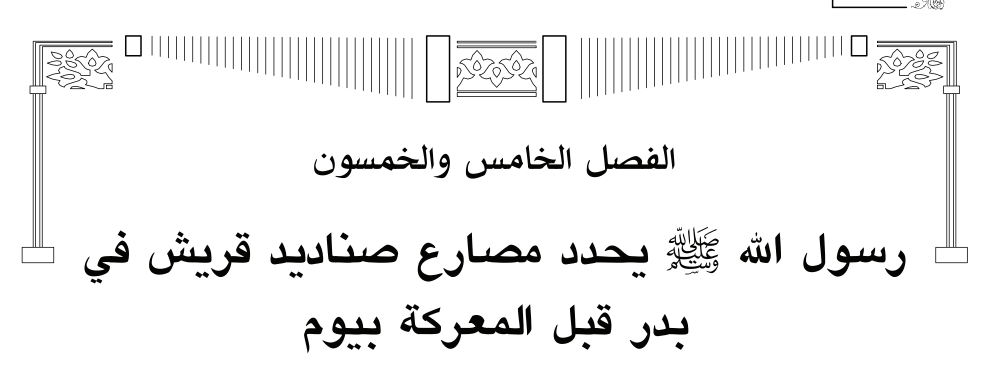
هذا وقد جعل الله تبارك وتعالى في غزوة بدر آيات بينات، وقد سمى الله تبارك وتعالى يوم بدر يوم الفرقان لما فيه من هذه المعجزات، وإلى ذلك يشير الله تبارك وتعالى حيث يقول في سورة آل عمران:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وكما قال في سورة الأنفال التي نزل معظمها في غزوة بدر: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الأنفال: ٤١ ـ ٤٤].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخامس والخمسون

رسول الله ﷺ يحدد مصارع صناديد قريش في بدر قبل المعركة بيوم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق أن الله تبارك وتعالى جعل في غزوة بدر آيات بينات ومعجزات باهرات، وَأَوْرَدْتُ بعض ما ذكر الله ﷻ عن ذلك في كتابه الكريم في سورتي آل عمران والأنفال، فقد أَرَى الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ في منامه المشركين قليلاً ليبشر أصحابه بذلك فتقوى نفوسهم وعزائمهم على قتال أعدائهم الذين يتلاقون معهم على غير ميعاد.

وعندما أقبل المشركون والمسلمون على المعركة قلَّلَ الله المسلمين في أعين المشركين ليستدرجهم إلى أرض المعركة، وقلل المشركين في أعين المسلمين حتى صار المسلمون يرون المشركين حوالي ستمائة رجل مثلي عدد المسلمين مع أنهم كانوا حوالي ثلاثة أمثالهم، ولا شك أن الله تبارك وتعالى فعل ذلك ليقضي أمراً كان مفعولاً، فتتم معركة بدر وينتصر فيها المسلمون مع قلة عَدَدِهم وينهزم المشركون مع كثرة عَددهم وعُددهم، وفي ذلك عظة وعبرة لكل ذي بصر أو بصيرة سواءٌ مَن حضر المعركة أو سمع بها من الموجودين آنذاك أو الذين يوجدون بعد ذلك إلى يوم القيامة.

وكان رسول الله ﷺ قد نزل أدنى ماء من العدوة القصوى التي كان فيها المشركون آخر يوم الخميس السادس عشر من رمضان، ورتب صفوف المسلمين، ثم أخذ يحدد مواضع من أرض المعركة ويقول مشيراً إليها: هذا مصرع أبي جهل، وهذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ها هنا يحدد مصارع رؤساء الكفر، فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا مصرع فلان**» قال: ويضع يده على الأرض ها هنا. وها هنا قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ، وفي لفظ لمسلم من حديث عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «**هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله**»، قال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ. وهذه آية أخرى، وقد أعد لرسول الله ﷺ قبة أي عريش، فقام فيها يدعو الله عز وجل مستقبلاً الكعبة، يقول: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك**»، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «**اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً**» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥ ـ ٤٦].

كما روى أحمد واللفظ له ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عكرمة ابن عمار حدثنا سِماك الحنفي أبو زُمَيل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة، ثم مَدَّ يديه وعليه رداؤه وإزارهُ ثم قال: «**اللهم أين ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعْبَد في الأرض أبداً**» قال: فما زال يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فردَّه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سيُنْجز لك ما وعدك، وأنـــــزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفَال: ٩]، فلما كان يومئذٍ والتقوا، فهزم الله عز وجل المشركين فقُتل منهم سبعون رجلاً وأُسر منهم سبعون رجلاً. . . الحديث.

وقد أخذ رسول الله ﷺ يُحَرِّضُ المؤمنين ويقول لهم: «**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**»، وأخذ رسول الله ﷺ يوصي

أصحابه، ويحضهم على الصبر والثبات، وأمرهم أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم بذلك، ووصاهم بأن يستعملوا الحجارة فيرموا بها الكفار إذا اقتربوا من المسلمين، وأن يستبقوا نبلهم، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي أُسيدٍ وهو مالك بن ربيعة الخزرجي الساعدي رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله يوم بدر: «**إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم**» وفي لفظ للبخاري من حديث أبي أُسيد رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «**إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم**» ومعناه: إذا قرُبوا منكم فأمكنوكم من أنفسهم فارموهم.

وفي ليلة الجمعة التي وقعت معركة بدر في صبيحتها جعل الله تبارك وتعالى للمؤمنين آيات بينات أخرى، فألقى النعاس عليهم أماناً أمَّنهم به ليدفع عنهم الخوف من كثرة عدوهم وقلة عددهم، كما أنزل عليهم من السماء ماء شرب منه المسلمون وتطهروا، وأذهب عنهم رجز الشيطان وتخذيله وتخويفه للنفوس، وطهرهم الله ظاهراً وباطناً، وثبت أقدامهم وشجع قلوبهم، قال ابن جرير: حدثني هارون بن إسحاق ثنا مصعب بن المقدام ثنا إسرائيل ثنا أبو إسحاق عن حارثة عن علي بن أبي طالب قال: أصابنا من الليل طش من المطر ـ يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ ـ يعني قائماً يصلي ـ وحرض على القتال. اهـ. قال في القاموس: الطشُّ والطَّشيشُ المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ. وقال الجوهري في الصحاح: يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقَبٌ: حجفةٌ ودرقة والجمع حَجَفٌ اهـ.

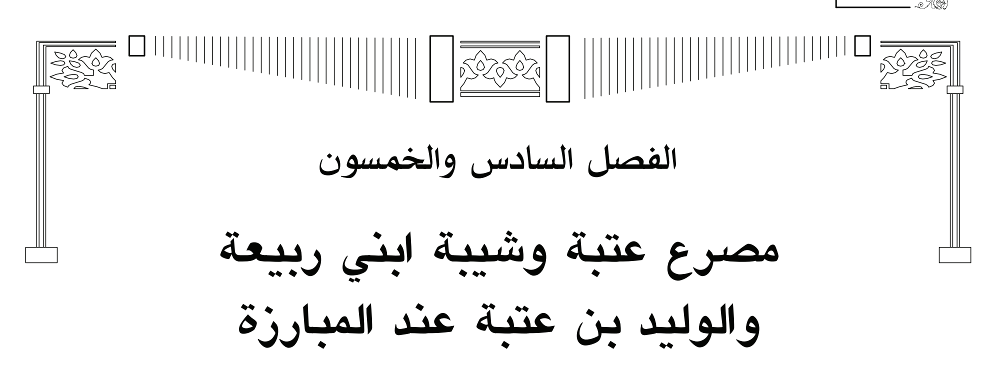
وقد ذكر الله تبارك وتعالى بعض ما كان من رسول الله ﷺ وما أيد الله به المؤمنين ليلة غزوة بدر حيث يقول في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (يعني وأنتم قليلون) ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣ ـ ١٢٧].

وقال ﷻ في سورة الأنفال: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ۝١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١٣ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ١٦].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والخمسون

مصرع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة عند المبارزة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة التقت الفئتان، وتواجه الجيشان فبرز عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وتبعه ابنه الوليد بن عتبة وأخوه شيبة بن ربيعة بن عبد شمس وطلبوا مَن يبارزهم، فبرز لهم شباب من الأنصار، فقالوا: لا حاجة لنا فيكم إنما نريد من يبارزنا من بني عمنا، فأمر رسول الله ﷺ حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبل عليٌّ إلى شيبة وأقبل عبيدة إلى الوليد، فقتل حمزة عتبة وقتل علي شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كلٌّ واحد منهما صاحبه أي جرحه جرحاً بليغاً فمال حمزةُ وعليٌّ على الوليد فقتلاه، واحتملا عُبيدة إلى رسول الله ﷺ، قال ابن كثير في البداية والنهاية: ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه فوضع خده على قدمه الشريفة وقال: يا رسول الله لو رآني أبو طالب لعلم أني أحق بقوله:

ونَسْلِمهُ حتى نُصَرَّعَ حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أنك شهيد**». رواه الشافعي. اهـ.

وقد روى أبو داود في سننه قال: حدثنا هارون بن عبد الله ثنا عثمان بن عمر أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مُضرِّب عن علي قال: تقدم ـ يعني عتبة بن ربيعة ـ وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شبابٌ من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا

بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث**»، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عُبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كلٌّ واحد منهما صاحبه، ثم مِلْنا على الوليد فقتلناهُ، واحتملنا عبيدة.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق قيس بن عُبادٍ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنا أولُ من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عُبادٍ: وفيهم أُنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحجّ: ١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة. ثم ساق البخاري من طريق قيس بن عباد عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في ستة من قريش: علي وحمزة وعُبَيْدَة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يُقسم قسماً، إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعليٌ وعبيدةُ بن الحارث، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة والوليد بن عتبة.

وبعد مقتل شيبة وعتبة والوليد تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وحَمِيَ الوطيس، وكان أول من استشهد من المسلمين مهجع بن صالح العكِّيُّ مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان واقفاً بين الصفين فأصابه سهمٌ فقتله، ثم أصيب حارثةُ بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار كان في النظارة، أي الذين حضروا لرؤية المعركة ومشاهدتها لا للقتال، فأصابه سهمٌ غَرْبٌ فقتله، قال الحافظ في الفتح في قوله (سَهْمٌ غَرْبٌ) أي لا يعرف راميه أو لا يُعرف من أين أتى أو جاء على غير قصد من راميه. ثم قال الحافظ: وقصة حارثة منزلةٌ على الثاني فإن الذي رماه قصد غِرته فرماه وحارثة لا يشعر به، وقد وقع في رواية ثابت عند أحمد أن حارثة خرج نظاراً، زاد النسائي

من هذا الوجه: ما خرج لقتال اهـ. وقد عده البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في تسمية من سُمي من أهل بدر وقال: كان في النظارة.

وقد روى البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سهمٌ غربٌ، فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: يا أم حارثة إنها جنانٌ في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى. وقد نسب ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث في البداية والنهاية إلى الصحيحين، وأم حارثة هي الرُّبَيِّع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية أختُ أنس بن النضر وعمةُ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقد جاء في لفظ للبخاري من حديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام. الحديث.

ثم أخذ رسول الله ﷺ في تحريض المسلمين وحضِّهم على القتال، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة غزوة بدر قال: وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يُقدِّمَنَّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه**»، فدنا المشركون. فقال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال: يقول عُمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله جنةٌ عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال: بخ بخ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمراتٍ من قَرَنِهِ فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل.

وقوله في الحديث: بخ بخٍ، فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها مُنوَّناً، وهي كلمة تستعمل في تفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، وفي المدح والرضا بالشيء، وقوله: من قرنه بفتح القاف والراء أي جعبة النُّشاب.

وقد أيد الله تبارك وتعالى المؤمنين في بدر بالملائكة، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخِذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»، كما روى مسلم في صحيحه من طريق أبي

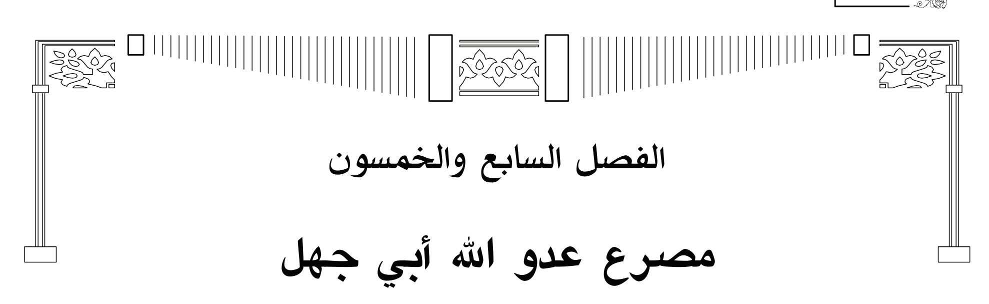
زُمَيلٍ (هو سِماكُ الحنفي) حدثني عبد الله بن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائةٍ وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبدَ في الأرض**»، فما زال يهتف بربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مُناشدتك ربك فإنه سينُجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷻ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفَال: ٩]، فأمده الله بالملائكة. قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أَقْدِم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر فإذا هو قد خُطِم أنفه، وشُقَّ وجهُهُ كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمعُ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**» ـ الحديث.

فإن قيل ما الحكمة في قتال الملائكة مع المسلمين يوم بدر مع أن جبريل وحده قادر على أن يُهلكهم بريشة من جناحه؟

فالجواب: أن يكون الملائكة على هيئة المدد، ويُضاف أصل الفعل للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ليرجعوا بهذا الفضل العظيم والنصر المبين على حد قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]. والأمر كله لله.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع والخمسون

مصرع عدو الله أبي جهل

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

في هذه المعركة الكبرى ـ معركة بدر ـ قتل الله ﷻ فرعون هذه الأمة عدو الله أبا جهل على يد أربعة أماجد أشاوس ميامين من أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة من الأنصار وهم معاذ بن عمرو بن الجموح ومُعاذُ ومُعَوِّذ ابنا الحارث بن رفاعة المعروفان بابني عفراءَ، وعفراءُ هي أمهما، وقد اشتهرا بالنسبة لها والرابع هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من المهاجرين، والظاهر أن أول من ضربه بسيفه هو معاذ بن عمرو بن الجموح، ثم ضربه معاذ ابن عفراء ثم شاركهما معوَّذُ ابن عفراء ثم أدركه عبد الله بن مسعود وبه رمق فحزَّ رأسه.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخْبِرْتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، فلم أنْشَبْ أن نظرت إلى أبي جهل يَجُولُ في الناس، قلت: ألا إنَّ هذا صاحِبُكُما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه، فقال: «**أيُكما قَتَلَهُ؟**» قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتلهُ**»، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح.

كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق سليمان التيمي عن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: أأنت أبو جهل، قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه، وفي لفظ للبخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه أتى أبا جهل وبه رَمَقٌ يوم بدر فقال أبو جهل: هل أعْمَدُ من رجل قتلتموه؟ وقوله وبه رمق يفيد أن معنى قوله في حديث الصحيحين عن أنس: قد ضربه ابنا عفراء حتى برد أي سكن ولم يبق به إلا مثل حركة المذبوح، وهو لا ينافي أن يكون معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ومعوِّذ بن عفراء قد قتلوه؛ لأن ضربهم له كان قاتلاً، ولذلك قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن عمرو بن الجموح ولمعاذ بن عفراء: «**كلاكما قتله**». أما معوِّذ بن عفراء ﷺ فقد استمر يقاتل بعد أن صرع أبا جهل حتى استشهد ﷺ في المعركة.

وفي لفظ للبخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فَتَيانِ حديثا السِّن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عمِّ أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموتَ دونه. فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء[(١)].

كما قتل الله ﷻ في هذه المعركة عدوَّ الله أمية بن خلف، وقد كان في قتله آيتان شاهدتان بأن وعد الله حق، وأن محمداً رسول الله ﷺ، فقد ذكرت في

(١) جاء في مغازي موسى بن عقبة: معوذ بن عفراء هو ابن عمرو بن الجموح اهـ. فلعل عفراء تزوجها الحارث وجاءت منه بمعاذ ثم طلقها وتزوجها عمرو بن الجموح فسكنت وابنها معاذ عنده وجاءت منه بمعوذ فنشأ معاذ مع أخيه لأمه معوذ وكلهم أبناء عم ﷺ، ويكون الذي قتل أبا جهل ثلاثة لا أربعة هما أبناء عفراء وعبد الله بن مسعود والعلم عند الله.

الفصل الثالث والخمسين ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن سعد بن معاذ أنه قال لأمية بن خلف بمكة إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنهم قاتلوك**»، كما كان أمية بن خلف من بين من أشار رسول الله ﷺ إلى مصارعهم ببدر قبل المعركة.

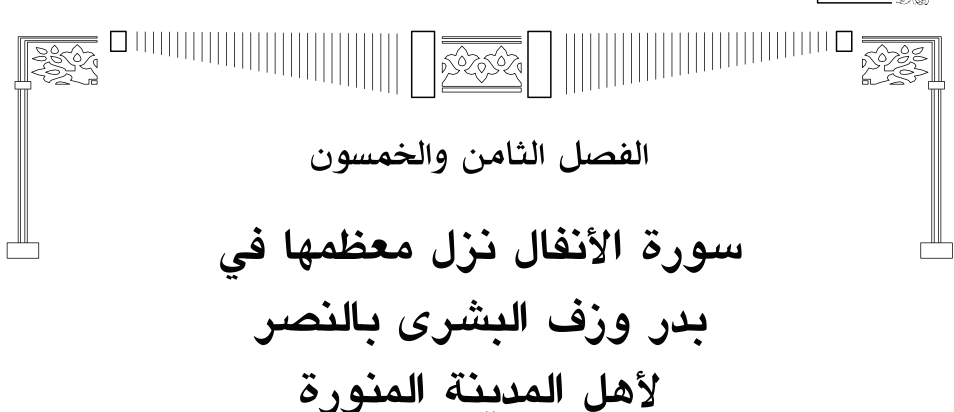
وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كاتَبْتُ أمية بن خلف كتاباً، بأن يحفظني في صاغيتي بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية، فكاتبته عبد عمرو، فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبلٍ لأحْرزَهُ حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار، فقال: أميَّة بن خلف، لانجوتُ إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا، خَلَّفْتُ لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا، فلت له: ابْرُكْ فَبَرك، فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي، حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وقوله: في صاغيتي: صاغية الرجل كلٌّ من يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

كما قتل في هذه المعركة من رؤوس الكفر عُبَيَدةُ بن سعيد بن العاص، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قال الزبير: لَقِيتُ يوم بدر عُبيدة بن سعيد بن العاص وهو مُدجَّجُ لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يُكْنَى أبا ذات الكَرِشِ، فقال: أنا أبو ذات الكَرِش فحملتُ عليه بالعَنَزَةِ فطعنته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها، وقد انثنى طرفاها، فسأله إياها رسول الله ﷺ، فأعطاه، فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قُبِضَ أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاهُ إياها، فلما قُبِضَ عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قُتِلَ عثمان وقعت عند آل عليٍّ فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل.

وقد أخذت الفئة القليلة المؤمنة تلاحق الفئة الكثيرة الكافرة يضربونهم فوق الأعناق ويضربون منهم كل بنان حتى قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين، ولم يؤسر من المسلمين أحد، واستشهد منهم أربعة عشر شهيداً ﷺ، وقد اندحر إبليس لعنه الله اندحاراً يوم بدر ونكص على عقبيه، وإلى ذلك يشير الله ﷻ حيث يقول في المشركين: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والخمسون

سورة الأنفال نزل معظمها في بدر وزف البشرى بالنصر لأهل المدينة المنورة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

بعد انتهاء معركة بدر في يوم الجمعة السابع عشر من رمضان وهو يوم الفرقان صار بعض أصحاب رسول الله ﷺ يلاحقون المشركين بعيداً عن أرض المعركة، وصار بعضهم يجمعون المغانم من متفرقات الأماكن من أرض المعركة، وأحدقت فرقة منهم برسول الله ﷺ تحرسه خوفاً من أن يرجع أحد من المشركين إليه، وقد كان من هدي رسول الله ﷺ أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، وقد كانت جثث قتلى المشركين في مصارعها من أرض المعركة.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: وقد روينا في مغازي الأموي أن رسول الله ﷺ جعل يمشي هو وأبو بكر الصديق بين القتلى، ورسول الله ﷺ يقول: «**نُفَلِّقُ هَاماً**» فيقول الصديق:

...مـــــن رجـــــال أعـــــزةٍ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما. اهـ

وقد أثر أن رسول الله ﷺ كان ـ وهو يقول ذلك ـ يشير بسيفه إلى رؤوس هؤلاء القتلى من المشركين، وكان يمدُّ صوته بقوله: «هاماً». ثم أمر في اليوم الثالث بطرحهم في القليب.

وقد روى البخاري ومسلم وبقية الجماعة إلا ابن ماجه من طريق قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طَوِيٍّ من أطواءِ بدر خبيث مُخْبِثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصةِ ثلاثَ ليال، فلما كان ببدر اليومَ الثالث أمرَ براحلته

فشُدَّ عليها رَحْلُها ثم مشى، واتَّبعهُ أصحابه، وقالوا: ما نُرى ينطلقُ إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيِّ فجعل يناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: «**يا فُلانُ ابن فلانٍ، ويا فلان ابن فلان، أيَسُرُّكُم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**»، قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**». قال قتادة: أحياهم الله، حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونَقِيمةً وحسرةً ونَدَماً. اهـ. وهذا سياق البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ. وقوله: صناديد هي جمع صنديد بوزن عفريت وهو السيد الشجاع وقوله: «في طَوِيٍّ من أطواء بدر» أي في بئر من آبار بدر. وقوله: بالعَرْصَةِ هي كل بُقعةٍ بين الدور واسعةٍ ليس فيها بناءٌ، وقوله: على شفة الرَّكِيِّ أي طرفِ البئر، وأصلُ الرَّكِيِّ هي البئر قبل أن تُطْوى، فإذا طُويتْ وبنيت بالحجارة قيل لها: الطَّوِي، والظاهر أن هذه البئر كانت مطوية ثم تهدمت فصارت كالرَّكِيِّ.

وفي لفظ لمسلم في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: «**يا أبا جهل بن هشام، يا أميةُ بن خلف، يا عتبةُ بن ربيعة، يا شيبةُ بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربُكُم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً**»، فَسَمعَ عمرُ قولَ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنَّى يُجيبوا وقد جَيَّفوا؟ قال: «**والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يَقْدرون أن يجيبوا**» ، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر. وقوله: كيف يسمعوا وأنَّى يجيبوا؟ أفاد النووي أنه ورد هكذا في عامة النسخ المعتمدة من غير نون، وهي لغة صحيحة وإن كانت قليلة الاستعمال. وقوله: وقد جَيَّفوا أي أنتنوا.

وقد كان في الأسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وابن عمه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، وسهيل بن عمرو، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه ماذا يفعل بالأسرى فأشار أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باستبقائهم وأخذ الفدية منهم، وأشار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بضرب أعناقهم، وكان

من طبيعة رسول الله ﷺ أن يختار الأيسر ما لم يكن إثماً، فاختار رأي أبي بكر، ولم يلبث أن نزل القرآن بتأييد رأي عمر وإجازة ما اختاره رسول الله ﷺ.

فقد روى مسلم في صحيحه من طريق سماك الحنفي أبي زُمَيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فِدْيةً فتكون لنا قوةً على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابنَ الخطاب؟**» قلتُ: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكِّنَّا فنضْرِبَ أعناقهم، فَتُمَكِّن علياً من عقيل فيضربَ عُنقَه، وتُمَكّنِّي من فلان (نسيباً لعمر) فأَضرب عُنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفر وصناديدها، فهَوىَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يَهْوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعِدَيْن يبكيان، قلتُ: يا رسول الله أخْبِرني من أي شيء تبكي أنت وصاحِبُك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيت وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: «**أبكي للذي عَرَضَ عليَّ أصحابُكَ من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ عليّ عذابُهُم أدنى من هذه الشجرة**» (شجرة قريبة من نبي الله ﷺ) وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ [الأنفال: ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم. اهـ.

وبعد أن قام رسول الله ﷺ بعَرْصَةِ بدر ثلاثة أيام ركب ناقته، وسار عليه الصلاة والسلام راجعاً إلى المدينة وبعثَ بَشِيرَيْن إلى المدينة بالنصر والفتح وهما عبد الله بن رواحة إلى عالية المدينة وزيدُ بن حارثة إلى سافلتها، وقد كان مع رسول الله ﷺ الأسرى موثقين ومعه الغنائم، وقد أمر بالإحسان للأسارى وقال: «**استوصوا بهم خيراً**»، وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه في الأسارى، قال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يديك به فإن أمه ذاتُ متاع لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصَّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا،

ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها فأستحي فأردَّها فيردَّها عليَّ ما يمسها.

وقد نزلت سورة الأنفال أو مُعْظَمُهَا في بدر.

فقد روى البخاري في صحيحه من طريق سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والخمسون

تعريف الأنفال

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكرت في ختام الفصل السابق أن سورة الأنفال نزلت في بدر، وقد روى ذلك البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، والأنفال جمع نَفَل، ويطلق على معانٍ منها الغنيمة والعطية وولد الولد وما تفعله مما لم يجب كالنفل، والمراد بالأنفال في الآية الغنائم، وسميت الغنائم أنفالاً لأنها زيادة من الله لهذه الأمة بخصوصها، وقد جعل الله تعالى الأنفال التي غنمها المسلمون في بدر لله ولرسوله ﷺ حيث قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

ثم فصَّل ذلك في آية أخرى من هذه السورة الكريمة حيث قال:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

فجعل الله عز وجل أربعة أخماسها للغانمين، وجعل خمسها للنبي ﷺ أو لإمام المسلمين بعد رسول الله ﷺ ينفقه في حاجته وعلى ذوي قرابة رسول الله ﷺ وعلى اليتامى والمساكين وابن السبيل.

وقد كانت الغنائم محرمة على الأمم السابقة رغم أن أهل الكتاب قد حرَّفُوا التوراة ليستبيحوا الغنائم، وقد سقت في الفصل الخمسين بعض نصوص التوراة التي بيد اليهود والنصارى في الإصحاح العشرين من سفر التثنية التي يستبيح بها اليهود والنصارى أكل الغنائم، وهي ولا شك من تحريفهم للكلم من بعد مواضعه، فقد أخبر الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى

حبيب الله ورسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ أن الغنائم أبيحت له ولأمته خاصة ولم تبح لأحد من الأنبياء قط قبل رسول الله ﷺ.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يُعْطهُنَّ أحد قبلي، نُصِرتُ بالرُّعبْ مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأَيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلت لي المغانم، ولم تحِلَّ لأحد قبلي، وأُعْطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصة، وبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً**».

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولمَّا يَبْنِ بها، ولا أَحَدٌ بنى بُيُوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحدٌ اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس إنك مأمورةٌ وأنا مأمورٌ، اللهم احبسها علينا، فحُبِستْ حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إنَّ فيكم غُلُولاً، فلْيُبَايعني من كل قبيلة رجل، فلَزِقَتْ يدُ رجُلٍ بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقَتْ يَدُ رجُلَيْنِ أو ثلاثةٍ بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أَحَلَّ الله لنا الغنائم، رأى ضَعْفنا وعجْزنا فأحلَّها لنا**».

وقد قسم رسول الله ﷺ الغنائم وهو في طريق عودته من بدر على من شهد بدراً من المهاجرين والأنصار، وضرب لعثمان بن عفان رضي الله عنه بسهم وإن لم يشهد بدراً لكنه تخلف عنها بأمر رسول الله ﷺ لتمريض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وقد توفيت في اليوم الذي وصلت فيه البشارة بالنصر إلى أهل المدينة، وقد أمر رسول الله ﷺ بقتل النضر بن الحارث لعنه الله وهو بوادي الصفراء أو قريباً منها، وكذلك أمر بقتل عقبة بن أبي معيط لعنه الله وكان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفراً وعناداً وبغياً وحسداً وهجاءً للإسلام والمسلمين كما هو معلوم، ولم يقتل رسول الله ﷺ من أسرى بدر سواهما، فلما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة

فرَّق الأسارى بين أصحابه وحضَّهم على الإحسان إليهم، وقد منَّ رسول الله ﷺ على بعض الأسرى فلم يأخذ منهم فداء، وأخذ الفداء من بعضهم، وكان الفداء متفاوتاً، كما أن بعض الأسرى ما كانوا يستطيعون فداء أنفسهم لكنهم كانوا يحسنون الكتابة، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﵁ أن رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، قال: «**والله لا تذرون منه درهماً**»، وقوله لابن أختنا؛ لأن أم عبد المطلب من الأنصار، وقد بشر الله من يُسْلِمُ من الأسارى الذين دفعوا فداء للمسلمين بأن الله سيعطيهم خيراً مما أُخذ منهم ويغفر لهم، حيث يقول في سورة الأنفال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: أُتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: «**انثُروه في المسجد**»، وكان أكثر مال أُتي به رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله، أعطني فإني فاديْتُ نفسي وفاديت عقيلاً، فقال له رسول الله ﷺ: «**خذ**»، فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقِلُّه فلم يستطع، فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إليَّ، قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت عليَّ، قال: «**لا**». فنثر منه ثم ذهب يُقِلُّه فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه عليّ، قال: «لا» قال: فارفعه أنت عليَّ قال: «**لا**». فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهِله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يُتْبِعُهُ بصره حتى خفى علينا عجباً من حِرْصِهِ، فما قام رسول الله ﷺ وثَمَّ منها درهم. اهـ.

وهذه آية من آيات الله في صدق وعده لمن افتدى يوم بدر ثم أسلم، وقد روى البخاري في صحيحه من حديث جُبَيْر بن مُطعم ﵁ أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «**لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلَّمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**».

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهُم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى بها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردُّوا الذي لها.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الستون

حرص الإسلام على تحرير الناس من الرق وحسن معاملة الأسرى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق أن رسول الله ﷺ مَنَّ على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب رضي الله عنها، وأبو العاص هو ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأم أبي العاص هي هالة بنتُ خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فهو ابن أخت خديجة رضي الله عنها وابن خالة زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، وقد أسلمت زينب بنت رسول الله ﷺ عند بعثة رسول الله ﷺ مع سائر بناته ﷺ ورضي الله عنهن، وقد أبى أبو العاص أن يُسْلِم، وشهد بدراً مع المشركين فأسره عبد الله بن جُبَيْر بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه، وقد أخذ النبي ﷺ على أبي العاص عند إطلاقه من الأسر أن يأذن لزينب بالهجرة إلى رسول الله ﷺ فوعده بذلك ووفَّى.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة أن النبي ﷺ خطب فذكر أبا العاص بن الربيع فأثنى عليه في مصاهرته خيراً وقال: «**حدثني فصدقَني ووعدني فوفى لي**». وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا علي بن عاصم قال: قال داود: حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فِدَاءٌ، فجعل رسول الله ﷺ فِداءهم أن يُعَلِّموا أولاد الأنصار الكتابة، قال: فجاء يوماً غلامٌ يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنُك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيثُ يطلب بِذحل بدر، والله لا تأتيه أبداً. وقوله في الحديث بذحل بدر: الذَّحْلُ بفتح الذال وسكون الحاء المهملة هو الثأر أو العداوة.

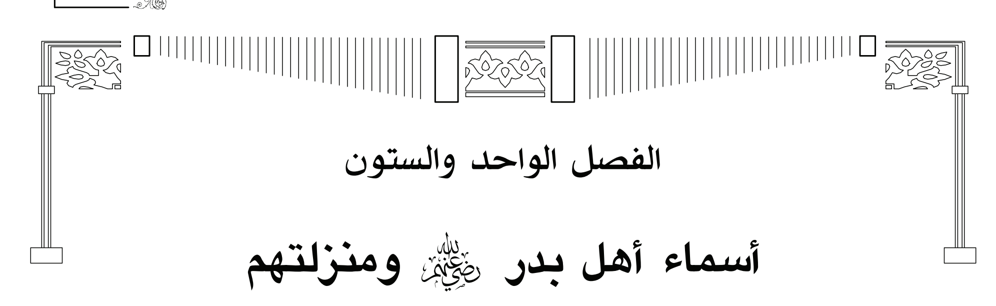
ولا شك أن تقرير فداء بعض الأسرى في مقابلة تعليمهم أبناء المسلمين

الكتابة يشتمل على إشارات كريمة لسمو دين الإسلام، وحرصه على نشر التعليم بين أبناء المسلمين، وفيه مظهر كريم من مظاهر حرص الإسلام على تحرير الناس وتخليصهم من الرق، قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمَيْرُ بن وهب الجُمحِيُّ مع صفوانَ بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير، وكان عمير ابن وهب شيطاناً من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر. فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت، أما والله لولا ديْنٌ عليَّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة، ابني أسير في أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال: عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عليَّ شأني وشأنك، قال: سأفعل، قال: ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد مُتوشِّحاً السَّيف فقال: هذا الكلبُ عدوُّ الله عميرُ بنُ وهب، ما جاء إلا لِشَرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله هذا عدو الله عميرُ بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: «**فأَدْخِلهُ عليَّ**»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عُنقه فلبَّبَهُ بها، وقال لرجال مِمَّنْ كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمرُ آخِذٌ بحمالة سيفه في عنقه قال: «**أرسله يا عمر، ادْنُ يا عمير**»، فدنا ثم قال: أنْعِمُوا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة**». فقال: أمَا والله يا محمد إن كنتُ بها

لحديث عهدٍ. فقال: «**فما جاء بك يا عمير**»؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنُوا إليه، قال: «**فما بالُ السيف في عنقك؟**» قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: «**اصدقني ما الذي جئت له؟**» قال: ما جئت إلا لذلك، قال: «**بل قعدت أنت وصفوانُ بن أمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دَينٌ عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوانُ بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك**». قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كُنَّا يا رسول الله نكَذِّبُك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزلُ عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوانُ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق،ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «**فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره**»، ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله ﷻ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقْدُم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تُنْسيكُمْ وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً، فقال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يده ناسٌ كثير. وحديث ابن إسحاق هذا الذي أسنده إلى عروة بن الزبير رضي الله عنه وإن كان مرسلاً لكِنْ قد استشهد البخاري بمثله كثيراً.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والستون

أسماء أهل بدر رضي الله عنهم ومنزلتهم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أورد البخاري في صحيحه أسماء من شهد بدراً من المسلمين فقال: بابُ تسمية من سُمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم، النبي محمد بن عبد الله الهاشمي ﷺ. إياس بن البُكير. بلال بن رباح مولى أبي بكر القرشي. حمزة بن عبد المطلب الهاشمي. حاطبُ بن أبي بلتعة حليفٌ لقريش. أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي. حارثة بن الرُّبيع الأنصاري قتل يوم بدر وهو حارثة بن سراقة كان في النظارة. خُبيبُ بن عَدِي الأنصاري. خُنَيْسُ بن حُذافة السهميُّ. رفاعة بن رافع الأنصاري، رِفَاعَةُ بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري. الزبير بن العوام القرشي. زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري. أبو زيد الأنصاري. سعد بن مالك الزُّهري. سعد بن خولة القرشي. سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل القرشي. سَهْل بن حُنَيْفٍ الأنصاري. ظُهَيْر بنُ رافع الأنصاري وأخوه. عبد الله بن عثمان. أبو بكر الصديق القرشيُّ. عبد الله بن مسعود الهُذَلي. عتبة بن مسعود الهُذَلي. عبد الرحمن بن عوف الزهري. عبيدة بن الحارث القرشي. عبادة بن الصامت الأنصاري. عمر بن الخطاب العَدَويُّ. عثمان بن عفان القرشي خَلَّفَهُ النبي ﷺ على ابنته، وضرب له بسهمه. عليُّ بن أبي طالب الهاشمي. عمرو بن عوف حليف بني عامر بن لؤي. عُقْبَةُ بنُ عمرو الأنصاري. عامر بن ربيعة العنزي. عاصم بن ثابت الأنصاري. عويم بن ساعدة الأنصاري. عتبان بن مالك الأنصاري. قُدامة بن مظعون. قتادة بن النعمان الأنصاري. معاذ بن عمرو بن الجموح. معوذ ابن عفراء وأخوه. مالك بن ربيعة أبو أسيد الأنصاري. مُرارة بن الربيع الأنصاري. مَعْنُ بن عدي الأنصاري.

مِسْطحُ بن أثاثة بن عَبَّاد بن المطلب بن عبد مناف. مِقداد بن عمرو الكندي حليف بني زُهرة. هلال بن أمية الأنصاري ﷺ. اهـ.

ولم يستوعب البخاري ﷺ أسماء البدريين قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في قوله: (باب تسمية من سمى من أهل بدر في الجامع) أي دون من لم يسم فيه، ودون من لم يُذكر فيه أصلاً. والمراد بالجامع هذا الكتاب، والمراد بمن سمى من جاء ذكره برواية عنه أو عن غيره بأنه شهدها لا بمجرد ذكره دون التنصيص على أنه شهدها، وبهذا يُجابُ عن ترك إيراده مثل أبي عبيدة بن الجراح فإنه شهدها باتفاق، وذُكر في الكتاب في عدة مواضع إلا أنه لم يقع فيه التنصيص على أنه شهد بدراً. اهـ.

وممن شهد بدراً كذلك الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي. أبي بن كعب الأنصاري. أبو بردة بن نيار الأنصاري. جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري. الحُباب بن المنذر الأنصاري. خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري. خالد بن البكير الليثي. أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري. خَبَّابُ ابن الأرت خُبيبُ بن إسافٍ الأنصاريُّ. خراش بن الصمة الأنصاري. أبو سعيد رافع بن المُعلَّى الأنصاري واستشهد بها. ربيعةُ بن أكثم بن سخبرة. زيد بن حارثة. السائب بن عثمان بن مظعون. سعد بن معاذ سيد الأوس. سعد ابن خيثمة الأنصاري واستشهد بها. سعد بن الربيع الأنصاري. سلمةُ بن سلامة بن وقش الأنصاري. أبو دجانة سماك بن خرشة. سهل بن حُنَيْفِ الأنصاري. سُهيل بن بيضاء. سواد ابن غزيَّة. صفوان بن بيضاء. صهيب بن سنان. عاقل بن البكير. عامر بن البكير. عامر بن عبد الله بن الجراح أبو عبيدة. عامر بن فُهيرة. عبد الله بن جحش الأسدي. عبد الله بن رواحة. عبد الله بن زيد بن عبد ربه. عبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة المخزومي. عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر. عبد الله بن مظعون. عبيد بن أوس بن مالك بن زيد. عتبة بن غزوان. عثمان بن مظعون. عقبة بن عامر بن نابي. عكاشة بن محصن. عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ. عمار بن ياسر. عمير بن الحمام واستشهد بها. عمير بن أبي وقاص أخو سعد

واستشهد بها. عوف بن عفراء أخو معاذ ومعوذ واستشهد بها هو وأخوه معوِّذُ. كناز بن الحصين أبو مرثد الغنوي. مالك بن الدخشم الأنصاري. المجذر بن زياد البلوي. محرز بن نضلة بن عبد الله الأسدي. محمد بن مسلمة. مرثد بن أبي مرثد الغنوي. مصعب بن عمير. معاذ بن جبل. مهجع العكي مولى عمر بن الخطاب واستشهد بها. رضي الله عنهم أجمعين.

هذا وقد ذكر رسول الله ﷺ أن من شهد بدراً من الصحابة ﵃ هم خيار المسلمين، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق يحيى بن سعيد وهو الأنصاري عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقيِّ عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة. اهـ.

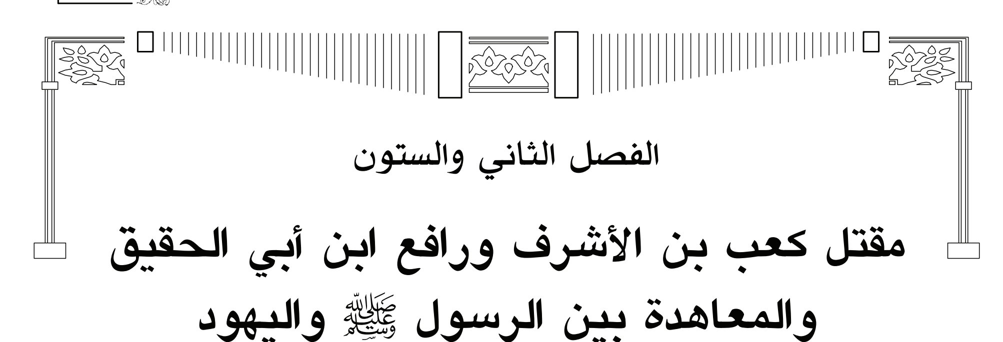
فقد كان أهل بدر أصحاب منزلة عالية في عيون أصحاب رسول الله ﷺ ولذلك جاء في حديث الإفك لما سمعت عائشة ﵂ أم مسطح تقول: تعس مسطح، فقالت لها عائشة ﵂: أتَسُبين رجلاً شهد بدراً. كما روى البخاري في صحيحه من حديث علي ﵁ قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثدٍ والزبير وكلنا فارس، قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ فإن بها امرأة من المشركين، معها كتابٌ من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين**»، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا: الكتابُ، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها، فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ لتُخْرِجن الكتاب أو لنُجَرِّدَنَّك! فلما رأت الجد أهوت إلى حُجْزتِها وهي محتجزة بكساءٍ وأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قال حاطبٌ: والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، أردت أن يكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: «**صدق ولا تقولوا له إلا خيراً**»، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه.

فقال: «**أليس من أهل بدر؟**» فقال: «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غَفَرْتُ لكم**»، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. اهـ. وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال في حِبٍّ له:

يَـــا بَـــدْرُ أَهْـــلُـــكَ جَـــارُوا وَعَـــلَّـــمُـــوكَ الـــتَّـــجَـــرِّي
وقَـــبَّـــحُـــوا لَـــكَ وَصْـــلـــي وحَـــسَّـــنُـــوا لـــك هَـــجْـــرِي
فَـــلْـــيَـــفْـــعَـــلُـــوا مـــا أَرَادُوا فـــإنـــهـــم أهـــل بـــدر

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والستون

مقتل كعب بن الأشرف ورافع ابن أبي الحقيق والمعاهدة بين الرسول ﷺ واليهود

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

بعد رجوع المسلمين من معركة بدر كتبت كفار قريش إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، فلتُقاتِلُنَّ صاحبنا أو ليكونن بيننا وبينكم أمرٌ، وكان كعب بن الأشرف أحد رؤساء اليهود في بني النضير، وكان من قبيلة صيئ من بني نبهان وكانت أمه من بني النضير، وكان كثير الأذى لله ولرسوله وللمؤمنين، فأخذ يُحَرِّضُ على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يوم بدر، فأمر النبي ﷺ بقتله.

فقد روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لِكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟**» قال: محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»، قال: ائذن لي أن أقول شيئاً، قال: «**قل**»، فأتاه، فقال له، وذكر ما بينهم، وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقةً وقد عنَّانا، فلما سمعه قال: وأيضاً والله لتملُّنَّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره؟ قال: وقد أردت أن تُسلفني سلفاً وسقاً أو وسقين، قال: فما ترهنني؟ ترهنني نساءكم؟ قال: أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا؟ قال له: ترهنوني أولادكم؟ قال: يُسَبُّ ابن أحدنا، فيقال: رُهِن في وسقين من تمر، ولكن نرهنك اللَّأمة - يعني السلاح - قال: فنعم، وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعبَّاد بن بشر، قال: فجاؤوا، فدعوه ليلاً، فنزل إليهم، قالت له امرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم، قال: إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم إذا دعي إلى طعنةٍ ليلاً لأجاب، قال محمد: إذا جاء فسوف أمُدُّ يدي إلى رأسه، فإذا استمكنتُ منه

فدونكم، قال: فلما نزل، نزل وهو متوشح فقالوا: نجد منك ريح الطيب؟ قال: نعم. تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أشم منه؟ قال: نعم فشُمَّ، فتناول فشم ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال فاستمكن من رأسه ثم قال هو دونكم، فقتلوه. اهـ.

كما كان أبو رافع بن أبي الحُقيق اليهودي كثير الأذى لله ورسوله، وكان يُحَرِّض على رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، وكان تاجراً ـ يُنْفِقُ مالهُ في الصَّد عن سبيل الله، فبعث إليه رسول الله ﷺ رهطاً من الأنصار فقتلوه.

فقد روى البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله، وفي رواية للبخاري قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه، كأنه يقضي حاجةً، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على ودٍّ، قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل، قلتُ: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت؟ قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربُهُ ضربةً بالسيف، وأنا دهش، فما أغنت شيئاً وصاح، فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربةً فأثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه، حتى

أخذ في ظهره فعرفت أني قد قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، حتى انتهيتُ إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيتُ إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامتي، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم: أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال: ابْسُط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط. اهـ.

وقوله في الحديث: علق الأغاليق على ودٍّ: الأغاليق والأقاليد هي المفاتيح، والود هو الوتد بلغة بني تميم. والعلالي جمع علِّيَّة وهي الغرفة، وضبيبُ السيف هو حدُّه.

وبعد مقتل عدو الله كعب بن الأشرف ومقتل عدو الله أبي رافع بن أبي الحقيق أصاب اليهود ذعر شديد.

فقد قال أبو داود في سننه: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم قال: أخبرنا شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان، واليهود، وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فزعت اليهود والمشركون فغدوا على النبي ﷺ فقالوا: طرق صاحبنا فقتل، فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقوله، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامةً صحيفة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثالث والستون

محاصرة بين النضير

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أشرت في ختام الفصل السابق إلى ما كتبه رسول الله ﷺ من صحيفة المعاهدة بينه وبين اليهود ومن معهم من المشركين، غير أن اليهود لما جاءهم كتاب من أهل مكة بعد توقيع المعاهدة وهددوهم فيه باستئصال شأفتهم إذا لم يحاربوا رسول الله ﷺ أجمعت بنو النضير على الغدر.

قال أبو داود في سننه: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أُبي ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذٍ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لَتُقاتِلُنَّهُ أو لَتُخْرِجُنَّهُ أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مُقاتِلَتَكُمْ ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقِيَهُم، فقال: «**لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم**»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لَتُقاتِلُنَّ صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم إليهم أجمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فأعلمه جبريل بكيدهم، فلما كان الغد غدا

عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم، فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصةً، أعطاه الله إياها وخصَّه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحَشر: ٦] يقول بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة. اهـ.

وقوله في الحديث: تكيدكم أي تمكر بكم وتخدعكم، والحبر هو العالِمُ، وقوله: بمكان المنصف، أي نصف الطريق، يريدون أن يجتمع بهم في موضع لا يميل إلى جهتهم ولا جهته ليكون أعدل وأقرب إلى الأمن، وهذا من خداعهم، والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش، والجلاء هو النفي من البلاد، وقوله: أقلَّت الإبل أي حملت، والفيء ما يحصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا قتال. وقوله في الحديث: فقاتلهم، أي حاصرهم حصاراً شديداً. وقوله: «أوجفتم» الإيجاف الإسراع والحث في السير، والركاب جماعة الإبل فوق العشرة، وقد قطع رسول الله ﷺ وحرَّق نخل بني النضير في البُوَيْرَة، وكانت بنو النضير وهم قبيلة من اليهود بمكان يقال له البويرة وتقع جنوبي مسجد قباء، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: حرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، ولها يقول حسان:

وهان على سَراةِ بني لؤيٍّ حريقٌ بالبويرة مستطير

زاد في رواية: قال: فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرَّق في نواحيها السعير
ستعلم أيُّنا منها بِنُزُهٍ وتعْلمُ أيُّ أَرْضِينَا تَضِيرُ

وقد أخرجه البخاري ومسلم كذلك بلفظ: أن النبي ﷺ قطع نخل بني النضير وحرَّق. وفي رواية زاد. ولها يقول حسان:

وهان على سَرَاةِ بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وفي ذلك نزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحَشر: ٥].

وفي لفظ: أن النبي ﷺ حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الحَشر: ٥].

وفي لفظ لمسلم: حرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير. وقوله: حرَّق رسول الله ﷺ نخل بني النضير أي أمر أصحابه في غزوة بني النضير أن يُشْعِلُوا النار في نخيل بني النضير. وقوله: وقطع، أي وأمر أصحابه ﷺ باجتثاث بعض أشجار بني النضير، ولعلها الأشجار التي يسهل قطعها ويصعب تحريقها لشدة خضرتها وكثرة الماء في عروقها، وقوله: سَراة هي جمع سَرِي وهو النَّفيسُ الشريف، وهو جمع غير قياسي، والمراد ببني لؤي كفار قريش، وأراد حسان رضي الله عنه تعييرهم لأنهم هم الذين أغروا بني النضير بنقض العهد وأمروهم به ووعدوهم أن ينصروهم إن قصدهم النبي ﷺ.

وهذا وكانت وقعة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، فقد قال البخاري في صحيحه في باب حديث بني النضير: وقال الزهري عن عروة بن الزبير كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد، وقول الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ [الحَشر: ٢]. اهـ.

وقد نزلت سورة الحشر في قصة وقعة بني النضير، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يسميها سورة بني النضير، فقد روى البخاري ومسلم من طريق سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: أُنْزلت في بني النضير. وفي لفظ للبخاري من طريق سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: سورة النضير.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفصل الرابع والستون

إجلاء بني النضير وموقف رأس المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول من بني النضير

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

ذكرت في ختام الفصل السابق ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سورة الحشر أُنزلت في بني النضير، وأُشير في هذا الفصل إلى أن الله تبارك وتعالى لفت انتباه الناس إلى عِبر وعِظات في قصة بني النضير، وأنه وحده هو المستحق للعبادة والتسبيح والتمجيد والتقديس، فجميع ما في السموات وما في الأرض يسبح له بلسان الحال أو بلسان المقال ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومن أعظم العبر التي صدَّر الله تعالى بها قصة بني النضير في سورة الحشر أن من عصى الله وحارب رسوله يُعَرِّضُ نفسه للهوان والذلة والخزي في الدنيا والآخرة مهما كانت قوته، ومهما كانت حصونه، فإن بني النضير كانوا على حال من القوة والتمكن في الأرض لا يخطر على بالهم أن يستطيع أحد أن يزلزلهم من منازلهم، ولم يخطر على بال غيرهم أن أحداً يستطيع إجلاء بني النضير لقوة بأسهم وشدة شكيمتهم، وكثرة أموالهم ونخيلهم وسلاحهم واستحكام حصونهم، فلما أراد الله تبارك وتعالى إنزال عقوبته بهم لم تنفعهم حصونهم وقلاعهم، ولم يُجْد معهم شيء من أسباب قوتهم ودفاعهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب حتى صاروا ينقضون بيوتهم ويجتهدون في تخريبها بأيديهم بعد أن كانت أعز عليهم من نفوسهم، ويرضون بالجلاء عن ديارهم طلباً لإنقاذ أنفسهم.

وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ

لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٢ ـ ٤].

والمراد بأول الحشر أي أول جلاء أصابهم، وهو يشير إلى أنه سيقع عليهم جلاء آخر، كما تمّ ذلك في عهد الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أخرج جميع أهل الكتاب من جزيرة العرب امتثالاً لوصية رسول الله ﷺ التي أثر أنه وَصَّى بها عند موته حيث قال: «**أخرجوا الكفار من جزيرة العرب**».

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى إعزازه لأوليائه وإذلاله لأعدائه أن تمكن المسلمون من السيطرة على بني النضير وصاروا يقطعون من نخيلهم ما يشاؤون ويتركون منها ما يشاؤون، حيث يقول عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، واللِّينة، قيل هي النخلة مطلقاً، وقيل هي النخلة سوى العجوة والبَرْنيَّة، والظاهر أنها اسم للنخلة غير الكريمة، ولا يزال أهل مدينة رسول الله ﷺ يطلقون على النخلة الرديئة: لونة، قال في القاموس المحيط عن اللون: والدَّقَل من النخل أو هو جماعة واحدتها لونةٌ بالضم، ولينة بالكسر، وتُجْمع لينةٌ على لينٍ. اهـ. وقال عن الدَّقَل: أردأُ التمر، وقد أدقل النَّخلُ، أو لم يكن أجناساً معروفة. اهـ.

وقد كان عبد الله بن أُبي ابن سلول ومن معه من المنافقين لعنهم الله يبعثون إلى بني النضير بالوقوف في وجه رسول الله ﷺ ويشجعونهم على حرب رسول الله ﷺ، ويطمئنونهم بأنهم لن يتخلوا عن نصرتهم وتأييدهم ضد الإسلام والمسلمين حتى ولو أدَّى الأمر إلى أن يتركوا المدينة معهم لو تمكن المسلمون من إجلاء بني النضير فهم معهم على كل حال، وسيقاتلون المسلمين إن قاتل المسلمون بني النضير، فأعلم الله ورسوله ﷺ بموقف المنافقين، وبشره بالنصر

المؤزر، وطمأنه بأن المنافقين لن يستطيعوا أن يُقدموا أي عونٍ لبني النضير، وأن قلوبهم شتى، وأن مثلهم كمثل الشيطان إذ يُغْرِي أولياءه ثم يتخلى عنهم ويتبرأ منهم، وهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش المسلمين ومبارزتهم، وفي ذلك يقول الله ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١١ ـ ١٧].

هذا وقد بدأت معيشة المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم تتحسن بعد بدر والنضير، وقد تزوج علي فاطمة الزهراء رضي الله عنها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الإصابة في ترجمة فاطمة الزهراء رضي الله عنها: ذكر ابن إسحاق في المغازي الكبرى: حدثني ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عليٍّ أنه خطب فاطمة فقال له النبي ﷺ: «**هل عندك من شيء؟**» قلت: لا. قال: «**فما فعلت الدِّرْعُ التي أصبتها**» يعني من مغانم بدر. اهـ.

وقال أبو داود في سننه حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا عبدة ثنا سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما تزوج عليّ فاطمة قال له رسول الله ﷺ: «**أعطها شيئاً**» قال: ما عندي شيء. قال: «**أين درعُك الحُطمِيَّةُ؟**» ورواه النسائي من طريق هارون بن إسحاق عن عبدة عن سعيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

كما روى البخاري في صحيحه من طريق الزهري قال: أخبرني عليُّ بن

الحُسين أن حُسين بن علي عليه السلام أخبره أن علياً قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفاً من الخُمُسِ مما أفاء الله عليه يومئذٍ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلاً صَوَّاغاً من بني قينُقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصَّوَّاغين فنستعين به في وليمة عُرسِي، فبينما أنا أجمع لشارفَيَّ من الأقتاب والغرائز والحبال، وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار فرجعت حين جمعت فإذا شارفاي قد أُجبَّت أَسْنِمتُهما وبُقِرتْ خواصرهما وأُخذ من أكبادهما. . .إلخ الحديث.

كما روى مسلم من طريق ابن شهاب عن علي بن حسين بن علي عن أبيه حسين بن علي عن علي بن أبي طالب قال: أصبت شارفاً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفاً أخرى، فأنختهما يوماً عند باب رجل من الأنصار وأنا أريد أن أحمل عليهما إذْخِراً لأبيعه ومعي صائغ من بني قينقاع فأستعين به على وليمة فاطمة. الحديث. والشارف هي الناقة المُسِنَّةُ. وقوله: أبتني بفاطمة أي أدخل بها، والبناء الدخول بالزوجة؛ لأنهم كان من عادتهم إذا أراد الرجل الدخول بأهله بنوا له قبة فخلا بها فيها.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخامس والستون

طباع اليهود في الغدر والخيانة ومعركة أُحد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

لما كانت طباع اليهود في الغدر والخيانة والخِسَّة واللُّؤم لا تقف عند حَدٍّ، وهم قتلةُ الأنبياء وإخوان القِرَدَة والخنازير، عزم رسول الله ﷺ على إخراجهم من المدينة المنورة التي كانوا قد جاؤوا إليها من الشام؛ طلباً للنبي الأمي الخاتم الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، وكانوا يعرفون أنه يهاجر إلى يثرب ذات الأرض السَّبِخَةِ والنخيل بين لابتين، بل كانوا يعرفون صفاتِه كما كانوا يعرفون أبناءهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعْنَةُ الله على الكافرين.

وقد روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ رسول الله ﷺ فأَجْلى بني النضير، وأَقَرَّ قُرَيْظة ومَنَّ عليهم، حتى حاربت قريظةُ بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم، وأَسْلَموا، وأجلى يهود المدينة كُلَّهُم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة.

كما روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد يوماً: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**انْطَلِقُوا إلى اليهود**»، فأتاهم، فقال: «**أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**». فقالوا: قد بَلَّغْتَ، فقال: «**ذلك أُرِيدُ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**». فقالوا: قد بلَّغْت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ذلك أُرِيدُ**»، ثم قالها الثالثة ثم قال: «**اعلموا أن الأرض لله ولرسوله وإني أريد أن أُجْلِيكُمْ من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئاً فَلْيَبِعْهُ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله**».

هذا وفي شوال من السنة الثالثة للهجرة وقعت غزوة أحد، وكانت قريش تريد الثأر لقتلاها يوم بدر، وأجمعت على حرب رسول الله ﷺ فجمعت جُمُوعها، وخرجت بحدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تبعها من بني كنانة وأهل تهامة وأخرجوا معهم نساءهم ومُغَنِّيَاتِهم حتى لا يفروا، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشيُّ على رأس المشركين ومعه زوجته هند بنتُ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية لتؤلب على المسلمين، وتَحُضَّ على حربهم لتثأر لمقتل أبيها وأخيها وعمها يوم بدر، فأقْبَلوا حتى نزلوا بعينين، وهو جبلٌ ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، قرب جبل أحد يفصل الوادي بينه وبين جبل أحد. فاستشار رسول الله ﷺ الناس، واستقر رأيهم على الخروج إلى أحد، فخرج بهم وهم نحو ألف رجل، والمشركون نحو ثلاثة آلاف، غير أن عدو الله رأس المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول رجع بنحو ثُلُث الناس قبل أن يصل إلى أحد، فحاول عبد الله بن عمرو بن حرام السَّلَميُّ والد جابر رضي الله عنهما أن يحملهم على متابعة رسول الله ﷺ وقال لهم: تعالوا قاتِلُوا في سبيل الله أو ادفعوا، فقال عبد الله بن أُبَي ومن معه من المنافقين لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وقد كادت طائفتان من المؤمنين أن تتأثرا بكلام عدو الله عبد الله بن أُبَي وتفشلا وهما من بني حارثة وبني سَلِمَة، لكن الله تعالى عصم هاتين الطائفتين وثبتهما على الحق، وفي تخاذل عبد الله بن أُبي ومن معه، وما كان من تأثير ذلك على طائفتين من المؤمنين عصمهم الله يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

ويقول في شأن الطائفتين اللتينِ هَمَّتا بالرجوع: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية [آل عِمرَان: ١٢٢] الآية، قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سَلمة وما يَسُرُّني أنها لم تنزل لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢].

وقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كلٍّ خيرٌ**».ا.هـ.

ولا شك أن بني النجار تشمل بني عدي، وبني سلمة، وبني حارثة، وبني ساعدة، وقد أشار حديث جابر إلى أن بني سلمة وبني حارثة شيء واحد، وهما الطائفتان اللتان همَّتا أن تفشلا، وبنو سلمة بجوار سلع من ناحية الغرب مباشرة، وبنو حارثة من أول الحرة الشرقية إلى جهة الشرق الشمالي.

وأصل بني حارثة هم من بني عبد الأشهل من الأوس، إلا أن بني عبد الأشهل تقاتلوا مع بني حارثة وطاردوهم إلى القرب من أُحد، فيما يسمى الآن بالحرة الشرقية الشمالية، فتحالف بنو حارثة مع بني سلمة فكانوا كشيء واحد.

وقد استمر رسول الله ﷺ سائراً حتى نزل الشِّعب من أحد في عُدْوة الوادي، وجعل ظهره وظهر عسكره إلى أحد، وأخذ يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ويسوي صفوفهم، وأجلس جيشاً من الرماة فوق جبيل على مقربة من عسكر رسول الله ﷺ بالجنوب الشرقي من أرض المعركة لينضحوا عن المسلمين بالنبل وكانوا خمسين رامياً وليحموا ظهر المسلمين إذا أقبلوا على قتال المشركين الذين كانوا إلى الجهة الغربية من مكان المسلمين، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، وقال رسول الله ﷺ للرماة وأميرهم: «**لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا**»، حتى قال لهم: «**إن رأيتمونا تخطَّفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**»، فلما التقى الجمعان أخذ المسلمون يحصدون المشركين حصداً، فهرب المشركون حتى لحق بعضهم بالطائف وهربت نساؤهم إلى الجبل يشْتدِدْن فيه ورفعن عن سوقهن، حتى

بدت، خلاخيلهُنَّ، فلما رأى الرماةُ ذلك نسوا وصية رسول الله ﷺ لهم وأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير عن النزول، وأمرهم بالثبات في مكانهم تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ، لكنهم في غمرة فرحتهم بهذا النصر اندفعوا إلى أرض المعركة يجمعون الغنائم، فَفَطِنَ لهم خالد بن الوليد، وكان على خيل المشركين في مائة فارس، فاستدار بخيله من ورائهم، وكان عبد الله بن جُبَيْر أميرُ الرماة لم يبرح مكانه، حتى اسْتُشْهِد رضي الله عنه، وأخذت فرسان المشركين تصيب المسلمين، وأخذ كثير من المسلمين يُصْعِدون ولا يلوون على أحد، ورسول الله ﷺ ثابتٌ يناديهم في أخراهم: إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله، ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، وقد صرخ إبليس بالمشركين المنهزمين: أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم، والتحموا في المعركة مع المسلمين، وأصاب المسلمين غمٌّ شديد حتى صار يضرب بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: هُزِم المشركون يوم أُحد هزيمةً بينة، تُعْرَفُ فيهم، فصرخ إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فنظر حذيفة بن اليمان فإذا هو بأبيه فقال: أبي، أبي، قالت: فوالله ما انحجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة منها بقية خير حتى لقي الله. زاد في رواية: وقد كان انهزم منهم قوم حتى لَحِقُوا بالطائف.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والستون

سياق معركة أُحد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

ذكر البخاري في صحيحه قصة غزوة أُحد، فقال: باب غزوة أُحد وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

وقوله جل ذِكْرُهُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٢].

وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

ثم ساق البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ يوم أُحد: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسِهِ عليه أداةُ الحرب**».

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لقينا المشركين يومئذٍ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرُّماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير، وقال: «**لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعِينُونا**»، فلما لقينا هربوا، حتى رأيت النساء يشتدِدْن في الجبل، رفعْنَ عن

سُوقِهِنَّ، حتى بدت خلاخِلُهُنَّ، فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عَهِد النبيُّ ﷺ أن لا تبرحوا. فأبوا، فلما أبوا صرف الله وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «**لا تُجيبوه**». فقال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ فقال: «**لا تُجيبوه**». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتِلُوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يَمْلِكْ عمرُ نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعْلُ هُبَلُ! فقال النبي ﷺ: «**أجيبوه**». قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «**الله أَعْلا وأَجَلُّ**». قال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «**الله مولانا ولا مولى لكم**»، قال أبو سفيان: يوم بيوم، والحربُ سِجَالٌ وتجدون مُثْلَةً، لم آمُرْ بها ولم تَسُؤني. وفي رواية: قال: جعل رسول الله ﷺ على الرَّجَّالة يوم أُحد ـ وكانوا خمسين رجلاً، وهم الرُّماةُ ـ عبد الله بن جُبير، فقال: «**إن رأيتمونا تَخطَّفُنا الطيرُ فلا تبرحوا، حتى أُرْسِل إليكم**». فهزمهم الله، فأنا والله رأيتُ النساء يشتدِدْن، وقد بدت خلاخيلُهُنَّ، وأسْوُقُهُنَّ، رافعات ثيابهُنَّ، فقال أصحاب عبد الله بن جُبير: الغنيمة، أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابُكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنَسِيتُم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنُصِيبنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صُرفتْ وجُوهُهُمْ، فأَقْبَلُوا مُنْهَزِمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٣]، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ ـ ثلاث مرات ـ فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ـ ثلاث مرات ـ ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ـ ثلاث مرات ـ ثم رجع إلى أصحابه فقال: أمَّا هؤلاء فقد قُتِلوا، فما ملك عمرُ نفسه فقال: كذبت والله يا عدوَّ الله، إن الذين عددْت لأحياءٌ كُلُّهُمْ، وقد بقي لك ما يسُوؤك، قال: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجالٌ إنكم ستجدون في القوم مُثْلَةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤني، ثم أخذ يرْتَجزُ: اعْلُ هُبَلُ، اعْلُ هُبَلُ. فقال النبي ﷺ: «**ألا تُجِيبُوه؟**» وذكره إلى قوله: ولا موْلى لكم.

كما أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحَجَفةٍ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً، شديد النزع، لقد كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجُعْبَةُ من النَّبْل فيقول: «**انثُرْها لأبي طلحة**»، قال: ويُشْرف النبي ﷺ ينْظُرُ إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي وأمي لا تشرف لا يصيبك سهم من سهام القوم نَحْرِي دون نَحْرِك، ولقد رأيت عائشة، وأم سُلَيم وإنهما لمشمرتان، أرى خَدَم سُوقِهما ينقلان القِرَب على مُتُونهما، ثم تُفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة: إما مرتين وإما ثلاثاً من النعاس.

وفي لفظ للبخاري قال: كان أبو طلحة يتترَّسُ مع النبي ﷺ بتُرْسٍ واحدٍ، وكان أبو طلحة حسن الرَّمِي، فكان إذا رمى يُشْرِف النبي ﷺ فينظرُ إلى موضع نبْلِهِ.

وفي لفظ لمسلم من حديث أنس بن مالك ﵁ أن النبي ﷺ أفرد يوم أُحد في سبعةٍ من الأنصار ورجُلين من قريش، فلما رَهِقُوه قال: من يَرُدُّهُمْ عنا، وله الجنة ـ أو هو رفيقي في الجنة ـ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِل، ثم رَهِقُوه أيضاً، فقال: من يَرُدُّهم عنا وله الجنة ـ أو هو رفيقي في الجنة ـ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِل، فلم يزل كذلك حتى قُتِل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنْصَفْنا أصحابَنا**».

وقد أنزل الله تبارك وتعالى على بعض المؤمنين النُّعاسَ أَمَنَةً، كما ذكره ﷻ في كتابه، وقد روى البخاري من حديث أبي طلحة ﵁ قال: كنتُ ممن يغشاه النُّعاسُ يوم أُحد حتى سقط سيفي من يدي مِراراً، يسْقط وآخُذُهُ، ويسقُط وآخُذُهُ.

وقد روى مسلم من حديث أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد فقال: «**من يأخذ مني هذا؟**»، فبسطوا أيديهم كلُّ إنسان منهم يقول: أنا أنا فقال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل السابع والستون

متابعة سياق معركة أُحد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

كان أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاريُّ الخزرجيُّ عمُّ أنس بن مالك رضي الله عنهما قد غاب عن قتال المشركين يوم بدر، فعاهد الله إن شَهِد قتالاً للمشركين ليريَنَّ الله ما يصنع، فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون صدق ما عاهد الله عليه.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليريَنَّ الله ما أصنع ـ وفي رواية: لئن أشهدني الله مع النبي ﷺ ليريَنَّ الله ما أُجِدُّ ـ فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعدُ بنُ مُعاذ، فقال: يا سعدُ بن معاذ، هذه الجنةُ ورَبِّ النَّضْرِ، إني أجد ريحها من دون أُحُد، فقال سعد: فما استطعتُ على ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعة وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ـ وهي الرُّبَيِّعُ بنت النضر ـ بشامةٍ أو ببَنَانِه، قال أنس: كنا نُرَى ـ أو نَظُن ـ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أما لفظ مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «عَمِّي الذي سُمِّيتُ به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، فشقَّ عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غِبْتُ عنه؟ فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، قال: فاستقبل

سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو: أين تَمُرُّ؟ قال: واهاً لريح الجنة، أجده دون أُحد، قال: فقاتل حتى قُتِل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة، ثم ذكر نحو ما تقدم. وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رجل لرسول الله ﷺ يوم أُحد: أرأيت إن قتلت أين أنا؟ قال: «**في الجنة**»، فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قُتل. وقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث علي رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أحد: «**يا سعد ارم فداك أبي وأمي**». وفي لفظ للبخاري عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نثل لي النبي ﷺ كنانتهُ يوم أُحد فقال: «**ارمْ فداك أبي وأمي**». كما روى مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ جمع له أبويه يوم أحد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين، فقال له النبي ﷺ: «**ارم فداك أبي وأمي**» قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط، فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه. ومعنى قوله في أول الحديث: جمع له أبويه يوم أُحد أي قال له: فداك أبي وأمي. وقوله: قد أحرق المسلمين أي أثخن فيهم وصار كالنار التي تحرق من تصيبه.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت على يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أُحد رجلين عليهما ثيابُ بياض يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قَبْلُ ولا بعدُ.

وقد استشهد في هذه المعركة أسدُ الله وأسدُ رسوله ﷺ حمزةُ بن عبد المطلب عمُّ رسول الله ﷺ قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جُبير بن مطعم، وقد كان كَمَن لحمزة بن عبد المطلب تحت صخرة حتى دنا منه حمزة رضي الله عنه فرماه بحربته فقتله.

وقد روى البخاري في صحيحه عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْريِّ قال: خرجت مع عُبَيدِ الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص قال لي عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلتُ: نعم، وكان وحشي يسكن

حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حَميتٌ، قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال: وعُبيدُ الله مُعْتَجِرٌ بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه، فقال عُبيد الله: يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها: أمُّ قتال بنت أبي العيص، فولدت له غلاماً بمكة، فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه، فناولتها إياه، فلكأني نظرت إلى قدميك، فكشف عبيد الله عن وجهه، ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طُعَيْمَة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جُبَيْرُ بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عَيْنَيْن، وعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بحيال أُحد، بينه وبينه وادٍ، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصْطَفُّوا للقتال، خرج سِبَاعٌ فقال: هل من مُبَارزٍ؟ قال: فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب، فقال: يا سِبَاعٌ يا ابن أمِّ أنْمَارٍ مُقَطِّعةِ البُظُور، أَتُحَادُّ الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب، قال: وكَمَنْتُ لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي، فأضعها في ثُنَّتِهِ حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسولاً، فقيل لي: إنه لا يهيجُ الرُّسُل، قال: فخرجتُ معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال: «**أنت وحشي؟**» قلت: نعم. قال: «**أنت قتلت حمزة؟**» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: «**فهل تستطيع أن تُغَيِّب وجهك عني؟**» قال: فخرجتُ، فلما قُبض رسول الله ﷺ فخرج مُسَيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لَعَلِّي أقتله فأُكافئ به حمزة، قال: فخرجتُ مع الناس، فكان من أمره ما كان، قال: فإذا رجل قائم في ثَلْمَةِ جدار، كأنه جملٌ أوْرَقُ ثائر الرأس، قال: فرميته بحربتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار، فضربه بالسيف على هامته.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الثامن والستون

إصابة المسلمين بالقرح يوم أُحد

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

قضى الله تبارك وتعالى ولا راد لقضائه أن يبتلي المسلمين يوم أحد بما أصابهم من القَرْح؛ ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، ويتخذ من المؤمنين شهداء، وإلى ذلك يشير الله ﷻ مبيناً فقه غزوة أحد حيث يقول:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ ـ ١٥٨].

ثم يقول ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٥ ـ ١٧١].

ولقد جرح رسول الله ﷺ في هذه الغزوة وكُسِرَت رباعيته، وكُسِرَتْ البيضة

على رأسه حتى سال الدم على وجهه الشريف، ليحتسب ذلك عند الله ﷻ، وليعلم الناس أن الأمر كله بيد الله وحده لا شريك وأن رسول الله ﷺ ليس له من الأمر شيء وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨].

وفي هذا قطع لكل أمل في غير الله ﷻ، وأنه هو وحده النافع الضار، وإن تعجب فعجب لبعض المنتسبين للإسلام، وقد يكونون ممن ينتسب إلى العلم وهم يحسبون أن أولياء الله يتصرفون في الكون وينفعون ويضرون، وينادي هؤلاء في شدائدهم حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء ليدفع عنهم وهو في قبره ضراً أو أن يجلب لهم نفعاً، وما يفعلونه هو الشرك الأكبر الذي أكد الله ﷻ أنه لن يغفره إلا بتوبة خالصة منه.

قال البخاري في صحيحه: باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]. قال حميد وثابت عن أنس: شُجَّ النبي ﷺ يوم أُحد فقال: «**كيف يُفلحُ قومٌ شجوا نبيهم؟**» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨].

وقد روى مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول: كيف يُفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨].

وقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء، وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنتُ رسول الله ﷺ تغسله، وعليٌّ يسكب الماء بالمِجَنِّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيدُ الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، وكسرت رباعيته يومئذٍ وجُرح وجهه، وكُسرت البيضة على رأسه. وقد دفع الله تبارك وتعالى بالرعب في قلوب المشركين مع أن الجولة كانت لهم فانصرفوا عن

أرض المعركة، وامتطوا إبلهم راجعين إلى مكة، وفرغ المسلمون لشهدائهم وجرحاهم، وقد استشهد من المسلمين سبعون شهيداً كما روى ذلك البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه الذي تقدم في الفصل السادس والستين. وقد قتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والستون

شهداء أُحد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق أنه استشهد من المسلمين في غزوة أُحد سبعون شهيداً، ذكرت منهم حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء ﵁، وقد استشهد كذلك مصعب بن عمير، واليمان واسمه حُسَيْلُ بن جابر بن ربيعة العبسي والد حذيفة بن اليمان ﵄، وقد قتله المسلمون خطأً، كما استشهد عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ﵄، واستشهد كذلك عبد الله بن جُبير أمير الرماة ﵃، واستشهد كذلك سعد بن الربيع وأنس بن النضر وعبد الله بن جحش وغيرهم ﵃ كان أكثرهم من الأنصار ﵃.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق إبراهيم يعني ابن عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائماً: فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّنَ في بُرْدَةٍ إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أُعْطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا، ثم يبكي حتى ترك الطعام.

كما روى البخاري من حديث خباب ﵁ قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومنا مَنْ مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أُحد لم يترك إلا نَمِرَةً، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غُطي بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي ﷺ: «**غطوا بها رأسه، واجعلوا على رجله الإذخر**» أو قال: «**ألقوا على رجليه من الإذخر**»، ومنا من قد أينعت له ثمرته فهو يهدبها.

كما روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ﵄ قال: أُصيب

أبي يوم أُحد، فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعلوا ينهونني، ورسول الله ﷺ لا ينهاني، وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه، فقال رسول الله ﷺ: «**تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تُظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه**».

قال ابن إسحاق: حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرِمُ بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصَيْرِم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتى دخل في عُرْض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحةُ، قال: فبينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصَيْرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رغبةٌ في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سيفي فغدوتُ مع رسول الله ﷺ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني. ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «**إنه لمن أهل الجنة**».

وقد أمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء في مصارعهم، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم، فقد روى البخاري في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أُشير له إلى أحد قَدَّمه في اللحد، وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**»، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصَلِّ عليهم، ولم يُغَسلُوا. اهـ.

وقد كان بعض الناس قد حمل قتلاه لدفنهم في المدينة، فقد روى أحمد وأبو داود واللفظ له والنسائي والترمذي وابن ماجه من طريق نُبَيْحٍ العنزي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم، فجاء منادي

النبي ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تدفنوا القتلى في مضاجعهم، فرددناهم. اهـ.

وقد دفن رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش وهو ابن أخت حمزة في قبر واحد، وجمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام وزوج أخته عمرو بن الجموح في قبر واحد.

وقد روى البخاري في صحيحه من طريق الشعبي قال: حدثني جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أباه استشهد يوم أحد وترك عليه ديناً، وترك ست بنات، فلما حضر جذاذُ النخلِ قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أُحد، وترك ديناً كثيراً، وإني أحب أن يراك الغرماء، فقال: «**اذهب فبيْدِرْ كل تَمْرٍ على ناحية**»، ففعلْتُ ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بَيْدَراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «**ادْعُ لك أصحابك**»، فما زال يكيل لهم حتى أدَّى الله عن والدي أمانته، وأنا أرضى أن يؤدِّي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرةٍ، فسلم الله البيادر كلها، وحتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنها لم تنقص تمرة واحدة.

وقوله: فبيدر كل تمر على ناحية، أي كوم كل نوع من التمر على حدة، يقال: بيدر الطعام إذا كومه.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُجِلُّ من شهد معركة أُحد، فقد روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة فبقي منها مِرْطٌ جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك، يريدون أم كلثوم بنت عليٍّ، فقال عمر: أمُّ سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر: فإنها كانت تَزْفِرُ لنا القِرَب يوم أُحد. اهـ. ومعنى تزفر أي تحمل.

هذا ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة رأى بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن يُقْتَل الذين رجعوا من الطريق مع عبد الله بن أُبَيٍّ، وقالت فرقة من المسلمين: لا نقتلهم، فقد روى البخاري ومسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما

خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد رجع ناسٌ ممن خرج معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين؛ قالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النِّساء: ٨٨] وقال النبي ﷺ: إنها طيْبَةُ تنْفِي الرجال كما يَنْفِي الكِيرُ خَبَث الحديد.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السبعون

غزوة حمراء الأسد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد ذكرت في الفصل الثامن والستين أن الله تبارك وتعالى ألقى في قلوب المشركين الرعب، مع أن الجولة كانت لهم، فانصرفوا عن أرض المعركة وامتطوا إبلهم راجعين إلى مكة، وقد ألهم الله تبارك وتعالى رسوله وحبيبه وسيد خلقه محمداً ﷺ أن يخرج في اليوم الثاني من معركة أحد في إثر المشركين مخافة أن يرجعوا ليريهم أن بأصحابه قوة، وأن معركة أحد لم تَخْضِدْ شوكة المسلمين، فندب المسلمين الذين شهدوا معركة أُحد ـ مع ما بهم من القرح ـ فانتدب منهم سبعون رجلاً، فخرج بهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا بحمراء الأسد على الطريق بين مكة والمدينة، وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة المنورة فعسكروا بها، وكان المشركون قد نزلوا بالروحاء، فلما أفاقوا من رعبهم تلاوموا وقالوا: أصبنا أشراف أصحاب محمد وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم فأجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقد ذكر أن معبد بن أبي معبد الخزاعي مرّ برسول الله ﷺ وهو مقيم بحمراء الأسد، وكان معبد يومئذٍ مشركاً، إلا أن خزاعة مسلمهم وكافرهم كانت عيبة نصحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه ﷺ لا يخفون عنه شيئاً، فقال معبد لرسول الله ﷺ: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم انطلق معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ـ والروحاء على الطريق بين مكة والمدينة وهي على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة المنورة ـ وقد أخذ أبو سفيان ومن معه من المشركين أهبتهم مجمعين الرجعة لاستئصال المسلمين، وكان معبد الخزاعي قد تجرد من ثيابه عندما أقبل على الروحاء إمعاناً في تخويف

المشركين على عادة النذير العريان، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم، في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويحك ما تقول؟ قال: ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، ولقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهَدُّ مِنَ الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ
تَرْدِي بأُسْدٍ كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا مِيلٍ معَازِيلِ
فظَلْتُ عَدْواً أَظُنُّ الأرض مائلة ... لمَّا سَمَوْا برئيسٍ غير مخذولِ
فقلتُ وَيْلَ ابنِ حَرْبٍ من لقائكمو ... إذا تَغَطْمَطتِ البطحاءُ بالجِيلِ
إني نذير لأهل البَسْلِ ضَاحِيَةً ... لكل ذي إرْبَةٍ مِنْهُمْ ومعقولِ
من جيش أحمد لا وخْشٍ تَنَابلةٍ ... وليس يُوصَفُ ما أنذرتُ بالقِيلِ

وما إن سمع المشركون من معبد ما قال لهم حتى كادت قلوبهم تنخلع من الذُّعر فانطلقوا على وجوههم نحو مكة، ولقي أبو سفيان نَعِيم بن مسعود الأشْجَعِي أو رَكْباً من عبد القَيْس فجعَلَ لمن لَقِي منهم محمداً ﷺ وأخبره أن أبا سفيان والذين معه قد جمعوا لملاقاة محمد ﷺ وصحبه، فجاء نعيم بن مسعود الأشجعي أو الرهط من عبد القيس إلى رسول الله ﷺ وقالوا له وللمسلمين: إن الناس قد جمعوا لكم فاحذروا لقياهم وخافوهم فإنه لا طاقة لكم بهم، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ والمسلمون زادهم ذلك القول إيماناً بالله، ويقيناً بنصره وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وقد وصف الله تبارك وتعالى قصة حمراء الأسد وموقف المؤمنين فيها حيث يقول:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ

حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٩].

وقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من طريق هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٢]. قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: «**من يذهب في إثرهم؟**» فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير.

كما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٣].

وقول معبد الخزاعي: بالجُرْدِ، أي بالعتاق من الخيل، وقوله: الأبابيل، أي الجماعات، وقوله: تَرْدِي، أي تُسْرِعُ وترجم الأرض بحوافرها، والتنابلة: القِصَارُ، والميلُ: الذين لا رِمَاحَ معهم، والمعازيل: الذين لا سلاح معهم، ومعنى تغطْمَطت، أي اهتزت، والجيلُ: الصِّنْفُ من الناس، وأهلُ البَسْل: قريش، والضاحية أي العُريان، والإربةُ: العقل. وقوله في الحديث: فانتدب منهم سبعون رجلاً أي أجاب وبادر إلى الأمر المطلوب منه سبعون رجلاً، يقال: ندبه إلى الأمر فانْتَدب أي دعاه وحَثَّهُ ووجَّهَهُ فأجاب.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الواحد والسبعون

أصحاب الرجيع والقراء أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم جميعاً

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فإن رسول الله ﷺ بعد غزوة أُحد وحمراء الأسد بعث في أواخر سنة ثلاث من الهجرة النبوية سريَّة عَيْناً، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه، وكانوا عشرة أنفس، فلما وصلوا إلى موضع بين مكة وعسفان يقال له: الرجيع، كما يسمى الهَدْأَةَ والهَدَاة، والهَدَّةَ والهَدَة، وهو موضع لهذيل على سبعة أميال أو ثمانية أميال من عسفان، ذُكِرُوا لحي من هذيل يقال لهم بنو لِحْيَان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، فتَبِعُوهم بأكثر من مائة رام يعاونهم رجال من عضل والقارة، وهم بطنان مشهوران من بني الهُون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ بالنَّبْل، ثم أعطوا العهد والميثاق للثلاثة الباقين أن لا يقتلوهم إن استسلموا لهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيِّهم فربطوهم بها، فقال رجل من الثلاثة: هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم فجرَّرُوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بالرجلين الباقيين وهما خُبَيْبُ بن عدي وزيدُ بن الدَّثنة حتى باعوهما بمكة، وقد سقت في الفصل السادس والثمانين من كتابي (قصص الأنبياء) قصة هذه السرية من رواية البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بما في ذلك من مقتل خبيب رضي الله عنه وما أكرمه الله به من الآيات والثبات.

وفي الوقت الذي كانت فيه سرية عاصم بن ثابت متجهةً إلى ناحية الرجيع جاء إلى رسول الله ﷺ جماعة من بني سُلَيْم من رِعْلٍ وذكوان وعُصَيَّة وطلبوا منه أن يُمِدَّهُمْ برجال يعلمونهم القرآن والسنة، فأمدهم رسول الله ﷺ بسبعين رجلاً

من شباب المسلمين، كانوا معروفين بين أصحاب رسول الله ﷺ بالقُراءِ؛ لأنهم كانوا يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بمسجد رسول الله ﷺ ويحتطبون فيبيعون حطبهم ويشترون بثمنه طعاماً لأهل الصفة وللفقراء، فبعث رسول الله ﷺ هؤلاء السبعين لتعليم بني سليم القرآن والسنة ولدعوة المشركين من بني عامر، إذ إن أرضهم قريبة من أرض بني سليم، وكان من بين هؤلاء القُرَّاء حرامُ بن ملحان خالُ أنس بن مالك، وعامر بن فهيرة وعروة بن أسماء بن الصلت بن أبي حبيب حليف بني عمرو بن عوف، والمنذر بن عمرو بن أبي حُبَيش بن لوذان الساعدي الخزرجي، وعمرو بن أمية الضمري رضي الله عنهم، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة وهو ماء من مياه بني سليم بناحية المعدِنِ أي معدن بني سليم الذي يستخرج منه الحديد والذهب والفيروزج أو الزمرد، وكان يقع على الطريق النجدية بين مكة والمدينة على نحو مائة ميل جنوبي المدينة، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرة بني سليم أقرب، «ووهم من زعم أنها موضع ببلاد هُذَيْل بين عسفان ومكة»، فلما نزل القراء السبعون على بئر معونة وعسكروا بها، ورأوا أن يبدؤوا بدعوة المشركين من بني عامر إلى الإسلام، وكان على رأس المشركين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري لعنه الله، وكان عامر بن الطفيل قد أتى النبي ﷺ فقال لرسول الله ﷺ أخَيِّرُكَ بين ثلاث خصال: أن يكون لك أهل السهل ولي أهل المدَرِ أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألفٍ وألفٍ، ثم رجع عامر إلى قومه، فلما جاء القراء إلى بئر معونة وأرادوا دعوة بني عامر إلى الإسلام قال لهم حرام بن ملحان رضي الله عنه: أتقدمكم فإن آمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريباً، فتقدم ومعه رجلان أحدهما أعرج، ثم قال للرجلين: كونا قريباً حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريباً مني، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم، فتقدم حرام رضي الله عنه إلى عامر بن الطفيل وقومه وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، فبينما هو يحدثهم عن رسول الله ﷺ إذ أَوْمَؤوا إلى رجل منهم، فأتاه من خلفه فطعنه فأنفذه بالرُّمح، فلما طُعن حرام قال بالدم هكذا

فنضحهُ على وجهه ورأسه، وقال: الله أكبر، فُزْتُ وربِّ الكعبة، وكان الرجل الأعرج قد صعد الجبل فصار في رأس الجبل، ثم أدركوا الرجل الآخر فقتلوه، واستصرخ عامر بن الطفيل عليهم بني عامر فلم يجيبوه، فاستصرخ قبائل من سليم رِعْلاً وذكْوَان وعُصَيَّةَ فأجابوه إلى ذلك، وخرجوا معه حتى أحاطوا بالقراء، فقال لهم أصحاب رسول الله ﷺ: والله ما إياكم أردنا أي ما جئنا لقتالكم، إنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ فقتلوهم، ووقع عمرو بن أمية الضَّمْريُّ أسيراً في أيديهم، فقال له عامر بن الطفيل: من هذا ـ وأشار إلى قتيل ـ فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قُتِل رُفِعَ إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وُضِع.

فلما بلغ رسول الله ﷺ مصرع القراء ببئر معونة وكان قد بلغه كذلك ما أصاب أصحاب الرجيع وما صنعه بهم بنو لحيان قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو في صلاة الصبح على أحياءٍ من العرب، على رِعْلٍ وذكوان وعُصيَّة وبني لحيان.

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرامٌ، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشترون الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضُوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم أَبْلِغْ عنا نَبِيَّنا أنَّا قد لقيناك، فرضينا عنك، ورضيت عنا.

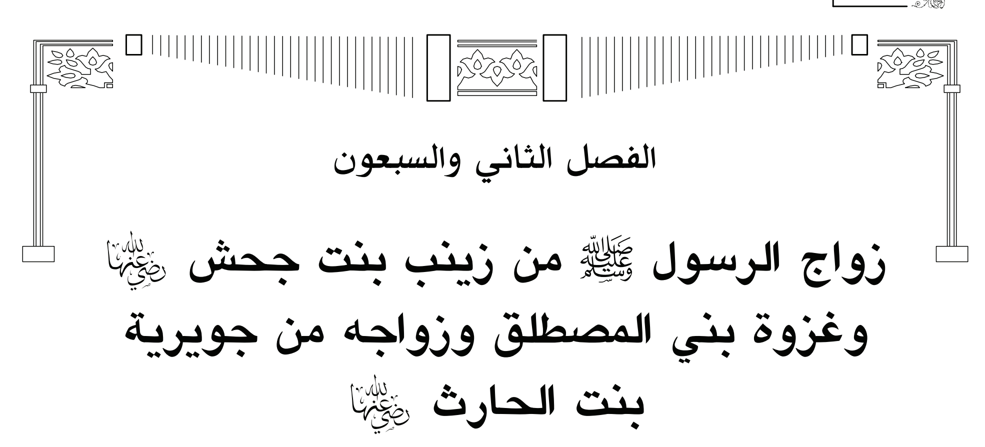
قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فُزْتُ ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**إن إخوانكم قد قُتِلوا، وإنهم قالوا: اللهم أبلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ورضينا عنك ورضيت عنا**». وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما طُعن حرامُ بن مِلْحان ـ وكان خالهُ ـ يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحهُ على وجهه ورأسه، ثم قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة.

وفي رواية للبخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ: حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغَدَروا بهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياءٍ من العرب: على رِعْلٍ وذكوان وعُصَيَّة وبني لِحيان.

وفي رواية للبخاري من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث خاله ـ أخاً لأم سُلَيْم ـ في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامرُ بن الطفيل، الحديث.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والسبعون

زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها وغزوة بني المصطلق وزواجه من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث خاله ـ أخاً لأم سليم ـ في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر بن الطُّفيل. . .إلخ الحديث وفيه:

وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خَيَّر بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غَطفان، بألفٍ وألفٍ، فطُعِنَ عامرٌ في بيت أم فلان، فقال: غُدَّة كغدة البَكْر في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي، فمات على ظهر فرسه. . .إلخ الحديث.

وفي لفظ للبخاري من حديث عُبَيْد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وهي تَقُصُّ حديث الهجرة، وفيه: فَقُتِلَ عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، ثم قال البخاري: وعن أبي أسامة قال: قال هشام بن عروة فأخبرني أبي قال: لما قُتل الذين ببئر معونة، وأُسر عمرو بن أمية الضَّمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وُضِع، فأتى النبي ﷺ خَبَرهم فنعاهم، فقال: «**إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك، ورضيت عنا، فأخبرهم عنهم**»، وأصيب يومئذٍ فيهم

عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به، ومنذر بن عمرو، سمى منذراً. اهـ.

وقوله: فطعن عامر أي بعد قتل القراء يوم بئر معونة، وقد دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا القراء، فاستجاب الله لرسوله ﷺ وأصيب عامر بن الطفيل بنوع من الطاعون يصيب الإبل عادةً، يسمى الغدة، قال ابن الأعرابي: الغُدَّةُ لا تكون إلا في البطن، وكان عامر بن الطفيل عندما أصيب بالغدة في بيت امرأة من آل سلول، وسلول هي بنت ذهل بن شيبان، وزوجها مرة بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة، فنسب بنوه إليها، فاشتد حزن عامر بن الطفيل أن أصيب بغدة كغدة البعير، وأن هلاكه في بيت امرأة من آل سلول، فأنف من ذلك واستنكف فطلب فرسه، فلما حمل عليه هلك فوق ظهر فرسه لعنه الله.

وفي أواخر السنة الثالثة للهجرة النبوية تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ونزل بسببها الحجاب، وهي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقد سقت في الفصل الأول والثاني من كتابي: قصص الأنبياء: القصص الحق. ما اختلقه الإخباريون وروجه المستشرقون حول قصة زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها وبينت بطلانه، وأوضحت الحكمة التي من أجلها تمّ زواج زينب بنت جحش من رسول الله ﷺ، وأن المقصود منه بيان بطلان ما كان يعتقده أهل الجاهلية من تحريم زواج الرجل بامرأة سبق أن تزوجها رجل قد تبناه، حيث كانوا يجعلون المتبنى بمنزلة الابن من الصلب، وقد أوضح الله في محكم كتابه هذه الحكمة حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «**فاذكرها عليّ**»، قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تُخَمِّرُ عجينها، قال: فلما رأيتها عظُمت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن

قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته، فجعل يتتبع حُجَرَ نسائه، يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك، قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب.

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقد روى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله يدخل عليك البرُّ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. ولفظ مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ احْجُبْ نساءك. وفيه: فأنزل الله عز وجل الحجاب.

وآية الحجاب التي أشارت إليها هذه الأحاديث هي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وفي شعبان من السنة الرابعة للهجرة النبوية غزا رسول الله ﷺ بني

المُصْطلق في المُرَيْسيع، وبنو المصطلق بطن من خزاعة، والمصطلق بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء وكسر اللام بعدها قاف. والمُرَيْسِيع بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء وكسر السين بعدها ياء فعَيْنٌ، هو ماء لخزاعة بينه وبين الفُرْع مسيرة نحو يوم، وهو إلى جهة الساحل، وبين الفرع والمدينة المنورة ثمانية بُرُد، وكان رئيس بني المصطلق هو الحارث بن أبي ضرار بن خبيب بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق، والمصطلق لقب واسمه جَذِيمَةُ بنُ سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي المصطلقي.

وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون أي غافلون، وكانت أنعامهم تُسْقَى على الماء فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فلما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها بالمدينة، ودخلت على رسول الله ﷺ تطلب منه أن يُعِينها في دين كتابتها، فعرض عليها رسول الله ﷺ أن يؤدي عنها ويتزوجها فقالت: نعم، ففعل ذلك ﷺ.

وقد روى البخاري من طريق ابن عَوْن قال: كتبت إلى نافع فكتب إليَّ: إن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تُسْقَى على الماء، فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذٍ جويرية. حدثني به عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش اهـ.

ورواه مسلم من طريق ابن عون قال: كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال، قال: فكتب إليَّ: إنما كان ذلك في أول الإسلام، قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء، فقاتل مقاتليهم، وسبى سبيهم وأصاب يومئذٍ جويرية. وفي لفظ جويرية ابنة الحارث. وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش. وقوله: وهم غارون أي غافلون.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية

بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأةً حُلوة مُلَّاحَةً لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: «**فهل لك في خير من ذلك**»؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «**قد فعلت**» قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعْتقَ بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركةً منها. اهـ.

وقوله في حديث الصحيحين عن ابن عمر: وكان في ذلك الجيش أي وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد كان في الجيش الذي غزا بني المصطلق، وإذا كانت غزوة بني المصطلق في شعبان من السنة الرابعة وغزوة الخندق في شوال من السنة الرابعة كذلك وقد ثبت أن ابن عمر عُرِض يوم أُحد فرده رسول الله ﷺ وعرض يوم الخندق فأجازه، كما أنه ثبت أن سعد بن معاذ مات بعد غزوة الخندق وبني قريظة مباشرة مع أنه قد قال لرسول الله ﷺ في حديث الإفك عندما قال رسول الله ﷺ: «**من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي**» فقام سعد بن معاذ فقال: أنا يا رسول الله أعذرك. . .إلخ الحديث. وكانت قصة الإفك في غزوة بني المصطلق. فيكون حضور ابن عمر لغزوة بني المصطلق كحضور جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يوم بدر.

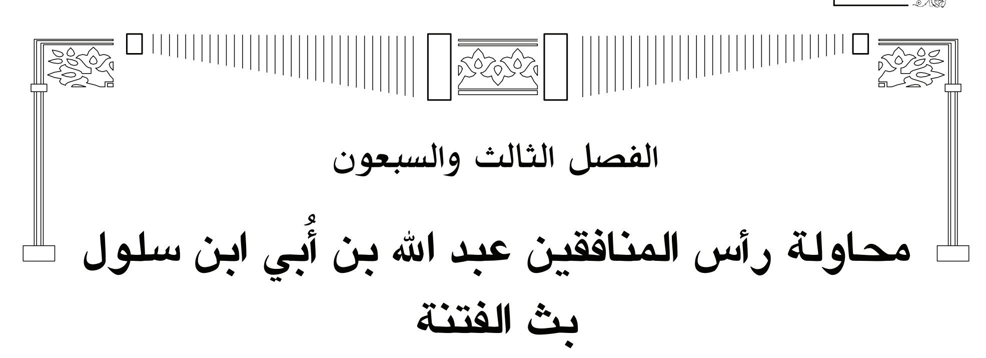
فقد روى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح عن أبي سفيان عن جابر قال: كنت أمتح أصحابي الماء يوم بدر، أي لم يكن حضوره للقتال وإنما صحب

الجيش فقط لغير قصد القتال، وإن كان ابن عمر حضر غازياً فلا مانع من ذلك أيضاً؛ لأنه ليس بين غزوة بني المصطلق وبين الخندق سوى شهر وأيام، وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في غزوة بني المصطلق عند كلامه على تحديد وقتها: ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد: عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع.

والواقع أني راجعت كتاب الجهاد في صحيح البخاري مرات فلم أعثر على هذا الحديث والعلم عند الله عز وجل.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والسبعون

محاولة رأس المنافقين عبد الله بن أُبي ابن سلول بث الفتنة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فإنه بالرغم من أن عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين ما كان شديد الحرص على الخروج في الغزوات مع رسول الله ﷺ إلا أنه كان إذا خرج مع رسول الله ﷺ لا يريد بخروجه إلا محاولة بث الفتنة بين جيش المسلمين على حدّ قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٧ ـ ٤٨].

وقد خرج عبد الله بن أُبي لعنه الله في جماعة من المنافقين إلى غزوة المريسيع، وكان يهتبل أي فرصة تسنح له لبث الفتنة والفُرقة بين المسلمين، وشاء الله ﷻ أن يتشاجر غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار، فنادى المهاجري: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية**»؟ قالوا: يا رسول الله كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «**دَعُوها فإنها مُنْتِنَةٌ**».

فانتهز عدو الله عبد الله بن أُبي هذه الفرصة وقال: قد فعلوها، وأخذ يحرض الأنصار على الإساءة للمهاجرين، ويقول: لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضوا. ويقول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويقصد عدو الله بالأعز نفسه الذليلة الحقيرة، وبالأذل أعزَّ خلق الله وأكرمهم محمداً ﷺ، وقد سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه مقالة عدو الله عبد الله بن أُبي هذه وأخبر بها النبي ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا

المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**»، فلما علم عبد الله بن أُبي لعنه الله أن مقالته بلغت رسول الله ﷺ جاء إلى النبي ﷺ وأخذ يحلف أنه ما قال هذه المقالة، وأنه يشهد أن محمداً رسول الله، فلام بعض الناس زيد بن أرقم، فأنزل الله تبارك وتعالى تصديق زيد وتكذيب عدو الله عبد الله بن أُبي في يمينه، حيث أنزل سورة المنافقون حيث يقول ﷻ:

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ١ ـ ٨].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله ﵄ قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكَسَع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بالُ دعوى الجاهلية**»؟ قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «**دَعُوها فإنها منتنة**»، فسمع بذلك عبد الله بن أُبي فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**».

وروى البخاري في صحيحه من حديث زيد بن أرقم ﵁ قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

ينفضوا من حوله، ولو رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت لذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنَافِقون: ١] فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ، فقال: «**إن الله قد صدقك يا زيد**».

وفي رواية للبخاري من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أُبي بن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال أيضاً: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي لرسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله، فجلست في بيتي، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنَافِقون: ١] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنَافِقون: ٧] إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنَافِقون: ٨] فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها عليَّ ثم قال: «**إن الله قد صدَّقك**».

ومع أن عدو الله عبد الله بن أُبي لم يجن من عمله هذا سوى الخزي والعار والشنار وغضب الجبار فإنه ما فتئ يتربص بالمسلمين الدوائر، ففي أثناء رجوع المسلمين من غزوة المريسيع إلى المدينة حدث أن عائشة أم المؤمنين الحصان الرزان الطيبة الطاهرة الصديقة بنت الصديق كانت قد وقعت عليها القرعة لتخرج مع رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع، ولما أثار عدو الله عبد الله بن أُبي ما أثار من فتنة في المريسيع بين المهاجرين والأنصار أراد رسول الله ﷺ أن يُسرع في رجوعه إلى المدينة ليشتغل المسلمون عن الحديث الذي أثاره عبد الله بن أُبي، وكانت عائشة رضي الله عنها تُحْمَلُ في هودج على بعير، وكانت خفيفة اللحم، وكان سِنُّها يومئذٍ نحو ثلاث عشرة سنة، فلما دنوا من المدينة النبوية أذن رسول الله ﷺ ليلةً بالرحيل، فقامت حين سمعت الأمر بالرحيل لتقضي حاجتها قبل أن تُحْمل في

هودجها، فلما رجعت لمستْ صدرها فإذا عقد لها من جزْع ظفار قد انقطع فرجعت مسرعة إلى المكان الذي قضت فيه حاجتها لتلتمسه، فحبسها ابتغاؤه وأقبل الرجال الذين كانوا موكلين بحمل هودجها ووضعه على بعيرها، فحملوا الهودج وهم يحسبون أنها فيه، وارتحل الجيش، ولم يستنكر الرجال خفة الهودج لخفة لحمها ﵂، فلما وجدت عقدها رجعت إلى المنزل الذي كانت فيه وإذا هو ليس به داع ولا مجيب، وظنت أن القوم سيفقدونها فيرجعون إليها، فبينما هي جالسة في مكانها غلبتها عيناها فنامت، وكان من عادة صفوان بن المُعَطَّل السُّلمي الذكواني أن يتأخر عن الجيش ليلتمس ما يكون قد سقط من الجيش من سلاح أو غيره ليرده إلى أهله، وكان صفوان ﵁ رجلاً صالحاً شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية، فقال فيه: «**ما علمتُ عليه إلا خيراً**»، فلما أصبح صفوان ﵁ وصار قريباً من مكان الصديقة بنت الصديق رأى سواد إنسان نائم، فعرف أنها عائشة ﵂ فقال بصوت عالٍ: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكان يراها قبل الحجاب ﵂، فلما استيقظت باسترجاعه خمَّرَتْ وجهها بجلبابها، ولم تسمع منه كلمة سوى استرجاعه، فأناخ راحلته وقد غطى وجهه عن عائشة ﵂، فقامت إليها الطاهرة الصديقة فركبتها، وانطلق صفوان ﵁ يقود الراحلة حتى أدركا الجيش والشمس في كبد السماء في شدة الظهيرة، فأقبل بها صفوان ﵁ أمام الجيش حتى وقف بها على منزل رسول الله ﷺ في الجيش، فانتهز عدو الله عبد الله بن أُبي لعنه الله الفرصة وأخذ يدس بين من معه من المنافقين وبعض المسلمين الإفك، وجهل أو تجاهل عدو الله أن لو كان عن صفوان ريبةٌ ما جاء بالطاهرة الصديقة في رائعة النهار أمام الجيش، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة مرِضَتْ عائشة ﵂ مدة شهر، والناس يتحدثون بقصة الإفك، وهي لا تعلم عن ذلك شيئاً، فلما أفاقت من مرضها وإن كانت صحتها لم تتكامل خرجت مع أم مسطح إلى المناصع، فأخبرتها أم مسطح بما جاء به عدو الله عبد الله بن أُبي من الإفك فازدادت مرضاً على مرضها.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الرابع والسبعون

حديث الإفك

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق ابن شهاب حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا، وقد حدث به ابن شهاب عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وهذا لفظ البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عن ابن شهاب قال: الذي حدثني به عروة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأُنْزَلُ فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جَزْع ظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما يأكلن العُلْقَة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعَطَّل السُّلَميُّ ثم

الذَّكْوَانيُّ من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبي ابن سلول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» ثم ينصرف، فذاك الذي يريبني ولا أشعر. حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مِسْطح قِبَل المناصع وهو مُتَبَرَّزُنَا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمْرُ العرب الأول في التَّبَرز قِبَل الغائط، فكنا نتأذى بالكُنُف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنةُ أبي رُهْمِ بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالةُ أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أُثاثة، فأقبلتُ أنا وأم مسطح قِبَل بيتي، قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسُبِّين رجلاً شهد بدراً؟ قالت: أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: قلتُ: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. فازْدَدْتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله ﷺ تعني سَلَّم ثم قال: «**كيف تيكم؟**» فقلت: أتأذنُ لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبَلِهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هونِّي عليك، فوالله لقلَّما كانت امرأةٌ قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثَّرْن عليها، قالت: فقلتُ: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي،

يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساءُ سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «**أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟**» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أُبي ابن سلول قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً، ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمَرْتنا ففعلنا أمْرك، قالت: فقام سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملتهُ الحَميَّةُ، فقال لسعد: كذبت لعمْرُ الله لا تقْتُلُهُ ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عُبادة: كذبت لعَمْرُ الله، لنقْتُلَنَّهُ فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيَّانِ الأوسُ والخزرجُ حتى همُّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت، قالت: فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع يظنَّان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فأذِنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسَلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أما بعد: يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن**

كنت ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجِبْ رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت: ـ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ـ إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتُصدِّقُنِّي، والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أني بريئة وأن الله مُبَرِّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنتُ أظن أن الله مُنزِلٌ في شأني وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتْلَى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبَرِّئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنْزِل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ سُرِّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «**يا عائشة أما الله** ﷻ **فقد برَّأَكِ**» فقالت أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ﷻ وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ [النور: ١١] العشر الآيات كلها.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الخامس والسبعون

أقسام الناس في قصة الإفك

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن الله تبارك وتعالى أنزل في براءتها عشر آيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ [النور: ١١] والإفك أسوأ الكذب وأقبحه وأفحشه، والواقع أن الناس عندما رميت الصديقة بنت الصديق بالإفك كانوا أربعة أقسام: قسم وهم أكثر الناس، حَموْا أسماعهم وألسنتهم فسكتوا، ولم ينطقوا إلا بخير، ولم يصدقوا ولم يكذبوا، وقسم سارع إلى التكذيب، وهو أبو أيوب الأنصاري وأم أيوب رضي الله عنهما، فقد وصفوه عند سماعه بأنه الإفك، وبرؤوا عائشة مما نُسبت إليه في الحال. أما القسم الثالث فكانوا جملة من المسلمين لم يصدقوا ولم يكذبوا ولم ينفوا، ولكنهم يتحدثون بما يقول أهل الإفك، وهم يحسبون أن الكلام بذلك أمر هيِّن لا يُعَرِّضُهم لعقوبة الله؛ لأن حاكي القذف ليس بقاذف، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة، أما القسم الرابع فهم الذين جاؤوا بالإفك واخترعوه، وعلى رأس هؤلاء عدو الله عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين لعنه الله، وهو الذي تولى كبره مع جماعة من المنافقين واليهود قبحهم الله ولعنهم.

وقد أشار الله عز وجل إلى فضل القسم الثاني من هذه الأقسام، ونبَّه إلى أنه كان ينبغي لجميع المسلمين أن يقفوا هذا الموقف حيث يقول: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النُّور: ١٢].

وأما القسم الثالث فقد أشار الله عز وجل إلى أنه ما كان ينبغي لهم أن يتحدثوا بمثل هذا الحديث، حيث يقول: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم

بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥ ـ ١٦].

وقد أثبت الله ﷻ لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها، حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر ﵁ أنه لن يُنْفق على مسطح ولن يتصدق عليه، وهو من ذوي قرابته، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقد جاء في حديث البخاري ومسلم عن عائشة ﵂ قالت: فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ﵁ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أُنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر: بلى والله إني أُحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزِعُها منه أبداً، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: «**يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمتُ إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تُحاربُ لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. اهـ.

وقولها: فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك أي كانت تنقل قصة الإفك وتتحدث بها وتحسب ذلك هيناً وهو عند الله عظيم، وليس المراد أنها ممن جاء بالإفك؛ لأن من جاء به قد لعنه الله في الدنيا والآخرة، وحاشا أن يكون حسان أو مسطح أو حمنة منهم.

أما ما رواه أحمد والأربعة من حديث عائشة ﵂ قالت: لما نزل عُذْري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين

وامرأة فضُرِبوا الحدَّ. قال ابن حجر في بلوغ المرام: أخرجه أحمد والأربعة وأشار إليه البخاري. اهـ.

فإن مدار هذا الحديث عند أحمد والأربعة على محمد بن إسحاق وقد عنعنه عندهم جميعاً، ومحمد بن إسحاق معروف بالتدليس فلا يقبل حديثه إذا كان معنعناً؛ قال الحافظ في الفتح: قلت: ووقع التصريح بتحديثه في بعض طرقه. اهـ.

أقول: إن هذه الرواية التي أشار إليها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وجاء فيها أن ابن إسحاق قال: حدثني إنما هي من رواية أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر يعني ابن محمد بن عمرو بن حزم إلخ. وأحمد بن عبد الجبار هو أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة العطاردي أبو عمر الكوفي، قال في تهذيب التهذيب: قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه وأمسكت عن الرواية عنه لكثرة كلام الناس فيه، وقال مُطَيِّنٌ: كان يكذب. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، تركه ابن عقدة، وقال ابن عدي: رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه، وكان ابن عقدة لا يحدث عنه، وذكر أن عنده قمطراً على أنه لا يتورع أن يحدث عن كل أحد. اهـ. وشيخه يونس بن بكير هو يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر، ويقال أبو بكير الجمال الكوفي مختلف فيه، وإن كان مسلم قد روى له فإن من المحقق أن البخاري أو مسلماً قد يخرج لرجل حديثاً لأنه موثق فيه في هذا الموضع ولا يخرج له في موضع آخر لضعفه فيه، وقد قال الآجري عن أبي داود: ليس هو عندي بحجة، كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ضعيف، أقول: ليس بمثل هذا السند يُنال من أصحاب رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد حكم الله تبارك وتعالى على الذين جاؤوا بالإفك واخترعوا هذا الكذب بأنهم يموتون على الكفر، وأنه لن يقبل منهم توبة، وأنه أنزل عليهم لعنته في الدنيا والآخرة، حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥].

وحسان هو شاعر رسول الله ﷺ الذي كان رسول الله ﷺ يقول له: «**قل وروح القدس معك**» ويقول: «**اللهم أيده بروح القدس**» وهو القائل في عائشة رضي الله عنها:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة ... وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحوم الغوافل
عقيلةُ حيٍّ من لؤي بن غالب ... كرامِ المساعي مجدهم غيرُ زائِل
حليلةُ خير الخلق ديناً ومَنْصِباً ... نبيِّ الهدى والمكرمات الفواضل
مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ الله خِيمها ... وطهَّرها من كل سُوء وباطل
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمو ... فلا رفعت سوطي إليَّ أناملي
فكيف وَوُدِّي ما حَييتُ ونُصْرتي ... لآل رسول الله زَيْنِ المحافِلِ

وقد أثر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما تمثلت بقول حسان لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

هَجَوْتَ محمداً فأَجبْتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ
فإن أبي ووالده وعِرْضي ... لعِرْض محمد منكم وقاءُ
أتشتمه ولستَ له بكفءٍ ... فشرُّكُما لخيركما الفدَاءُ
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاءُ

إلا رجوت له الجنة.

كما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما قول عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعِرضي ... لعِرْض محمد منكم وِقَاءُ

أما قول الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام في حديث عائشة أنه أمر برجلين وامرأة فضربوا الحد: وأشار إليه البخاري اهـ. فالمقصود هو ما قاله البخاري من كلامه هو دون أن يسوق له أي سند في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه في باب قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] قال: وشاور عليًّا وأسامة فيما رمى أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجلد الرامين ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكم بما أمره الله. اهـ.

قال الحافظ في الفتح: وأما جلده الرامين فلم يأت فيه بإسناد، ثم قال: وأما قوله: فجلد الرامين فلم يقع في شيء من طرق حديث الإفك في الصحيحين ولا أحدهما. اهـ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والسبعون

سبب غزوة الأحزاب وقصة الخندق

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فإن الله تبارك وتعالى قطع كل شبهة قد يلقيها الشيطان في بعض القلوب حيث يقول في تبرئة الصديقة بنت الصديق الحصان الرزان الطيبة الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

وجميع من كان في هذه الغزوة ومعهم أهل المدينة لا يستطيع واحد منهم أن يقول أو يدعي أنه شهد شيئاً مما اخترعه أهل الإفك، ولا يستطيع واحد من أهل الإفك أن يدعي أنه شهد شيئاً، وبذلك يكون أهل الإفك كاذبين قطعاً عند الله وعند الناس أيضاً، ولو استطاعوا أن يُجَنِّدوا من المنافقين أربعة شهداء فإنهم يكونون كاذبين قطعاً في علم الله وفي حكم الله؛ لأنهم يكونون كمن شهد بأنه رأى الهلال يغيب بعد غروب الشمس بعشر دقائق ليلة النصف من الشهر، وقد ختم الله تبارك وتعالى الآيات التي نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها بقوله عز وجل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

هذا وقد أخذت مراجل الحقد والحسد والبغضاء تغلي في صدور اليهود، وبخاصة بعد قتل كعب بن الأشرف، وأبي رافع بن أبي الحُقَيْق، وغزوة بني النضير، وإجلائهم من المدينة النبوية، ومسير بعضهم إلى خيبر، وقد كان من أشد هؤلاء اليهود حقداً على الإسلام حُيَيُّ بنُ أخطب بن سَعْيَةَ بن عامر أو ابن ثعلبة بن عبيد بن كعب، سَيِّدُ بني النضير أحد من أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة، وكنانة بنُ الربيع بن أبي الحُقيق وسلَّام بن مشكم، وقد قام هؤلاء الثلاثة بتحزيب الأحزاب، وتأليب المشركين من قريش وغطفان وغيرهم من العرب على

رسول الله ﷺ، فقد خرجوا إلى مكة ودعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، ففرحت قريش بذلك، ونشطُوا لما دَعَوْهُمْ إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه، فأجابتهم غطفان إلى ذلك، واجتمعوا لذلك واتعدوا له، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاريُّ في بني فزارة، والحارثُ بن عوْف بن أبي حارثة المُري في بني مرة، ومِسْعَرُ بن رخيْلة بن نُوَيْرة بن طريف بن سُحْمَة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع، وذلك في شوال من السنة الرابعة للهجرة.

قال البخاري في صحيحه: باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع، حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سعيد عن عُبَيْد الله قال: أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عَرَضَهُ يوم أُحد وهو ابنُ أربع عشرة سنة فلم يُجِزْهُ، وعرضَهُ يوم الخندق وهو ابن خَمْس عشرة سنة فأجازه. اهـ.

فلما سمع رسول الله ﷺ بهم وبما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، ونَشِط المسلمون في حَفْرِهِ حول المدينة من الغرب والشمال إلى الحرة الشرقية في الأماكن التي قد يسهل على المشركين الدخول منها، وبدأهُ من الحرة التي تقع غرب جبل سلْع بينهما سبِخَةٌ متجهاً شمالاً إلى الجبل الذي يقع إلى الركن الشمالي الغربي من سَلْع، تفْصِلُ بينهما السبخةُ كذلك، ثم يتجه إلى الشمال الشرقي حتى يصل إلى الحرة الشمالية الشرقية حتى صارت المدينة كالحصن يحيط بها الخندق والحرارُ والبيوت فلا يسهل على أي جيش دخولها، وقد أكملوا حفر الخندق في أيام قليلة وأتموه قبل أن يصل المشركون إلى المدينة، وقد وضع رسول الله ﷺ نساءه مع

نسوة في حصْن يُعْرَفُ بأُطم حسان، وكان معهن عبد الله بن الزبير وعمر بن أبي سلمة رضي الله عنهم.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار**».

كما روى البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغْمَر بطْنَهُ أو اغْبَر بطْنُهُ، يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا
فَأَنْزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ الألى قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أَبَيْنا

ويرفع بها صوته: أَبَيْنا، أَبَيْنا.

وفي لفظ للبخاري من حديث البراء رضي الله عنه قال: لما كان يومُ الأحزاب، وخَنْدَق رسول الله ﷺ رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغُبَارُ جِلْدَة بَطْنِهِ، وكان كثير الشَّعْر، فسمِعْتُهُ يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقُلُ من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثَبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ الألى قد بغَوْا علينا ... وإن أرادوا فِتْنَةً أَبَيْنا

قال: ثم يمُدُّ صَوْتَهُ بآخرها.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع والسبعون

آيات بينات في حفر الخندق

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق ما رواه البخاري في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه الذي ذكر فيه أن رسول الله ﷺ كان ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبارُ جِلْدَة بطنه ﷺ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التُّراب، ولقد وارى الترابُ بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا
فَأَنْزِلَن سكينةً علينا ... إنَّ الألى قد أَبَوْا علينا

قال: وربما قال:

إنَّ الملا قد أَبَوْا علينا ... إذا أرادوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ويرفع بها صوته، وفي لفظ لمسلم من حديث البراء نحو هذا إلا أنه قال: إن الألى قد بغوا علينا.

وقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيشُ الآخره ... فاغفر للأنصار والمهاجره

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايَعُوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي لفظ للبخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار

يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الإسلام ما بقينا أبدا

قال: يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخره ... فبَارِك في الأنصار والمهاجره

قال: يؤتون بملء كفي من الشعير فيصنع لهم بإهالة سَنِخَةٍ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بَشِعَةٌ في الحلق، ولها ريحٌ منتن. كما روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره ... فاغفر للأنصار والمهاجره

وفي لفظ لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه: فأكْرِم الأنصار والمهاجرة. وفي لفظ له: فانصر الأنصار والمهاجرة. وفي لفظ لمسلم من طريق حماد عن ثابت من حديث أنس رضي الله عنه أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الإسلام ما بقينا أبدا

أو قال على الجهاد، شك حمادٌ، والنبي ﷺ يقول:

اللهم إن الخير خير الآخره ... فاغفر للأنصار والمهاجره

وقد أظهر الله تبارك وتعالى للمسلمين في حفر الخندق آيات بينات، ومعجزات ظاهرات، تؤيد رسول الله ﷺ وتُثْلِجُ صدور المؤمنين.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضَتْ كُدْيَةٌ شديدةٌ فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْيَةٌ عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازلٌ**» ثم قام وبطْنُه معْصُوبٌ بحَجرٍ ولبِثْنا ثلاثة أيام لا نذُوقُ ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَل فضرَبَ فعاد كثيباً أهْيَل أو أهْيَم، فقلت: يا رسول الله، ائْذَنْ لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبْرٌ، فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعناقٌ، فذَبَحْتُ العناق وطَحَنَت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البُرْمَةِ، ثم جئتُ النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبُرْمَةُ بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أنت يا رسول الله ورجُلٌ أو رجلان، قال: «**كم هو؟**» فذكرتُ له، قال: «**كثير طيبٌ**»، قال: «**قل**

لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي» فقال: قومُوا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلتُ: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُور إذا أخذ منه، ويُقَرِّبُ إلى أصحابه، ثم يَنْزِعُ، فلم يزل يَكْسِرُ الخبز، ويَغْرِفُ حتى شَبِعُوا، وبَقِيَ بَقِيَّةٌ قال: «**كُلي هذا، وأهْدِي، فإن الناس أصابتهم مجاعة**».

كما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ لمسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حُفِر الخندقُ رأيت برسول الله ﷺ خَمصاً فانكَفَأْتُ إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجَتْ لي جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بُهَيْمَةٌ داجنٌ، قال: فذبحْتُها، وطحنتْ، ففرغتْ إلى فراغي فقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها، ثم ولَّيْتُ إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجِئْتُهُ فسارَرْتُهُ، فقلتُ: يا رسول الله، إنا قد ذَبَحْنا بُهيمةً لنا، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفرٍ معك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سُوراً فحيهلا بكم**»، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتكُمْ، ولا تَخْبِزُنَّ عجينتكم حتى أجيء**»، فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يَقْدُم الناس حتى جئتُ امرأتي فقالت: بك وبك! فقلت: قد فعلتُ الذي قُلْتِ لي، فأخْرجتُ له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلى بُرْمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: ادْعي خابزة فلْتَخْبِزْ معك، واقْدَحي من بُرْمتكم، ولا تنزلوها، وهم ألفٌ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه، وانحَرَفُوا، وإنَّ بُرْمَتَنا لتَغِطُّ كما هي، وإن عجيننا ليُخْبَزُ كما هو.

وقوله في حديث أنس: بإهالةٍ سَنِخَةٍ: الإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء هي الدُّهْنُ الذي يُؤتَدَمُ به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً، ومعنى سَنِخة أي تغيَّر طَعْمُها ولونها من قدمها، والكُدْيةُ في حديث جابر هي قطعة الحجر الصُّلْبَةُ الصَّمَّاءُ، والمِعْوَلُ: المِسْحاةُ، وقوله: كثيباً أهيل أو أهيم أي صارت الكدية رملاً يسيلُ ولا يتماسك، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المُزمّل: ١٤]، أي

صارت رملاً سائلاً. والخَمَصُ ضُمُور البطن من الجوع، والجرابُ: الوِعاء، والبُهَيْمَةُ تصغير بَهْمَةٍ، وهي ولد الضأن والمعز ذكراً أو أنثى. والداجن: هي التي تألف البيت وتُعْلف. وقوله: ففرَغَتْ إلى فراغي، أي انتهت امرأتي من الطَّحْن في الوقت الذي انتهيتُ فيه من ذبح البُهَيْمةِ. وقوله: صنع لكم سُوراً، أي هيأ لكم طعاماً. وقوله فحيهلا بكم، أي هلُموا مسرعين أهلاً بكم أتيتم أهلكم. وقوله: فقالت بك وبك، هو كنايةٌ عن أنها عنفت؛ ظنّاً منها أن جابراً رضي الله عنه هو الذي دعاهم جميعاً اعتقاداً منها أن طعامها لا يكفي إلا لعدد قليل فخشيت اللوم، وقوله: فبصق فيها أي نفخ فيها مع ريقه الشريف الطيب ﷺ، وقوله: لتغِطُّ، أي لتغلي وتفُورُ ويُسْمَعُ غليانُها بالمرق واللحم.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والسبعون

نقض بني قريظة للعهد ودعاء الرسول ﷺ على الأحزاب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فما إن فرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق وأَعدَّ المسلمين في مواقع دفاعية جعل ظُهُورهُمْ إلى سَلْع ووجوههم إلى نواحي الخندق لملاقاة من يحاول اقتحامه حتى أقبلت قريش ونزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرْفِ وزُغابة في مُلتقى وادي قناة ووادي رانوناء وبُطحان بوادي العقيق جنوب غرب أُحد، وكان جيش المشركين من قريش نحو عشرة آلاف فيمن جاؤوا بهم معهم من أحابيشهم ومن تَبِعَهُم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفانُ ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمي إلى جانب أُحد، وكان المسلمون نحو ثلاثة آلاف، وكانت قريظةُ عندما علمت بقدوم الأحزاب أغلقت حصونها على أنفسها، وعزمت على مراعاة العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ، غير أن حُيي بن أخطب سيد النضير لعنه الله أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فلما سمع به كعب بن أسد أغلق بابه دونه فاستأذن عليه حُيي فأبى أن يفتح له فناداه: ويحك يا كعب افتح لي، فقال كعب: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً، قال حُيي: ويحك افتح لي أكلِّمْك. قال: ما أنا بفاعل، قال: والله ما أغلقت دُوني إلا خوفاً على جشيشتك أن آكل معك منها ـ والجشيشة طعام يُصنع من البر المجروش ـ فلما قال حُيي ذلك أحفظ كعباً وأغضبه، ففتح له، فقال له: ويحك يا كعب، جئتك بعِزِّ الدَّهر وبَحْرٍ طامٍ، قال: وما ذاك؟ قال: جئتُك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها

وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمي إلى جانب أُحدُ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبْرَحُوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، فقال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه، يُرْعِدُ ويُبْرِقُ وليس فيه شيء، ويحك يا حييُّ فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً، لكن حُيي بن أخطب لم يزل بكعب بن أسد القرظي حتى نقض عهد رسول الله ﷺ وعزم على حرب رسول الله ﷺ مع الأحزاب، وظاهروهم على رسول الله ﷺ، فلما علم بذلك المسلمون اشتد البلاء وعظُم الخَطْب وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وظهر مكنون قلوبهم، وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، وحاول بعض المنافقين أن يَفُتَّ في عضد المسلمين فقالوا: يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا، وظنوا بالله الظنون، وصار بعضهم يستأذن رسول الله ﷺ في العودة إلى بيوتهم بدعوى أنها عورة مكشوفة لأعدائهم وما هي بعورة ولكنهم يريدون الفرار، أما المؤمنون فإنهم عندما رأوا الأحزاب قد أقبلت عليهم، وأحاطوا بهم من الشرق والغرب ازدادوا إيماناً بالله وتصديقاً بوعده ونصره، وقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والنصر، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، وقد أصاب المسلمين جهْدٌ شديدٌ، إذ كانوا في ضيق من العيش وشِدَّةٍ من البرد وحِصَارٍ من العدو، وابتُليَ المؤمنون وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شديداً، بسبب العدو الذي يحاصرهم، والمنافقين المنبتين بينهم، وقد حمى الله رسوله ﷺ والمؤمنين من شرور الأحزاب، وحال بين المشركين وبين ما يريدون، فلم يقع بينهم وبين المسلمين قتال، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودٍّ بن أبي قيس أحدُ رجال بني عامر بن لؤي أقبلوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: هذه والله مكِيدَةٌ ما كانت العربُ تكيدها، ثم تَيَمَّمُوا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم حتى اقتحموه وجالت بهم خَيْلُهُم في السبخة بين الخندق وسَلْع، فأقبل عليهم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في نفرٍ من المسلمين وحصروهم فطلب عمرو بن عبد ودٍّ المبارزة، فبرز له علي رضي الله عنه وقتله، وانهزم الباقون من المشركين ورجعوا هاربين، وكان

رسول الله ﷺ يدعو على الأحزاب فاستجاب الله دعاءه، وكفى المؤمنين القتال.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «**اللهم مُنْزِل الكتاب سريع الحساب، اهْزِمِ الأحزاب، اللهم اهْزِمْهُم وزَلْزِلْهُم**». وفي رواية: «**اللهم اهْزِمْهُم وانصرنا عليهم**».

كما روى البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: «**ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلُونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**».

كما روى البخاري ومسلم من طريق أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يَسُبُّ كفار قريش وقال: يا رسول الله، ما كِدْتُ أن أُصَلِّي حتى كادت الشمس أن تغرب، قال النبي ﷺ: «**والله ما صليتها**»، فنزلنا مع رسول الله ﷺ بُطْحان فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

وقد أرسل الله تبارك وتعالى على جنود الأحزاب ريحاً وجنوداً لا يراها المسلمون، فزلزلت أقدامهم وشَتَّت شمْلَهُم.

وقد روى مسلم في صحيحه من طريق إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيْتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخَذَتْنا ريحٌ شديدةٌ وقُرٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم؟ جعله الله معي يوم القيامة**»، فسكتنا فلم يُجبه منا أحد، ثم قال: «**ألا رجل يأتيني بخبر القوم؟ جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا، فلم يُجبه منا أحد، ثم قال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم؟ جعله الله معي يوم القيامة**»، فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، فلم أجِدُ بُدّاً إذ دعاني باسمي إلا أن أقوم، قال: «**اذهب فأْتِني بخبر القوم، ولا تذْعَرْهُم عليَّ**»، فلما ولَّيْتُ من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حمَّامٍ، حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يَصْلى ظهره بالنار،

فوضعت سَهْماً في كبِد القَوْس، فأردتُ أن أرْمِيهُ، فذكرتُ قول رسول الله ﷺ لا تذْعَرْهُمْ عليَّ، ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحَمَّام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرَغْتُ قُررْتُ، فَأَلْبَسَني رسول الله ﷺ من فَضْل عباءةٍ كانت عليه يصلي فيها، فلم أزلْ نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحتُ قال: «**قُمْ يا نَوْمَانُ**».

وقوله في الحديث: لا تَذْعَرْهُم عليَّ أي لا تُفْزِعْهُم ولا تثرهم علينا، وقوله: كأنما أمشي في حمام أي في حرٍّ مع أن الجوَّ الذي كان يمشي فيه كان ذا ريح شديدة وقُرٍّ أي برد شديد. وقوله: وفَرغْتُ قُرِرْتُ أي ولما أنهيت ما كُلِّفْتُ به رجع لي البَرْدُ الشديد الذي يصيب غيري وقتئذٍ، وقوله يا نومانُ، أي يا كثير النوم، وقد بشر حذيفة رضي الله عنه رسول الله ﷺ بأن الأحزاب يرتحلون.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والسبعون

محاصرة بني قريظة ونزولهم على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق أن حذيفة رضي الله عنه عندما رجع إلى رسول الله ﷺ بشره بأن الأحزاب يرتحلون، فبشر رسول الله ﷺ أصحابه وأخبرهم أن قريشاً لن تَغْزُوَ المسلمين بعد ذلك.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث سليمان بن صرَد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أُجْلي الأحزابُ عنه: «**الآن نَغْزُوهُمْ ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم**».

وقوله: حين أُجْلِي الأحزابُ عنه، يفيد أنهم رجعوا عن المدينة من غير اختيارهم، وأنهم انْدَفَعُوا عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين بسبب ما أرسله الله ﷻ من الريح والجنود الذين لا يعلمهم إلا الله، وفي قوله ﷺ: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، عَلَمٌ من أعلام النبوة، فإن قريشاً لم تغز المسلمين بعد ذلك بل غزاهم المسلمون.

وقد وصف الله تبارك وتعالى مجيء الأحزاب إلى المدينة وما كان من مواقف المؤمنين والمنافقين، وما أرسله الله من الريح والجنود لنصر رسوله وردع عدوه في سورة الأحزاب حيث يقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ

ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ
فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ
عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟
عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن
فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ
ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾
قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا
ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟
لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ
ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ٢٢].

ثم يقول عز وجل: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ
وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٤ ـ ٢٥].

هذا وقد كان سعدُ بن مُعاذٍ رضي الله عنه قد أصابه سهم أيام الخندق رماه به رجل من قريش يقال له حِبَّان بنُ العَرِقَةِ، والعَرِقة أُمُّهُ، وهو حِبَّانُ بن قيسٍ من بني مَعِيصِ بن عامر بن لؤي، رماه فأصاب السهم أكْحَلَهُ رضي الله عنه والأكْحَلُ عِرقٌ في وسط الذراع إذا قُطِع لا يرقأ الدم، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال الخليل: هو عرق الحياة، ويقال إن في كل عضو منه شُعْبَةً، فهو في اليد الأكحلُ، وفي الظهر الأبْهَرُ، وفي الفخذ النَّسا، إذا قطع لم يرقأ الدم. اهـ.

وقد ضرب رسول الله له خيمةً في المسجد ليعوده من قريب، وقد كان رسول الله ﷺ أيام الخندق وقد شاع أن بني قريظة نقضوا العهد فأرسل رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ليأتيه بخبرهم.

فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا، ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «**إن لكل نبي حوارياً، وإن حواريَّ الزبير**».

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كنتُ يوم الأحزاب جُعِلْتُ أنا وعمرُ بن أبي سلمة في النساء، فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قُريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف قال: أو هَلْ رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقتُ، فلما رجعت جمع رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فِدَاك أبي وأمي**».

ولا معارضة بين جمع رسول الله ﷺ أبويه للزبير بن العوام في هذا الحديث وبين جمع أبويه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يوم أحد، إذ روى البخاري من حديث علي قال: ما سمعت النبي ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد، فإنه محمول على يوم أحد.

فلما رجع رسول الله ﷺ من الأحزاب إلى المدينة ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضَعْت السلاح، والله ما وضعناه، فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فخرج النبي ﷺ وحرَّض أصحابه رضي الله عنهم على سرعة الخروج إلى بني قريظة فقال لهم: «**لا يُصَلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة**».

فخرجوا إليها مسرعين وهي على نحو ستة أميال جنوب شرقي المسجد النبوي، وقد أدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها امتثالاً لظاهر قول رسول الله ﷺ لا يُصَلِّيَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة، وقال

بعضهم: بل نصلي العصر مادمنا نخشى فوات وقتها، وفهموا أن مراد رسول الله ﷺ هو المسارعة والمبادرة إلى بني قريظة لا منع الصلاة دون بني قريظة، فلم يَصِل الذين لم يُصَلُّوا العصر إلى بني قريظة حتى غابت الشمس فصلوها بعد الغروب، ولما بلغ رسول الله ﷺ ذلك لم يُعَنِّف أحداً منهم لا الذين صلوا في الطريق ولا الذين لم يصلوا حتى غابت الشمس.

وقد أجمع علماء المسلمين على أن كلّاً من الفريقين مأجور ومعذور؛ لأن عملهم كان اجتهاداً في النص لا اجتهاداً مع النص.

فلما وصل رسول الله ﷺ إلى بني قريظة حاصرهم حصاراً شديداً استمر نحو عشرين ليلة، وكان عدوُّ الله حُيَيُّ بن أخطب قد تحصَّن مع بني قريظة بعد ارتحال الأحزاب، فلما رأت قريظة أنهم قد أُحيط بهم، وقد امتلأت قلوبهم رُعباً وفزعاً، وأيقنوا أنهم لا طاقة لهم برسول الله ﷺ أعلنوا أنهم ينزلون على حكم رسول الله ﷺ، فردَّ رسول الله ﷺ الحكم فيهم الى سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لأن قريظة كانوا حلفاء الأوس.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثمانون

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

فقد ذكرت في ختام الفصل السابق أن قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فردَّ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه، وكان جريحاً يُدَاوى في خيمة بمسجد رسول الله ﷺ، فرضيت قريظةُ أن ينزلوا على حكم سعد رضي الله عنه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، وكان رسول الله ﷺ قد أقام مسجداً يصلي فيه وهو يحاصر بني قريظة. فلما دنا سعد رضي الله عنه من المسجد الذي فيه رسول الله ﷺ وصار قريباً منه قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم** ـ أو قال: ـ **خيركم**»، فلما صار عند رسول الله ﷺ قال له: «**هؤلاء نزلوا على حكمك**»، فقال رضي الله عنه: تُقْتَلُ مُقاتِلَتُهُمْ، وتُسْبى ذراريهم. فقال رسول الله ﷺ: «**قضيت فيهم بحكم الله**» أو قال: بحكم الملك.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعناه، اخرج اليهم، قال: «**فإلى أين؟**» قال: ههنا ـ وأشار إلى بني قريظة ـ فخرج النبي ﷺ.

كما روى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زُقاقِ بني غَنْمٍ، مَوْكِب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة.

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من طريق عبد الله بن نُمَيْر حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُصيب سعدٌ يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حِبَّانُ بن العَرِقَةِ، وهو حبان بن قيس من بني معيص بن عامر بن لؤي

رماه في الأكْحل، فضرب رسول الله ﷺ عليه خَيْمَةً في المسجد ليَعُودهُ من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو يَنْفُضُ رأسَه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعته، اخرج إليهم، فقال النبي ﷺ: «**فأين**»، فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد قال: فإني أحكم فيكم: أن تُقْتَلَ المُقاتِلةُ، وأن تُسْبى النساءُ والذُّرِّيَّةُ، وأن تُقْسم أموالهم. زاد البخاري: قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش فأبقني له، حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبَّتِهِ، فلم يرُعْهُم - وفي المسجد خيمةٌ من بني غِفَار - إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الدمُ الذي يأتينا من قِبَلكم؟ قالوا: سعدٌ يَغْذُو جُرْحهُ، فمات منها.

كما روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب قال: «**لا يُصَلِّيَنَّ أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصرُ في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصَلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يُردْ ذلك منا، فذُكِر للنبي ﷺ فلم يُعَنِّف أحداً منهم.

كما روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن مُعاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**» فقال: «**هؤلاء نَزَلُوا على حُكْمِكَ**»، فقال: تقْتُلُ مُقاتِلتهُم، وتسْبِي ذراريَّهُمْ. قال: «**قَضَيْتَ بحكم الله**»، ورُبَّما قال: «**بِحُكْمِ المَلِك**».

ورواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه وفيه: فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد، قال رسول الله ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**»، ثم قال: «**إن هؤلاء نزلوا على حكمك**»، قال: تَقْتُلُ

مُقاتِلتَهُمْ، وتَسْبِي ذريتهم، وفي بعض ألفاظه فقال: رسول الله ﷺ: «**لقد حَكَمْتَ فيهم بحكم الله**». وفي لفظ: «**لقد حكمت بحكم الملِكِ**». اهـ.

وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب أعناق من أنبت من الرجال، فقد روى الترمذي وأبو داود والنسائي وقال الترمذي: حسن صحيح من حديث عطية القرظي رضي الله عنه قال: عُرِضْنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة، فكل من أنبت قتل وكل من لم ينبت خلي سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخلي سبيلي. وقال ابن إسحاق: حدثني شعبة بن الحجاج عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم، وكنت غلاماً، فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي.

هذا وقد كان الأنصار جعلوا لرسول الله ﷺ وللمهاجرين بعضاً من نخيلهم ينتفعون بثمارها دون ملك رقبتها، فلما فُتحت النضير وقريظة صار للمهاجرين نخل وأموال كثيرة، فأمر رسول الله ﷺ المهاجرين برد ما كان للأنصار من النخيل لاستغنائهم عنه، كما رد رسول الله ﷺ للأنصار ما كان بيده من نخيلهم.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان الرجل يجعل للنبي ﷺ النخلات حتى افتتح قريظة والنضير، فكان بعد ذلك يرد عليهم، وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فاسأله الذي كانوا أعطوه أو بعضه، وكان النبي ﷺ قد أعطاه أم أيمن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي تقول: كلا والذي لا إله إلا هو لا يعطيكهم وقد أعطانيها، أو كما قالت، والنبي ﷺ يقول: «**لكِ كذا**»، وتقول: كلا والله حتى أعطاها حسبتُ أنه قال: عشرة أمثاله أو كما قال.

وقد رواه مسلم من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وحامد بن عمر البَكَراويِّ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي كلهم عن المعتمر(واللفظ لابن أبي شيبة) حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عن أنس أن رجلاً (وقال حامد وابن عبد الأعلى أن الرجل) كان يجعل للنبي ﷺ النخلات من أرضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير، فجعل بعد ذلك يرد عليه ما كان أعطاه، قال أنس: وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله ما كان أهله أعطوه أو بعضه، وكان نبي الله ﷺ

قد أعطاه أم أيمن، فأتيت النبي ﷺ فأعطانيهن، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي، وقالت: والله لا يعطيكهن وقد أعطانيهن، فقال نبي الله ﷺ: «**يا أم أيمن اتركيه ولك كذا وكذا**»، وتقول: كلا والذي لا إله إلا هو، فجعل يقول كذا حتى أعطاها عشرة أمثاله أو قريباً من عشرة أمثاله.

وقد امتن الله تبارك وتعالى على المسلمين بفتح قريظة حيث يقول بعد قصة الأحزاب في سورة الأحزاب: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦ ـ ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزَاب: ٢٦] أي من حصونهم، هذا وقد استجاب الله تبارك وتعالى دعاء سعد بن معاذ رضي الله عنه فأقر عينه من بني قريظة، وحقق له ما تمناه من أن يموت شهيداً في سبيل الله، حيث انفجر جرحه وهو في خيمته بمسجد رسول الله ﷺ.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

كما روى البخاري ومسلم من حديث البراء رضي الله عنه قال: أُهديت للنبي ﷺ حُلَّة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «**أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين**». اهـ.

وإذا كان هذا للمناديل فما بالك بالثياب؟

فإن قيل: كيف يتمنى سعد بن معاذ الموت حيث دعا الله عز وجل أن يَفْجُر جُرْحَهُ إن لم يكن قد بقي من حرب قريش شيء، مع أن رسول الله ﷺ نهى عن تمني الموت؟ فالجواب: أن رسول الله ﷺ إنما نهى أن يتمنى الإنسان الموت لضر أصابه، والذي تمناه سعد رضي الله عنه هو أن يموت شهيداً في سبيل الله وشتان ما بينهما، فإن تمني الشهادة في سبيل الله من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل، وقول رسول الله ﷺ: لمناديل سعد في الجنة... كما رواه مسلم بشارة بالجنة لسعد بن معاذ رضي الله عنه.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الواحد والثمانون

بعض مغازي رسول الله ﷺ التي اشتمل عليها حديث جابر رضي الله عنه

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد ساق مسلم في صحيحه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما المعروف بحديث جابر الطويل، أي الحديث الطويل الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، لما فيه من الحكم والأحكام والمعجزات التي أيد الله بها خاتم المرسلين محمداً ﷺ، وقد ساق فيه جابر رضي الله عنه قصصاً كثيرة عن بعض مغازي رسول الله ﷺ.

فقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا هارون بن معروف ومحمد بن عَبَّادٍ (وتقاربا في لفظ الحديث) والسِّيَاقُ لِهَارُون قالا: حدثنا حاتِمُ بنُ إسماعيل عن يعقوب بن مجاهد أبي حزرة عن عُبَادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت قال:

خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحيِّ من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلام له، معه ضمامة من صحف، وعلى أبي اليسر بُرْدَةٌ ومعافريٌّ، وعلى غلامه بُرْدَةٌ ومعافريٌّ، فقال له أبي: يا عمِّ، إني أرى في وجهك سفعةً من غضبٍ، قال: أجل، كان لي على فلان ابن فلان الحرامي مالٌ، فأتيتُ أهله، فسلمت فقلت: ثَمَّ هو؟ قالوا: لا. فخرج عليَّ ابنٌ له جفْرٌ فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي، فقلت: اخرج إليَّ فقد علمت أين أنت، فخرج، فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني. قال: أنا والله أُحَدِّثُكَ ثُمَّ لا أكذبك، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك، وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت والله معسراً، قال: قلت: آلله؟ قال: الله، قلت: آلله؟ قال: الله، قلت: آلله؟ قال: الله، قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده، فقال: إن وجدت قضاءً فاقضني، وإلا أنت في حل،

فأشهد بصر عيني هاتين ووضع إصبعيه على عينيه وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا وأشار إلى مناط قلبه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**مَنْ أنظر مُعْسِراً أو وضع عنه أظله الله في ظله**».

فقلت له أنا: يا عم لو أنك أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك وأخذت معافريه وأعطيته بردتك فكانت عليك حلة وعليه حلة؟ فمسح رأسي وقال: اللهم بارك فيه، يا ابن أخي بصر عيني هاتين وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا وأشار إلى مناط قلبه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون**»، وكان أن أعطيته من متاع الدنيا أهون عليَّ من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة.

ثم مضينا حتى أتينا جابر بن عبد الله في مسجده وهو يصلي في ثوب واحد مشتملاً به، فتخطيت القوم حتى جلست بينه وبين القبلة، فقلت: يرحمك الله أتصلي في ثوب واحد ورداؤك إلى جنبك؟ قال: فقال بيده في صدري هكذا وفرَّق بين أصابعه وقوَّسها: أردت أن يدخل عليَّ الأحمق مثلك فيراني كيف أصنع فيصنع مثله، أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا فقال: «**أيكم يحب أن يُعرض الله عنه؟**» قلنا: لا أينا يا رسول الله، قال: «**فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قِبل وجهه، فلا يَبْصُقنَّ قِبل وجهه ولا عن يمينه وليَبْصُقْ عن يساره تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا**» ثم طوى ثوبه بعضه على بعض، فقال: «**أروني عبيراً**»، فقام فتى من الحي، يشتد إلى أهله فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة، فقال جابر: فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم.

سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بُوَاطٍ وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني، وكان الناضح يعتقبه منا الخمسةُ والستة والسبعة، فدارت عُقبَةُ رجل من الأنصار على ناضح له، فأناخه، فركبه ثم بعثه فتلدَّن عليه بعض التَّلَدُّن، فقال له: شَأْ، لعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا اللاعن بعيره؟**» قال: أنا يا

رسول الله، قال: «**انزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**».

سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كانت عُشَيشيَةٌ ودنونا ماءً من مياه العرب، قال رسول الله ﷺ: «**من رجل يتقدمنا فيَمْدُرُ الحوض فيشرب ويسقينا؟**» قال جابر: فقمت فقلت: هذا رجلٌ يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أي رجل مع جابر؟**» فقام جبَّارُ بن صخر فانطلقنا إلى البئر، فنزعنا في الحوض سجلاً أو سجلين ثم مدرناه، ثم نزعنا فيه حتى أفهقناه، فكان أول طالع علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**أتأذنان؟**» قلنا: نعم يا رسول الله، فأشرع ناقته فشربت، شنق لها، فشجت فبالت، ثم عدل بها فأناخها، ثم جاء رسول الله ﷺ إلى الحوض فتوضأ منه، ثم قمت فتوضأت من متوضأ رسول الله ﷺ، فذهب جبار بن صخر يقضي حاجته، فقام رسول الله ﷺ ليصلي، وكانت عليَّ بردة، ذهبت أن أخالف بين طرفيها فلم تبلغ لي، وكانت لها ذباذب، فنكستها، ثم خالفت بين طرفيها، ثم تواقصت عليها، ثم جئت حتى قمت عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ بيدي فأدارني حتى أقامني عن يمينه، ثم جاء جبار بن صخر فتوضأ ثم جاء فقام عن يسار رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ بيدينا جميعاً فدفعنا حتى أقامنا خلفه، فجعل رسول الله ﷺ يرمقني وأنا لا أشعر، ثم فطنت به فقال هكذا بيده، يعني شُدَّ وسَطَك، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**يا جابر**»، قلتُ: لبَّيْك يا رسول الله، قال: «**إذا كان واسعاً فخالف بين طرفيه، وإذا كان ضيقاً فاشدده على حقوك**».

سرنا مع رسول الله ﷺ وكان قُوتُ كُلِّ رجل منا في كل يوم تمرة، فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه، وكنا نختبط بقسينا ونأكل حتى قرحت أشداقنا، فأقسم أخطئها رجل منا يوماً، فانطلقنا به ننعشه، فشهدنا أنه لم يعطها، فأعطيها فقام فأخذها.

سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفْيَح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتَّبَعْتُهُ بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يَسْتَترُ به، فإذا

شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**»، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: «**انقادي عليَّ بإذن الله**» فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصَفِ مما بينهما لأم بينهما يعني جمعهُما فقال: «**التئما عليَّ بإذن الله**» فالتأمتا، قال جابر: فخرجت أُحْضِر مخافة أن يُحسَّ رسول الله ﷺ بقُربي فيبتعد، وقال محمد بن عباد: فيتبعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مُقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفةً فقال برأسه هكذا، وأشار أبو إسماعيل برأسه يميناً وشمالاً، ثم أقبل، فلما انتهى إليَّ قال: «**يا جابر هل رأيت مقامي؟**» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «**فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما، حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك**».

قال جابر: فقُمْتُ فأخذت حَجَراً فكَسرتُهُ وحَسرتُهُ فانْذَلَقَ لي، فأتيتُ الشجرتين فقطعتُ من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجُرُّهُما حتى قمت مقام رسول الله ﷺ أرسلتُ غُصناً عن يميني وغصناً عن يساري ثم لَحِقْتُهُ، فقلت: قد فعلتُ يا رسول الله فعمَّ ذاك؟ قال: «**إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يُرَفَّه عنهما ما دام الغُصْنانِ رطبين**».

قال: فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: «**يا جابر نادِ بوضوء**» فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الأنصار يُبَرِّدُ لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب له على حمارةٍ من جريدٍ، قال: فقال لي: «**انطلق إلى فلان ابن فلان الأنصاري فانظر هل في أشجابه من شيء؟**» قال: فانطلقت إليه، فنظرتُ فيها، فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أُفرغه لشربه يابسه، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها لو أني أُفرغه لشربه يابسه، قال: «**اذهب فأتني به**»، فأتيته به، فأخذه بيده، فجعل يتكلم بشيء لا أدري

ما هو؟ ويغمزه بيديه، ثم أعطانيه، فقال: «**يا جابر نادِ بجفنة**» فقلت: يا جفنة الرَّكب، فأتيت بها تحمل، فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها وفرَّق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة، وقال: «**خذ يا جابر فصُب عليَّ وقل باسم الله**»، فصببت عليه وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يتفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت، فقال: «**يا جابر، ناد من كان له حاجة بماء**»، قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رووا قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى.

وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال: «**عسى الله أن يطعمكم**»، فأتينا سيف البحر، فزخر البحر زخرة، فألقى دابة، فأورينا على شقها النار، فاطبخنا واشتوينا، وأكلنا حتى شبعنا، قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا، فأخذنا ضلعاً من أضلاعه، فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب، وأعظم كفل في الركب فدخل تحته ما يطأطئ رأسه. اهـ.

وقوله في صدر هذا الحديث «أبا اليسر» هو بفتح الياء والسين واسمه كعب بن عمرو السلمي، وهو ممن شهد العقبة وبدراً، وهو آخر من مات من أهل بدر ﷺ، وقد توفي بالمدينة النبوية المنورة سنة خمس وخمسين من هجرة سيد المرسلين، وقوله: «ضمامة من صحف» أي رزمة، يقال ضمامة وإضمامة. وقوله: «ابن له جفر» أي ولد له صغير، وقوله: «لو أنك أخذت بردة غلامك وأعطيته معافريك وأخذت معافريه وأعطيته بردتك» قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: هكذا هو في جميع النسخ (وأخذت) بالواو، وكذا نقله القاضي عن جميع النسخ والروايات، ووجه الكلام وصوابه أن يقول: أو أخذت بأو؛ لأن المقصود أن يكون على أحدهما بردتان وعلى الآخر معافريان. اهـ.

وقوله: «عرجون ابن طاب» العرجون هو الغصن، وابن طاب نوعٌ من نخل المدينة، وقوله: «فإن عجلت به بادرة» أي غلبه بصاق أو نخامة وعجز عن دفعها. وقوله: «أروني عبيراً» أي هاتوا عبيراً، والعبير بفتح العين قيل هو

الزعفران وقيل هو أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران، وقوله: «فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله» أي فنهض شاب من بني سلمة يسرع ويعدو عدواً شديداً إلى جهة أهله وداره، وقوله: «فجاء بخلوق» أي بنوع من الطيب. وقوله: «فتلدن عليه بعض التلدن» أي تلكأ عليه وتوقف بعض التوقف. وقوله: «شأْ» هي كلمة زجر للبعير. وقوله: «عشيشية» هي تصغير العشية كما ذكر الجوهري في الصحاح. وقوله: «فيمدر الحوض» أي يطينه ويصلحه. وقوله: «فنزعنا في الحوض سجلاً» أي أخذنا وجبذنا وألقينا في الحوض سَجْلاً، والسَّجْلُ بفتح السين الدلو المملوءة، وقوله: «حتى أفهقناه» أي ملأناه. وقوله: «أشرع ناقته» أي أرسل رأسها في الماء لتشرب، وقوله: «شنق لها» أي كفها بزمامها وهو راكبها، وقال ابن دريد: هو أن تجذب زمامها حتى تقارب رأسها قادمة الرَّحْل، وقوله: فشجت، يقال: فشج البعير إذا فرَّج بين رجليه للبول، وقوله: لها ذباذب أي أهداب وأطراف، وقوله: «تواقصت عليها» أي أمسكت عليها بعنقي لئلا تسقط، وقوله: «يرمقني» أي ينظر إليَّ نظراً متتابعاً. وقوله: «على حقوك» الحقو بفتح الحاء وكسرها هو معقد الإزار وهو الخاصرة، والمراد أن يشده حتى يبلغ السرة ليكون ما تحت السرة مستوراً إلى الركبة، وقوله: «وكنا نختبط بقسينا» أي وكنا نضرب الشجر بقسينا ليتحات ورقه فنأكله، والقسي جمع قوس. وقوله: «قرحت أشداقنا» أي تجرحت من خشونة الورق وحرارته. وقوله: «فأقسم أخطئها رجل منا يوماً، فانطلقنا به ننعشه، فشهدنا أنه لم يعطها فأعطيها فقام فأخذها» معنى فأقسم أي فأحلف بالله، ومعنى أخطئها أي فاتته فلم يعطها، ومعنى: ننعشه، أي نرفعه ونقيمه من شدة الضعف والجهد، أو نشد جانبه في دعواه ونشهد له، وقوله: «وادياً أفيح» أي واسعاً، وقوله: بشاطئ الوادي أي بجانبه.

وقوله: «كالبعير المخشوش» أي كالجمل المخشوش، وهو الذي يجعل في أنفه خشاش، بكسر الخاء وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً غير منقاد ويشد فيه حبل ليذل وينقاد لصاحبه ويصانعه حتى لا يؤلمه الخشاش.

وقوله: بالمنصف، أي نصف المسافة بين الشجرتين. وقوله: فخرجت

أُحْضر، أي فانصرفت وأنا أعدو وأسرع وأسعى سعياً شديداً، وقوله: فحانت مني لفتة، أي وقعت، واللفتة النظرة إلى جانب.

وقوله: «وحسرته فانذلق لي» أي أحددته ونحيت عنه ما يمنع حدته فصار حاداً.

وقوله: «أن يُرفه عنهما» أي أن يخفف عنهما ما هما فيه من العذاب.

وقوله: «في أشجاب له» الأشجاب جمع شجب، والمراد به هنا السقاء الذي أخلق وبلي وصار شنّاً، ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب المحيط.

وقوله: «على حمارة من جريد»، الحمارة بكسر الحاء وتخفيف الميم والراء هي أعواد تعلق عليها أسقية الماء لتبريده. وقوله: في عزلاء شجب، قال ابن منظور في لسان العرب: والعَزْلاء: مصب الماء من الراوية والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، سميت عزلاء لأنها في أحد خصمي المزادة لا في وسطها، ولا هي كفمها الذي منه يستقي فيها. اهـ.

وقوله: سيف البحر أي ساحله، وحجاج العين هو عظمها المستدير بها.

وقد اشتمل هذا الحديث العظيم على الكثير من المعجزات التي أيد الله بها رسوله ﷺ وأظهر بها دينه وأعز بها أولياءه، مضافة إلى المعجزة الكبرى والآية العظمى الباقية بقاء الليل والنهار والشمس والقمر، وهي القرآن العظيم والذكر الحكيم، المشتمل على الشريعة الشاملة الكاملة، الشافية الوافية، الصالحة لكل زمان ومكان ومصر وعصر.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والثمانون

صلح الحديبية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو بالمدينة أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه معتمرين، وأنهم يطوفون بالبيت الحرام آمنين مطمئنين، فلما قصَّ رسول الله ﷺ رؤياه هذه على أصحابه فرحوا فرحاً عظيماً، وظنُّوا أن هذا قد يكون في عامهم، فعزموا على العمرة وتجهَّزوا للسفر إلى مكة، وخرجوا مع رسول الله ﷺ في ذي القعدة في السنة السادسة من الهجرة النبوية، وأحرم الكثير منهم من الميقات، ولم يحرم بعضهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فسمعت قريش بذلك، فتجمعوا وعزموا على صد رسول الله ﷺ عن البيت الحرام، وقد ساق رسول الله ﷺ الهدي وقلده ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً وإنما يريد زيارة المسجد الحرام، وسار رسول الله ﷺ بأصحابه حتى نزلوا الحديبية، وكانت على مسافة اثنين وعشرين (كيلومتر) إلى الشمال الغربي من مكة، وتُعرف اليوم بالشميسي، وبها الآن حدائق الحديبية وهي في الأصل بئر سمي به المكان المحيط بها، والمعروف أن الحديبية جزؤها الذي يلي مكة من الحرم وجزؤها الغربي من الحل، وقد حاول رسول الله ﷺ إقناع قريش أنه ما جاء محارباً، وجرت السفارة بين رسول الله ﷺ وبين قريش، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه أحد السفراء إلى قريش، وقد أُشيع أن قريشاً قتلته، فدعى رسول الله ﷺ إلى مبايعته، فبايعوه تحت الشجرة على الموت، ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو للتفاوض مع رسول الله ﷺ، فتم الصلح بين رسول الله وبين قريش على وضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات، وأن من دخل في دين محمد وعقده دخل فيه، ومن دخل في دين قريش وعهدهم دخل فيه، وأن المسلمين يعتمرون في العام القابل، فأمر

رسول الله ﷺ المسلمين أن يتحللوا وينحروا هداياهم، وقد دخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وعقده، ودخلت بنو بكر في عهد قريش وعقدهم.

وقد أظهر الله تبارك وتعالى على يدي رسوله ﷺ في غزوة الحديبية آيات باهرة ومعجزات ظاهرة تدل دلالة واضحة على أن محمداً هو رسول الله ﷺ حقاً وصدقاً، وأن السياسة الشرعية تعلو على كل سياسة، وتثمر للمسلمين الخير العظيم، وقد سمى الله ﷻ صلح الحديبية فتحاً قريباً، فقد قال البخاري في كتاب الشروط من صحيحه: «باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، قال: أخبرني الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن المِسْوِر بن مَخْرَمَة ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: **«إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين»**، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يُهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَلْ، فألحَّت، فقالوا: خَلأَتِ القَصْوَاءُ خَلأَتِ القَصْوَاءُ، فقال النبي ﷺ: **«ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل»** ثم قال: **«والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطَّة يُعظِّمون فيها حرمات الله إلَّا أعطيتهم إياها»**، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ قليل الماء، يتبرَّضُه الناس تبرُّضاً، فلم يُلَبِّثْهُ الناس حتى نزحزه وشكا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك، إذ جاء بُدَيْلُ بن وَرْقاء الخُزاعيُّ في نفرٍ من قومه من خزاعة، وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لُؤيٍ وعامر بن لؤيٍ نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العُوذُ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّا لم نجئ لقتال أحدٍ ولكنَّا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا**

ماددتهم مدة ويُخَلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلَّا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»، فقال بُدَيْل: سأبلغهم ما تقول، قال: فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته، يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقام عروة بن مسعود، فقال: أيْ قوم! ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلما بَلَّحُوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإنَّ هذا قد عرض لكم خطة رُشدٍ اقبلوها ودعوني آتيه، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبُدَيْلٍ، فقال عروة عند ذلك: أيْ محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يَفِرُّوا ويَدَعُوك، فقال له أبو بكر آمْصَصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أنحن نَفِرُّ عنه وندعه، فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أمَا والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لَمْ أجْزِك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَرُ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ، ضرب يده بنعل السيف وقال له: أَخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أيْ غُدَرُ، ألست أسعى في غدرتك، وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «**أمَّا الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء**»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نُخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على

وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مَلِكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، واللهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامةً إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عَرَض عليكم خُطَّة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْنَ فابعثوها له**» فبُعثت له فاستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وأُشْعِرَتْ،فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَزُ بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «**هذا مِكْرَزٌ وهو رجل فاجر**»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذا جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لمَّا جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: «**لقد سَهُلَ لكم من أمركم**» قال مَعْمَرٌ، قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب فقال النبي ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلَّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**»، ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «**والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله**»، قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألونني خُطَّةَ يعظِّمون فيها حرمات الله إلَّا أعطيتهم إياها، فقال له النبي ﷺ: «**على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به**»، فقال سهيل: والله لا

تتحدث العرب أنَّا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجل، وإن كان على دينك إلَّا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فبينما هم كذلك، إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أُقاضيك عليه، أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ: «**إنَّا لم نَقْضِ الكتاب بعد**»، قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: «**فأَجِزْهُ لي**»، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «**بلى فافعل**»، قال: ما أنا بفاعل، قال مِكْرَزٌ: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين! أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ أَلاَ ترون ما قد لقيت، وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقّاً؟ قال: «**بلى**»، قلت: ألسنا على الحق وعَدُوُّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قلت: فَلِمَ نُعْطي الدَّنِيَّة في ديننا إذاً؟ قال: «**إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري**»، قلت: أَوَلَيس كنت تُحَدِّثنا أَنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟**» قال: قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، قال: فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقّاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدُّونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نُعطي الدَّنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: أيُّها الرجل! إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغَرْزِهِ، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى، أفأَخْبَرَك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا، ثم احلقوا**»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مراتٍ، فلمَّا لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله! أتحب ذلك، اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج،

فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنَهُ، ودعا حالقه فحلقه، فلمَّا رأوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [المُمتَحنَة: ١٠]، فطلَّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجلٌ من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاسْتَلَّهُ الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جرَّبت به، ثم جرَّبت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَدَ، وفَرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «**لقد رأى هذا ذعراً**»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله! قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «**ويلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لو كان له أحد**»، فلمَّا سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلَّا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بِعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلَّا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَتْح: ٢٤]، حتى بلغ: ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفَتْح: ٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت، وقال عقيل عن الزهري، قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن، وبلغنا أنه لمَّا أنزل الله تعالى أن

يَرُدُّوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحَكَمَ على المسلمين أن لا يُمَسِّكوا بعِصَمِ الكَوَافِرِ، أنَّ عمر طلَّق امرأتين «قريبة بنت أبي أمية»، و«ابنة جرولٍ الخُزاعي»، فتزوج «قريبة» معاوية، وتزوج الأخرى أبو جهم، فلمَّا أبى الكفار أن يقروا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم، أنزل الله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة: ١١]، والعَقْبُ ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يُعطى مَنْ ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صَدَاقِ نساء الكفار اللائي هاجرن وما نعلم أحداً من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها، وبلغنا أن أبا بصير بن أسيد الثقفي قدم على النبي ﷺ مؤمناً مهاجراً في المدة، فكتب الأَخْنَسُ بن شَرِيق إلى النبي ﷺ يسأله أبا بصير، فذكر الحديث.

وقال البخاري في المغازي من صحيحه: «باب غزوة الحديبية، وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، حدثنا خالد بن مُخْلَدٍ، حدثنا سليمان بن بلال، قال: حدثني صالح بن كَيْسَانَ، عن عبيد الله بن عبد الله، عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلَّى لنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مُطِرْنا برحمة الله، وبرزق الله، وبفضل الله، فهو مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأمَّا من قال: مُطِرْنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب، كافر بي**».

حدثنا هُدْبَةُ بن خالدٍ، حدثنا همام عن قَتَادَة، أن أنساً رضي الله عنه أخبره قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ كلهن في ذي القعدة، إلَّا التي كانت مع حجته: عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجِعْرانَة، حيث قسم غنائم حُنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته.

حدثنا سعيد بن الربيع، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال: انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحديبية، فأحرم أصحابه ولم أُحرم.

حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه قال: تَعُدُّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نَعُدُّ الفتح بيعة الرُّضْوَانِ يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فَنَزَحْنَاهَا فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماءٍ فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبَّه فيها فتركناها غير بعيدٍ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

حدثني فضل بن يعقوب، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين أبو علي الحرَّاني، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق، أنبأنا البراء بن عازب رضي الله عنهما أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، أو أكثر، فنزلوا على بئرٍ فنزحوها، فأتوا رسول الله ﷺ، فأتى البئر وقعد على شفيرها، ثم قال: «**ائتوني بدلوٍ من مائها**»، فأُتي به فبصق، فدعا، ثم قال: «**دعوها ساعة فأرووا أنفسهم ورِكابَهُم حتى ارتحلوا**».

حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فُضَيْلٍ، حدثنا حُصَيْنٌ عن سالم عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما لكم؟**» قالوا: يا رسول الله! ليس عندنا ماءٌ نتوضأ به، ولا نشرب إلَّا ما في رَكْوَتِكَ، قال: فوضع النبي ﷺ يده في الرَّكْوَةِ فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: لو كنا مائة ألفٍ لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

حدثنا الصَّلْتُ بن محمد، حدثنا يزيد بن زُرَيع، عن سعيد، عن قتادة، قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول: كانوا أربع عشرة مائة، فقال لي سعيد: حدثني جابر كانوا خمس عشرة مائة، الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية. قال أبو داود: حدثنا قُرَّةُ، عن قتادة، تابعه محمد بن بَشَّار، حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة.

حدثنا عليٌّ، حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «**أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أُبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة**»، تابعه الأعمش سمع سالماً سمع جابراً ألفاً وأربعمائة، وقال عبيدالله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة عن عمرو بن مُرَّة، حدثني عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم ثُمن المهاجرين.

حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى، عن إسماعيل، عن قيس، أنه سمع مِرْدَاساً الأسلمي يقول: ـ وكان من أصحاب الشجرة ـ يُقْبَضُ الصالحون الأَوَّلُ فالأول، وتبقى حُفَالَةٌ كحُفالةِ التمر والشعير، لا يعبأ الله بهم شيئاً.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن الزهري، عن عروة، عن مروان والمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، قالا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلمَّا كان بذي الحليفة قلَّد الهدْي وأشْعَرَ وأَحْرَمَ منها، لا أُحصي كم سمعته من سفيان حتى سمعته يقول: لا أحفظ من الزهري الإشعار والتقليد، فلا أدري يعني موضع الإشعار والتقليد أو الحديث كله.

حدثنا الحسن بن خلف، قال: حدثنا إسحاق بن يوسف، عن أبي بشر وَرْقاء، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عُجرَةَ، أن رسول الله ﷺ رآه وقَمْلُهُ يسقط على وجهه، فقال: «**أيؤذيك هوامُّك**» قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو بالحديبية لم يبين لهم أنهم يحلون بها، وهم على طمعٍ أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية، فأمره رسول الله ﷺ أن يُطعم فَرَقاً بين ستة مساكين، أو يهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام.

حدثنا إسماعيل بن عبد الله، قال: حدثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين! هَلَكَ زوجي، وترك صِبْيةً صغاراً، والله ما ينضجون كُراعاً، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضَّبُعُ، وأنا بنت خُفَاف بن إيْمَاء الغِفَاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ، فوقف معها عمر، ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسبٍ قريبٍ، ثم انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ كان

مربوطاً في الدار، فحمل عليه غِرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها، قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سُهْمانَهُما فيه.

حدثني محمد بن رافع، حدثنا شبابة بن سوار أبو عمرو الفزاري، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها، قال محمود، ثم أنسيتها بعد.

حدثنا محمود، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن طارق بن عبد الرحمن، قال: انطلقت حاجّاً، فمررت بقوم يصلون، قلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت سعيد بن المسيب، فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها، فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها، وعلمتموها أنتم، فأنتم أعلم.

حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة، حدثنا طارق، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه كان ممن بايع تحت الشجرة، فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا.

حدثنا قَبِيصَةُ، حدثنا سفيان عن طارق، قال: ذُكِرَت عند سعيد بن المسيب الشجرة فضحك، فقال: أخبرني أبي وكان شهدها.

حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّةَ، قال: سمعت عبد الله بن أبي أوفى، وكان من أصحاب الشجرة، قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة قال: «**اللهم صلِّ عليهم**»، فأتاه أبي بصدقته، فقال: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**».

حدثنا إسماعيل، عن أخيه عن سليمان، عن عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، قال: لما كان يوم الحرَّةِ، والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة. فقال ابن زيد: على ما يُبايع ابن حنظلة الناس؟ قيل له: على الموت، قال: لا أُبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ، وكان شهد معه الحديبية.

حدثنا يحيى بن يعلى المُحارِبيُّ، قال: حدثني أبي حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع، قال: حدثني أبي، وكان من أصحاب الشجرة، قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ الجمعة ثم ننصرف، وليس للحيطان ظل نستظل فيه.

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد، قال: قلت لسلمة ابن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت.

حدثني أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، قال: لقيت البراء بن عَازِبٍ رضي الله عنهما فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ، وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي! إنك لا تدري ما أحدثنا بعده.

حدثنا إسحاق، حدثنا يحيى بن صالح، قال: حدثنا معاوية، هو ابن سلَّام، عن يحيى عن أبي قِلابة، أن ثابت بن الضحاك أخبره أنه بايع النبي ﷺ تحت الشجرة.

حدثني أحمد بن إسحاق، حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفَتْح: ١]، قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الفتح: ٥]، قال شعبة: فقدمت الكوفة، فحدَّثت بهذا كله عن قتادة، ثم رجعت فذكرت له، فقال: أما ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفَتْح: ١] فعن أنس، وأما ﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النِّساء: ٤] فعن عكرمة.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أبو عامر، حدثنا إسرائيل، عن مجزأة بن زاهر الأسلمي، عن أبيه، وكان ممن شهد الشجرة، قال: إني لأوقِدُ تحت القدر بلحوم الحمر، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ ينهاكم عن لحوم الحُمُر. وعن مجزأة، عن رجل منهم ـ من أصحاب الشجرة ـ اسمه أُهْبَانُ بن أَوْسٍ وكان اشتكى ركبته، وكان إذا سجد جعل تحت ركبته وسادة.

حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار، عن سويد بن النعمان، وكان من أصحاب الشجرة، كان رسول الله ﷺ وأصحابه أُتُوا بسَوِيق فَلَاكُوهُ. تابعه معاذ عن شعبة.

حدثنا محمد بن حاتم بن بَزِيعٍ، حدثنا شَاذَانُ عن شعبة عن أبي جمرة، قال: سألت عائذ بن عمرو رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ من أصحاب الشجرة، هل ينقض الوتر، قال: إذا أوترت من أوله، فلا توتر من آخره.

حدثني عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله، فلم يجبه، ثم سأله، فلم يجبه، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرَّكت بعيري، ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «**لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة، لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفَتْح: ١].

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، قال: سمعت الزهري حين حدَّث هذا الحديث، حفظت بعضه، وثبتني معمر، عن عروة بن الزبير، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم، يزيد أحدهما على صاحبه، قالا: خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلمَّا أتى ذا الحليفة قلَّد الهَدْيَ وأشعره، وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خُزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينه، قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: «**أشيروا أيُّها الناس عليَّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلَّا تركناهم محروبين**»، قال أبو بكر: يا رسول الله! خرجت عامداً لهذا البيت لا تُريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: «**امضوا على اسم الله**».

حدثني إسحاق، أخبرنا يعقوب، حدثني ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، أخبرني عروة بن الزبير، أنه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يخبران خبراً من خبر رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، فكان فيما أخبرني عروة عنهما: أنه لمَّا كاتب رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو يوم الحديبية على قضية المدة، وكان فيما اشترط سهيل بن عمرو أنه قال: لا يأتيك منا أحدٌ، وإن كان على دينك إلَّا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، وأبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلَّا على ذلك، فكره المؤمنون ذلك وامعضوا، فتكلموا فيه، فلما أبى سهيل أن يقاضي رسول الله ﷺ إلَّا على ذلك، كاتبه رسول الله ﷺ، فرد رسول الله ﷺ أبا جندل بن سهيل يومئذٍ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت رسول الله ﷺ أحدٌ من الرجال إلَّا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، فكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْطٍ ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ أن يرجعها إليهم، حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [المُمتَحنَة: ١٢].

وعن عمه قال: بلغنا حين أمر الله رسوله أن يرد إلى المشركين ما أنفقوا على مَنْ هاجر مِنْ أزواجهم. وبلغنا أن أبا بصير، فذكره بطوله.

حدثنا قتيبة، عن مالك، عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خرج معتمراً في الفتنة، فقال: إن صددت عن البيت صنعنا كما صنعنا مع رسول الله ﷺ، فأهلَّ بعمرة من أجل أن رسول الله ﷺ كان أهلَّ بعمرة عام الحديبية.

حدثنا مُسَدَّدٌ، حدثنا يحيى عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر، أنه أهلَّ، وقال: إن حيل بيني وبينه لفعلت كما فعل النبي ﷺ حين حالت كفار قريش بينه، وتلا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جُوَيْرِيَةُ، عن نافع أن عبيدالله بن

عبد الله وسالم بن عبد الله أخبراه أنهما كلَّما عبد الله بن عمر، وحدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية عن نافع، أن بعض بني عبد الله قال له: لو أقمت العام فإني أخاف أن لا تصل إلى البيت، قال: خرجنا مع النبي ﷺ، فحال كفار قريش دون البيت فنحر النبي ﷺ هداياه وحَلَقَ، وقَصَّر أصحابه، وقال: أشهدكم أني أوجبت عمرة، فإن خُلِّي بيني وبين البيت طفت، وإن حيل بيني وبين البيت صنعت كما صنع رسول الله ﷺ، فسار ساعة، ثم قال: ما أُرَى شأنهما إلَّا واحداً، أُشهدكم أني قد أوجبت حجَّة مع عُمرتي، فطاف طوافاً واحداً وسعياً واحداً، حتى حلَّ منهما جميعاً.

حدثني شجاع بن الوليد، سمع النضر بن محمد، حدثنا صخر، عن نافع، قال: إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة، قال: فانطلق فذهب معه، حتى بايع رسول الله ﷺ، فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر.

وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عمر بن محمد العُمَرِيُّ، أخبرني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرَّقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس مُحْدِقُون بالنبي ﷺ، فقال: يا عبد الله! انظر ما شأن الناس، قد أحدقوا برسول الله ﷺ، فوجدهم يبايعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر، فخرج فبايع.

حدثنا ابن نُمير، حدثنا يعلى، حدثنا إسماعيل، قال: سمعت عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ حين اعتمر فطاف فطفنا معه، وصلى وصلينا معه، وسعى بين الصفا والمروة، فكنا نستره من أهل مكة لا يصيبه أحد بشيء.

حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سَابِق، حدثنا مالك بن مِغْوَل، قال: سمعت أبا حَصِينٍ قال: قال أبو وائل لمَّا قَدِمَ سَهْلُ بن حُنَيْفٍ من صِفِّين:

أتيناه نستخبره، فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددت، والله ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمرٍ يفظعنا إلَّا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصماً إلَّا انفجر علينا خصم، ما ندري كيف نأتي له.

حدثنا سُليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه قال: أتى على النبي ﷺ زمن الحديبية، والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «**أيؤذيك هوامُّ رأسك؟**» قلت: نعم، قال: «**فاحلق، وصُمْ ثلاثة أيام، أو أطعم سِتَّة مساكين، أو انسُك نَسِيكَةً**»، قال أيوب: لا أدري بأي هذا بدأ.

حدثني محمد بن هشام أبو عبد الله، حدثنا هشيم عن أبي بشر، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عُجْرَة، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن مُحْرِمُون وقد حَصَرَنا المشركون، قال: وكانت لي وَفْرَة، فجَعَلَت الهَوَام تسَّاقط على وجهي، فمرَّ بي النبي ﷺ، فقال: «**أيؤذيك هوام رأسك؟**» قلت: نعم، قال: وأُنْزِلَت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البَقَرَة: ١٩٦].

وقال مسلم في صحيحه: حدثني عبيدالله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله. فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: «**امْحُهُ**»، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده، قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة، فيقيموا بها ثلاثاً، ولا يدخلها بسلاح إلَّا جُلُبّان السلاح، قلت لأبي إسحاق: وما جُلُبّانُ السلاح؟ قال: القِرابُ وما فيه.

حدثنا محمد بن المُثنّى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: لما صالح

رسول الله ﷺ أهل الحديبية كتب عليٌّ كتاباً بينهم، قال: فكتب: محمد رسول الله، ثم ذكر بنحو حديث معاذ، غير أنه لم يذكر في الحديث: هذا ما كاتب عليه.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأحمد بن جَنابٍ المصَيصيُّ، جميعاً عن عيسى بن يونس «واللفظ لإسحاق» أخبرنا عيسى بن يونس، أخبرنا زكرياء عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما أُحصِرَ النبي ﷺ عند البيت صالحه أهل مكة على أن يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها إلَّا بجُلُبّانِ السلاح السيف وقِرابِهِ، ولا يخرج بأحدٍ معه من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه، قال لعلي: «**اكتب الشرط بيننا، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**»، فقال له المشركون: لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فأمر عليّاً أن يمحاها، فقال عليٌّ: لا والله لا أمحاها، فقال رسول الله ﷺ: «**أرني مكانها**» فأراه مكانها، فمحاها، وكتب: ابن عبد الله، فأقام بها ثلاثة أيام، فلمَّا أن كان اليوم الثالث، قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك، فأْمُرْهُ فليخرج، فأخبره بذلك، فقال: «**نعم**»، فخرج، وقال ابن جناب في روايته: مكان «تابعناك» «بايعناك».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفّان، حدثنا حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ، فيهم سُهَيْلُ بن عمرو، فقال النبي ﷺ لعلي: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**» قال سهيل: أما ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: ١] فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم، فقال: «**اكتب من محمد رسول الله**»قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال النبي ﷺ: «**اكتب من محمد بن عبد الله**» فاشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله! أنكتب هذا؟ قال: «**نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً**».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نُمير ح وحدثنا ابن نمير

«وتقاربا في اللفظ»، حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن سِياهٍ، حدثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي وائل، قال: قام سهل بن حُنَيْفٍ يوم صفّين، فقال: أيها الناس! اتَّهِمُوا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ألسنا على حقٍّ وهم على باطل؟ قال: «**بلى**»، قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**»، قال: ففيم نُعطِي الدَّنيَّة في ديننا ونرجع، ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «**يا ابن الخطاب! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً**»، قال: فانطلق عمر، فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر! ألسنا على حقٍّ وهم على باطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نُعطي الدَّنيَّة في ديننا، ونرجع ولمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب! إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً، قال: فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله! أَوَفتح هو؟ قال: «**نعم**» فطابت نفسه ورجع.

حدثنا أبو كُرَيْبٍ محمد بن العلاء، ومحمد بن عبد الله بن نُمَير، قالا: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، قال: سمعت سهل بن حنيف يقول بصفين: أيها الناس! اتهموا رأيكم، والله لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، والله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمرٍ قط إلَّا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه إلَّا أمركم هذا ـ لم يذكر ابن نمير: إلى أمرٍ قط ـ.

وحدثناه عثمان بن أبي شيبة، وإسحاق، جميعاً عن جرير ح، وحدثني أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، كلاهما عن الأعمش، بهذا الإسناد، وفي حديثهما: إلى أمر يفظعنا.

وحدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول، عن أبي حصين، عن أبي وائل، قال: سمعت سهل بن حنيف بصفّين يقول:

اتهموا رأيكم على دينكم، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ ما فتحنا منه في خُصْمٍ إلَّا انفجر علينا منه خُصْمٌ.

وحدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، حدثهم، قال: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٥]، مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: «**لقد أُنزلت عليَّ آية هي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً**».

وحدثنا عاصم بن النضر التيمي، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي، حدثنا قتادة، قال: سمعت أنس بن مالك ح، وحدثنا ابن المثنى، حدثنا أبو داود، حدثنا همام ح، وحدثنا عبد بن حُمَيْدٍ، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شَيْبَانُ، جميعاً عن قتادة، عن أنس، نحو حديث ابن أبي عروبة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والثمانون

غزوة خيبر

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد تقدم عند الحديث عن صلح الحديبية أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنزل على رسوله ﷺ سورة الفتح في أثناء رجوعه من الحديبية إلى المدينة، وقد ذكر الله ﷻ فيها أنه وعد المسلمين مغانم كثيرة يأخذونها، وقد فهم المسلمون أنها غنائم خيبر، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يلبث طويلاً حتى أمر المسلمين بالتوجه إلى خيبر لاستنجاز وعد الله الذي وعدهم، وقد خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة وأتم الله ﷻ فتحها في صفر والاستيلاء على المغانم الكثيرة التي وعدهم بها في سورة الفتح، وقد بلغ عدد جيش رسول الله ﷺ إلى خيبر ألفا وستمائة مقاتل، منها ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، وقد صحب رسول الله ﷺ معه أم سلمة رضي الله عنها، وكانت خيبر أرضاً ذات نخيل ومزارع وحصون كثيرة، وقد نزل بها اليهود الذين جاؤوا إليها يلتمسون النبي المبشر به في كتبهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، وقد كانوا في أول أمرهم مسالمين، حتى نزل عندهم زعماء بني النضير عندما أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، وكان أبرز زعماء بني النضير الذين أجلوا من المدينة إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فلما نزلوها بدؤوا يؤلبون أهلها ضد المسلمين. وقد ساق البخاري في صحيحه قصة غزوة خيبر فقال:

باب غزوة خيبر. حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن بشير بن يسار، أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر، حتى إذا كنا بالصهباء، وهي من أدنى خيبر صلَّى العصر، ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثري فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ.

حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر! ألا تُسمعنا من هُنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللـهـم لـولا أنـت مـا اهـتـديـنـا ... ولا تـصـدقـنـا ولا صـلـيـنـا

فـاغـفـر فـداءً لـك مـا أبـقـيـنـا ... وثـبـت الأقـدام إن لاقـيـنـا

وألـقـيـن سـكـيـنـة عـلـيـنـا ... إنَّـا إذا صـيـح بـنـا أبـيـنـا

وبـالـصـيـاح عـولـوا عـلـيـنـا

فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا السائق؟**» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «**يرحمه الله**»، قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله! لولا أمتعتنا به، فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم إن الله تعالى فتحها عليهم، فلمَّا أمسى الناس مساء اليوم الذي فُتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟**» قالوا: على لحم، قال: «**على أي لحم؟**» قالوا: لحم حُمُرِ الإنسية، قال النبي ﷺ: «**أهريقوها، واكسروها**»، فقال رجل: يا رسول الله! أو نهريقها ونغسلها؟ قال: «**أوذاك**» فلما تصافَّ القوم، كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه، فأصاب عين رُكْبَة عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي، قال: «**ما لك؟**» قلت له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ: «**كذب من قاله، إن له لأجرين**» وجمع بين أصبعيه، «**إنه لجاهد مجاهد قل عربي مشى بها مثله**».

حدثنا قتيبة، حدثنا حاتم، قال: نشأ بها.

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن حميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أتى قوماً بليل، لم يُغِرْ بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد،

والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «**خَرِبَت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

أخبرنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، حدثنا أيوب، عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي، فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد، والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «**الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» فأصبنا من لحوم الحمر، فنادى منادي النبي ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فإنها رجس.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أيوب عن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: أكلت الحُمُرُ، فسكت، ثم أتاه الثانية فقال: أكلت الحُمُرُ، فسكت، ثم أتاه الثالثة فقال: أُفْنِيَتِ الحُمُرُ، فأمر منادياً فنادى في الناس: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية، فأُكفئت القدور، وإنها لتفور باللحم.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: صلى النبي ﷺ الصبح قريباً من خيبر بغلسٍ، ثم قال: «**الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين**»، فخرجوا يسعون في السكك، فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية، وكان في السبي صفية، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها، فقال عبد العزيز بن صهيب لثابت: يا أبا محمد! آنت قلت لأنس ما أصدقها؟ فحرك ثابت رأسه تصديقاً له.

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن عبد العزيز بن صهيب، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سبى النبي ﷺ صفية فأعتقها وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها.

حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب

رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحد، كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**وما ذاك؟**» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جُرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة**».

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «**هذا من أهل النار**»، فلما حضر القتال، قاتل الرجال أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج بها أسهماً فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله! صدَّق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: «**قم يا فلان فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر**». تابعه معمر عن الزهري.

وقال شبيب، عن يونس، عن ابن شهاب: أخبرني ابن المسيب، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، أن أبا هريرة قال: شهدنا مع النبي ﷺ خيبر، وقال ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن سعيد، عن النبي ﷺ، تابعه صالح، عن الزهري. وقال الزبيدي: أخبرني الزهري أن عبد الرحمن بن كعب أخبره أن عبيد الله بن كعب قال: أخبرني من شهد مع النبي ﷺ خيبر، قال الزهري: وأخبرني عبيد الله بن عبد الله وسعيد، عن النبي ﷺ.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، عن عاصم، عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر. أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلَّا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم**» وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: «**يا عبد الله بن قيس!**» قلت: لبيك رسول الله، قال: «**أَلَا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة**» قلت: بلى يا رسول الله! فداك أبي وأمي، قال: «**لا حول ولا قوة إلَّا بالله**».

حدثنا المكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربةٍ في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم! ما هذه الضربة؟ فقال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس أُصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ، فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها حتى الساعة.

حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا ابن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل، قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها، فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله! ما أجزأ أحدهم، ما أجزأ فلان، فقال: «**إنه من أهل النار**» فقالوا: أينا من أهل الجنة، إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جُرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: «وما ذاك؟» فأخبره فقال: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**».

حدثنا محمد بن سعيد الخُزاعي، حدثنا زياد بن الربيع، عن أبي عمران، قال: نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة، فرأى طيالسة، فقال: كأنهم الساعة يهود خيبر.

حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة رضي الله عنه قال: كان عليٌّ رضي الله عنه تخلَّف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ فلحق، فلما بتنا الليلة التي فُتِحَت، قال: «**لأعطين الراية غداً أو ليأخذن الراية غداً رجل يحبه الله ورسوله، يُفْتَحُ عليه**» فنحن نرجوها، فقيل: هذا عليٌّ فأعطاه، ففتح عليه.

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم، قال: أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ**».

حدثنا عبد الغفار بن داود، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح، وحدثني أحمد، حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن عمرو مولى المطلب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قدمنا خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قتل زوجها وكانت عروساً فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء، حلت فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حيساً في نطعٍ صغير، ثم قال لي: آذن من حولك، فكانت تلك وليمته على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبي ﷺ يُحَوِّي لها وراءه بعباءةٍ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي عن سليمان، عن يحيى، عن حميد

الطويل، سمع أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقام على صفية بنت حيي بطريق خيبر ثلاثة أيام، حتى أعرس بها، وكانت فيمن ضُرِبَ عليها الحجاب.

حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، قال: أخبرني حميد، أنه سمع أنساً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالٍ يبني عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، وما كان فيها من خُبْزٍ ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه، قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ لها خلفه، ومد الحجاب.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، وحدثني عبد الله بن محمد، حدثنا وهب، حدثنا شعبة، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا محاصري خيبر، فرمى إنسان بجراب فيه شحم فنزوت لآخذه، فالتفت فإذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستحييت.

حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة، عن عبيد الله، عن نافع وسالم، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى يوم خيبر عن أكل الثوم، وعن لحوم الحمر الأهلية. نهى عن أكل الثوم هو عن نافع وحده، ولحوم الحمر الأهلية عن سالم.

حدثني يحيى بن قزعة، حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الله والحسن ابني محمد بن علي، عن أبيهما، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل الحمر الإنسية.

حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية.

حدثني إسحاق بن نصر، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبيد الله، عن نافع وسالم، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكل لحوم الحمر الأهلية.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو، عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في الخيل.

حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن الشيباني، قال: سمعت ابن أبي أوفى رضي الله عنهما أصابتنا مجاعة يوم خيبر، فإن القدور لتغلي، قال: وبعضها نضجت، فجاء منادي النبي ﷺ: لا تأكلوا من لحوم الحمر شيئاً، وأهريقوها، قال ابن أبي أوفى: فتحدثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تُخَمَّس، وقال بعضهم: نهى عنها ألبتة، لأنها كانت تأكل العذرة.

حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، قال: أخبرني عدي بن ثابت، عن البراء، وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهم أنهم كانوا مع النبي ﷺ فأصابوا حمراً فطبخوها، فنادى منادي النبي ﷺ أكفِئوا القدور.

حدثني إسحاق، حدثنا عبد الصمد، حدثنا شعبة، حدثنا عدي بن ثابت، سمعت البراء وابن أبي أوفى رضي الله عنهم يحدثان عن النبي ﷺ أنه قال يوم خيبر، وقد نصبوا القدور: أكفئوا القدور.

حدثنا مسلم، حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت، عن البراء، قال غزونا مع النبي ﷺ نحوه.

حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، أخبرنا عاصم، عن عامر، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا النبي الله ﷺ في غزوة خيبر أن نُلقي الحُمُرَ الأهلية نيئة، ونضيجة، ثم لم يأمرنا بأكله بعد.

حدثني محمد بن أبي الحسين، حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، عن عاصم، عن عامر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا أدري أنهى عنه رسول الله ﷺ من أجل أنه كان حمولة الناس، فكره أن تذهب حمولتهم، أو حرَّمه في يوم خيبر لحم الحمر الأهلية.

حدثنا الحسن بن إسحاق، حدثنا محمد بن سابق، حدثنا زائدة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً، قال: فسره نافع، فقال: إذا كان مع الرجل فرس، فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس، فله سهم.

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب، عن

سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره، قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن بمنزلة واحدة منك، فقال: «**إنما بنو هاشم، وبنو المطلب شيء واحد**»، قال جبير: ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً.

حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، حدثنا بُرَيْدُ بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بُردة، والآخر أبو رُهم، إما قال: بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أُناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس ـ وهي ممن قدم معنا ـ على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ، يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار، أو في أرض البُعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وأيم الله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي ﷺ، وأسأله والله لا أكذب، ولا أزيغ، ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ، قالت: يا نبي الله! إن عمر قال كذا وكذا، قال: «**فما قلت له؟**» قالت: قلت له كذا وكذا، قال: «**ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان**»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد

هذا الحديث مني، قال أبو بردة عن أبي موسى، قال النبي ﷺ: إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم، إذا لقي الخيل، أو قال: العدو، قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم.

حدثني إسحاق بن إبراهيم، سمع حفص بن غياث، حدثنا بريد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا، ولم يقسم لأحدٍ لم يشهد الفتح غيرنا.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن مالك بن أنس، قال: حدثني ثور، قال: حدثني سالم مولى ابن مطيع، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضة، إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القُرَى ومعه عبدٌ له يقال له مِدْعَمٌ أهداه له أحد بني الضِّبَابِ، فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائرٌ حتى أصاب ذلك العبد، فقال الناس هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «**بلى والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشعل عليه ناراً**»، فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشراك أو بشراكين فقال: هذا شيء كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: «**شراك أو شراكان من نار**».

حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر، قال: أخبرني زيد، عن أبيه، أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أما والذي نفسي بيده، لولا أن أترك آخر الناس بَبَّاناً ليس لهم شيء ما فُتحت عليَّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها.

حدثني محمد بن المثنى، حدثنا ابن نهدي، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه قال: لولا آخر المسلمين، ما فُتحت عليهم قرية إلَّا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: سمعت الزهري، وسأله إسماعيل بن أمية، قال: أخبرني عنبسة بن سعيد أن أبا هريرة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فسأله، قال له بعض بني سعيد بن العاص لا تُعطه، فقال أبو هريرة: هذا قاتل ابن قوقل، فقال: واعجباه، لِوَبْرٍ تدلى من قدوم الضأن. ويُذكر عن الزبيدي، عن الزهري قال: أخبرني عنبسة بن سعيد أنه سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاصي قال: بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قِبَل نجد، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها وإن حُزُمَ خيلهم لليف، قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله! لا تقسم لهم، قال أبان: وأنت بهذا يا وَبْرُ تَحَدَّرَ من رأس ضأل، فقال النبي ﷺ: «**يا أبانُ! اجلس**»، فلم يقسم لهم.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد، قال: أخبرني جدي أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال أبو هريرة: يا رسول الله! هذا قاتل ابن قوقل، وقال أبان لأبي هريرة: واعجباً لك وَبْرٌ تدأدأ من قدوم ضأن، ينعى عليَّ امرأ أكرمه الله بيدي، ومنعه أن يهينني بيده.

حدثنا يحيى بن بُكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَكٍ وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركناه صدقة**»، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه، حتى تُوُفِّيَتْ، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا أحدٌ معك كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا

تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي، والله لآتينهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد عليٌّ، فقال: إنا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيباً حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلَّا صنعته، فقال عليٌّ لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة، فلما صلى أبو بكر الظهر، رقى على المنبر، فتشهد وذكر شأن عليٍّ وتخلفه عن البيعة وعُذَرَه بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهَّد عليٌّ فعظَّم حقَّ أبي بكر، وحدَّث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضَّله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً، فاستبد علينا، فوجدنا في أنفسنا، فسُر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى عليّ قريباً، حين راجع الأمر بالمعروف.

حدثني محمد بن بشار، حدثنا حَرَميٌّ، حدثنا شعبة، قال: أخبرني عمارة، عن عكرمة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا فُتِحَتْ خيبر، قلنا الآن نشبع من التمر.

حدثنا الحسن، حدثنا قُرَّةُ بن حَبِيبٍ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر.

باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر. حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن عبد المجيد بن سهيل، عن سعيد بن المسيب، عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ تمر خيبر هكذا**» فقال: لا والله يا رسول الله! إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين بالثلاثة، فقال: «**لا تفعل، بع الجَمْعَ بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً**»، وقال عبد العزيز بن محمد، عن عبد المجيد، عن سعيدٍ، أن أبا سعيدٍ وأبا هريرة حدثاه أن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر، فأَمَّره عليها، وعن عبد المجيد، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة وأبي سعيد مثله.

باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر. حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية، عن نافع، عن عبد الله رضي الله عنه قال: أعطى النبي ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها.

باب الشاة التي سُمَّتْ للنبي ﷺ بخيبر، رواه عروة عن عائشة عن النبي ﷺ.

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لمَّا فُتِحَت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ.

باب غزوة زيد بن حارثة. حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان بن سعيد، حدثنا عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على قوم، فطعنوا في إمارته فقال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده**».

وقال مسلم في صحيحه:

حدثني زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل «يعني ابن عُلَيَّة» عن عبد العزيز بن صُهيب، عن أنس، أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن رُكبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ، وانحسر الإزار عن فخذ نبي الله ﷺ، وإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «**الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» قالها ثلاث مِرار، قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قال عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس، قال: وأصبناها عنوة.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن أنس قال: كنت ردف أبي طلحة يوم خيبر وقدمي تمس قدم رسول الله ﷺ، قال: فأتيناهم حين بزغت الشمس وقد أخرجوا مواشيهم وخرجوا بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم، فقالوا: محمد والخميس، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» قال: فهزمهم الله عز وجل.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن منصور قالا: أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر، قال: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد «واللفظ لابن عباد» قالا: حدثنا حاتم «وهو ابن إسماعيل» عن يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فَتَسَيَّرْنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداءً لك ما اقتفينا وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عوَّلوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا السائق؟**» قالوا: عامر، قال: «يرحمه الله»، فقال رجل من القوم: وجبت يا رسول الله! لولا أمتعتنا به، قال: فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصة شديدة، ثم قال: إن الله فتحها عليكم، قال: فلمَّا أمسى الناس مساء اليوم الذي فُتحت عليهم، أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟**» فقالوا: على لحم، قال: «**أي لحم؟**» قالوا: لحم حُمُر الإنسية، فقال رسول الله ﷺ: «**أهريقوها واكسروها**»، فقال رجل: يهريقوها ويغسلوها، فقال: «**أو ذاك**»، قال: فلما تصافَّ القوم كان سيف عامر فيه قصر، فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه، فأصاب ركبة عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا، قال سلمة وهو آخذ بيدي قال: فلما رآني رسول الله ﷺ ساكتاً قال: «**ما لك**» قلت له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال: «**من قاله؟**» قلت: فلان وفلان وأُسيد بن حضير الأنصاري، فقال: «**كذب من قاله، إن له لأجرين**»، وجمع بين إصبعيه، «**إنه لجاهد مجاهد، قل عربي مشى بها**

مثله». وخالف قتيبة محمداً في الحديث في حرفين، وفي رواية ابن عباد: وألق سكينة علينا.

وحدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عبد الرحمن، ونسيه غير ابن وهب فقال: ابن عبد الله بن كعب بن مالك، أن سلمة بن الأكوع، قال: لما كان يوم خيبر قاتل أخي قتالاً شديداً مع رسول الله ﷺ، فارتد عليه سيفه، فقتله، فقال أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، وشكُّوا فيه، رجل مات في سلاحه، وشكوا في بعض أمره، قال سلمة: فقفل رسول الله ﷺ من خيبر، فقلت: يا رسول الله! ائذن لي أن أرجز لك، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: أعلم ما تقول، قال: فقلت:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ: «**صدقت**».

وأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا

قال: فلما قضيت رجزي قال رسول الله ﷺ: «**من قال هذا؟**» قلت: قاله أخي، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحمه الله**» قال: فقلت: يا رسول الله! إن ناساً ليهابون الصلاة عليه، يقولون: رجل مات بسلاحه، فقال رسول الله ﷺ: «**مات جاهداً مجاهداً**» قال ابن شهاب: ثم سألت ابناً لسلمة بن الأكوع، فحدثني عن أبيه مثل ذلك، غير أنه قال حين قلت: إن ناساً يهابون الصلاة عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبوا مات جاهداً مجاهداً فله أجره مرتين**» وأشار بإصبعيه.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والثمانون

غزوة ذات الرقاع

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

سميت هذه الغزوة غزوة ذات الرِّقاع لأنهم كانوا يمشون على أرجلهم أحياناً كثيرة، فنقبت أقدامهم أي حفيت، ورقت وسقطت أظفارهم، وكانوا يلفون عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع.

قال البخاري في صحيحه: باب غزوة ذات الرِّقاع، وهي غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان، فنزل نخلاً، وهي بعد خيبر؛ لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وقال عبد الله بن رجاء: أخبرنا عمران العطار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في الخوف في غزوة السابعة، غزوة ذات الرقاع، قال ابن العباس: صلى النبي ﷺ الخوف بذي قَرَدٍ، وقال بكر بن سوادة: حدثني زياد بن نافع، عن أبي موسى، أن جابراً حدثهم: صلى النبي ﷺ بهم يوم مُحَارِبٍ وثَعْلَبَةَ. وقال ابن إسحاق: سمعت وهب بن كيسان، سمعت جابراً: خرج النبي ﷺ إلى ذات الرِّقاع من نَخْلٍ، فلقي جمعاً من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناس بعضهم بعضاً، فصلى النبي ﷺ ركعتي الخوف. وقال يزيد، عن سلمة: غزوت مع النبي ﷺ يوم القَرَدِ.

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بُرَيْد بن عبد الله بن أبي بُرْدَةَ، عن أبي بُرْدَة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ، ونحن سِتَّةُ نفرٍ، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، وكنا نلف على أرجلنا الخِرَق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، وحدَّث أبو موسى بهذا، ثم كره ذاك، قال: ما

كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه. وقد أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى ﷺ.

وقال البخاري في صحيحه: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن يزيد بن رُومان، عن صالح بن خواتٍ عمن شهد رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع، صلى صلاة الخوف أن طائفة صفَّت معه وطائفة وُجاهَ العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائماً، وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا، فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى، فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته، ثم ثبت جالساً، وأتموا لأنفسهم، ثم سلم بهم. وقال معاذ: حدثنا هشام، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: كنا مع النبي ﷺ بنخلٍ فذكر صلاة الخوف، قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف. تابعه الليث عن هشام، عن يزيد بن أسلم، أن القاسم بن محمد حدَّثه: صلى النبي ﷺ في غزة بني أنمار.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد القطَّان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن القاسم بن محمد، عن صالح بن خَوَّاتٍ، عن سهل بن أبي حَثْمَة، قال: يقوم الإمام مستقبل القبلة، وطائفة منهم معه، وطائفة من قِبَل العدو، وجوههم إلى العدو، فيصلي بالذين معه ركعة، ثم يقومون فيركعون لأنفسهم ركعة، ويسجدون سجدتين في مكانهم، ثم يذهب هؤلاء إلى مقام أولئك، فيركع بهم ركعة، فله ثنتان، ثم يركعون ويسجدون سجدتين.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن صالح بن خوات، عن سهل بن أبي حثمة، عن النبي ﷺ.

حدثني محمد بن عبيد الله قال: حدثني ابن أبي حازم، عن يحيى، سمع القاسم أخبرني صالح بن خوات، عن سهل حدثه قوله.

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سالم أن ابن عمر ﷺ قال: غزوت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد فوازينا العدو فصافقنا لهم.

حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ حدثنا معمر عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه، أن رسول الله ﷺ صلى بإحدى الطائفتين، والطائفة

الأخرى مواجهة العدو، ثم انصرفوا فقاموا في مقام أصحابهم، فجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ثم سلم عليهم، ثم قام هؤلاء فقضوا ركعتهم، وقام هؤلاء فقضوا ركعتهم.

حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني سنان، وأبو سلمة، أن جابراً أخبر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ.

حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن سليمان، عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن سنان بن أبي سنان الدُّؤَلي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاهِ، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَةٍ فعلَّق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا، فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالسٌ**»، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. وقال أبان: حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر، قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلَّق بالشجرة، فاخترطه، فقال: تخافني؟ قال: «**لا**» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**الله**»، فتهدده أصحاب النبي ﷺ وأُقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبي ﷺ أربع، وللقوم ركعتان.

وقال مسدد، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، اسم الرجل غَوْرَثُ بن الحارث، وقاتل فيها محارب خصفة. وقال أبو الزبير عن جابر: كنا مع النبي ﷺ بنخل فصلى الخوف، وقال أبو هريرة: صليت مع النبي ﷺ غزوة نجد، صلاة الخوف، وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفصل الخامس والثمانون

عمرة القضاء

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

قال الحاكم في الإكليل: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلَّ ذو القعدة (يعني سنة سبع) أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم (يعني التي صدهم المشركون عنها يوم الحديبية)، وألَّا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية، فخرجوا إلَّا من استشهد، وخرج معه آخرون معتمرين، فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان. اهـ. وقد كان من شروط صلح الحديبية: أن يعتمر النبي ﷺ وأصحابه بعد عام في مثل الشهر الذي صده المشركون عن العمرة فيه.

قال البخاري في صحيحه: باب عمرة القضاء، ذكره أنس عن النبي ﷺ.

حدثني عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه، قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نُقِرُّ بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: «**أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله**»، ثم قال لعلي: «**امح رسول الله**»، قال علي: لا والله، لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح، إلا السيف في القِرَاب، وأن لا يخرج من أهلها بأَحَدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليّاً، فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ، فتبعته ابنة حَمْزَةَ تنادي: يا عم! يا عم! فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك حملتها، فاختصم فيها عليٌّ

وزيد وجعفر، قال: عليٌّ: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»، وقال لعلي: «**أنت مني وأنا منك**»، وقال لجعفر: «**أشبهت خَلقي وخُلُقي**»، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»، وقال علي: ألاَ تتزوج بنت حمزة؟ قال: «**إنها ابنة أخي من الرضاعة**».

حدثني محمد بن رافع، حدثنا سُرَيْجٌ، حدثنا فُلَيْحٌ، وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، حدثنا فليح بن سليمان، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً، فحال كفار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل، ولا يحمل سلاحاً عليهم إلا سيوفاً، ولا يقيم بها إلَّا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل، فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثاً، أمروه أن يخرج فخرج.

حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور، عن مجاهد، قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جالس إلى حجرة عائشة، ثم قال: كم اعتمر النبي ﷺ؟ قال: أربعاً، إحداهن في رجب، ثم سمعنا استنان عائشة، قال عروة: يا أم المؤمنين! ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن: أن النبي ﷺ اعتمر أربع عُمَرٍ، إحداهن في رجب فقالت: ما اعتمر النبي ﷺ عُمْرَةً إلَّا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، سمع ابن أبي أوفى يقول: لما اعتمر رسول الله ﷺ، سترناه من غلمان المشركين، ومنهم، أن يؤذوا رسول الله ﷺ.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، هو ابن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يَقْدَمُ عليكم وفد وَهَنَهُمْ حُمَّى يثرب، وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا

الأشواط كلها إلَّا الإبقاء عليهم. وزاد ابن سلمة، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما قَدِمَ النبي ﷺ لعامه الذي استأمن، قال: «**ارملوا ليرى المشركون قوتهم، والمشركون من قِبَلِ قُعَيْقعَانَ**».

حدثني محمد، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة، ليرى المشركين قوته.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو مُحْرِمٌ وبنى بها وهو حَلَالٌ وماتت بسَرِفَ. وزاد ابن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح وأَبَانُ بن صالح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس، قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة في عُمْرَة القَضَاء.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السادس والثمانون

غزوة مؤتة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

أرسل رسول الله ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل إلى تخوم الشام في جمادى الآخرة سنة ثمان لإرهاب الروم، حتى لا يفكروا في غزو المدينة، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وأوصاهم بأنه إذا قُتل زيد، فالأمير جعفر بن أبي طالب، فإن قُتل، فعبد الله بن رواحة، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه قد جاء إلى المدينة مسلماً قبل ذلك بأشهر، وخرج في هذا الجيش، فسار المسلمون حتى نزلوا عند معان، وهي بين الحجاز والشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف مقاتل، وقد انضم إليهم من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبَلِيٍّ مائة ألف أخرى، فأقام المسلمون بمعان ليلتين، وقد ترددوا في لقاء هذا العدد الهائل من الروم وغيرهم، فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ـ وذكَّرهم بأنهم إنما ينتصرون بالله عز وجل ـ لا بكثرة العدد، وإنما هو النصر أو الشهادة في سبيل الله، ولما دنا العدو، انحاز المسلمون إلى قرية مؤتة من عمل البلقاء، فلما التقوا وبدأ القتال، كانت الراية في يد زيد بن حارثة، فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخرَّ صريعاً، فأخذها جعفر رضي الله عنه فقاتل بها حتى أرهقه القتال، فنزل عن فرسه فعقرها، ثم قاتل فقطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره، فاحتضن الراية حتى استشهد، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى استشهد، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، ويُذكر أنه جعل الميسرة ميمنة، والميمنة ميسرة، والمقدمة مؤخرة، والمؤخرة مقدمة، وغاير بين مواقع القادة ليلاً، فلما أصبح الصبح حسب الروم أن المسلمين جاءهم مدد من المدينة، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فعادوا إلى بلادهم، ورجع المسلمون إلى

المدينة، وقد أَخبر رسول الله ﷺ بالمدينة باستشهاد الأمراء الثلاثة في الوقت الذي استشهدوا فيه.

قال البخاري في صحيحه: باب غزوة مؤتة من أرض الشام. حدثنا أحمد، حدثنا ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبي هلال، قال: وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذٍ وهو قتيل، فَعَدَدْتُ به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، يعني في ظهره. أخبرنا أحمد بن أبي بكر، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعد، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قُتِلَ زيد فجعفر، وإن قُتِلَ جعفر فعبد الله بن رواحة**» قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية.

حدثنا أحمد بن واقد، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم.

حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الوهاب، قال: سمعت يحيى بن سعيد، قال: أخبرتني عَمْرَةُ، قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: لما جاء قتل ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ـ جلس رسول الله ﷺ يُعْرَفُ فيه الحزن، قالت عائشة: وأنا أَطَّلع من صائر الباب، تعني من شق الباب، فأتاه رجل، فقال: أي رسول الله! إن نساء جعفر، قال: وذكر بكاءهن، فأمره أن ينهاهن، قال: فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نَهَيْتُهُنَّ، وذَكَرَ أنه لم يُطِعنه، قال: فأمر أيضاً فذهب، ثم أتى فقال: والله لقد غلبننا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: «**فاحْثُ في أفواههن من التراب**»، قالت عائشة: فقلت: أرغَمَ الله أنفك، فوالله ما أنت تفعل، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء.

وقد أخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن سعيد، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها.

وقال البخاري في صحيحه: حدثني محمد بن أبي بكر، حدثنا عمر بن علي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، قال: كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية.

حدثني محمد بن المثنى، حدثنا يحيى، عن إسماعيل، قال: حدثني قيس، قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل السابع والثمانون

رسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك ورؤساء الدول

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

فقد كان من الآثار المباركة لصلح الحديبية أن رسول الله ﷺ شرع يدعو إلى الإسلام خارج الجزيرة العربية، فكتب إلى هرقل عظيم الروم، وإلى كسرى ملك فارس، وإلى المقوقس عظيم القبط، وإلى النجاشي ملك الحبشة، يدعوهم إلى الإسلام، ويحملهم مسؤولية إثم أتباعهم إذا لم يستجيبوا إلى الله ورسوله ﷺ. وقد كان لهذه الكتب أثر عظيم في نشر الإسلام، حيث صارت سبباً في إلقاء المهابة في قلوب الكفار في داخل الجزيرة العربية وخارجها، حتى أيقن أبو سفيان عندما دعاه هرقل ليسأله عن رسول الله ﷺ بعدما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، وقال هرقل ـ وأبو سفيان وتجار العرب بمجلسه يومئذ: فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلُص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، فلما سمع أبو سفيان ذلك من هرقل، قال لأصحابه عند خروجهم من مجلس هرقل: لقد أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ـ ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام، كما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبي سفيان. وقد ساق البخاري ومسلم لفظ كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبَّع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسيِّين، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما روى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله ـ تعالى ـ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ.

كما روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذَافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يُمَزَّقوا كُلَّ ممزق. اهـ. وعظيم البحرين في هذا الحديث هو منذر بن ساوي العبدي. كما أن رسول الله ﷺ كان قد بعث بكتابه إلى هرقل، مع دحية بن خليفة الكلبي، ليدفعه إلى عظيم بُصْرَى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، وعظيم بصرى هذا هو الحارث بن أبي شمر الغساني، وقد اختار رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي ليحمل كتابه إلى هرقل حيث كان دحية من أحسن الناس وجهاً، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ أحياناً في صورته.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثامن والثمانون

غزوة الفتح

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

تقدم في ذكر صلح الحديبية النص على أن من دخل في عهد محمد وعقده من العرب دخل فيه، ومن دخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه، وأن خزاعة دخلت في عهد رسول الله ﷺ وعقده، كما دخلت بنو بكر في عهد قريش وعقدهم.

وقد حدث أن عدت بنو بكر على خزاعة ونقضوا عهدهم، وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح، فنقضت العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى أتى رسول الله ﷺ وأنشده:

يا رب إني ناشدٌ محمدا — حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أباً وكنا ولدا — ثمَّت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أيِّدا — وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا — في فيلق كالبحر يجري مُزْبِدَا
أبيض مثل الشمس يسمو صُعُدا — إن سيم خسفاً وَجْهُهُ تَربَّدَا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا — ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا
هم بَيَّتُونا بالوتير هُجَّدا — وقَتَّلُونا رُكَّعاً وسُجَّدا
وزعموا أن لَسْتَ تدعو أحدا — وهم أذل وأقل عددا

فبشَّره رسول الله بالنصر عليهم، وتجهَّز ﷺ لفتح مكة، وحرص ﷺ أن لا يعلن توجهه إلى مكة، حتى لا يستعد أهلها لحربه، فتكثر مصائبهم وخسائرهم في

الأرواح، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يدخلوا في الإسلام دون كبير قتال، غير أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب كتاباً إلى أهل مكة، وبعثه مع جارية، فأعلم الله رسوله ﷺ بذلك، فبعث عليّاً والزبير والمقداد فأدركوا الجارية بروضة خاخ واستخرجوا الكتاب منها. وقد خرج رسول الله ﷺ بجيشه إلى مكة في اليوم العاشر من رمضان، في السنة الثامنة للهجرة النبوية.

قال البخاري في صحيحه: باب غزوة الفتح، وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ.

حدثنا قتيبة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، قال: أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يقول: سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها**»، قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنُلقينَّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: مِنْ حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب! ما هذا؟**» قال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأً مُلْصَقاً في قريش، يقول كنت حليفاً، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين، من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه قد صدقكم**»، فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع على من شهد بدراً، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» فأنزل الله السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

باب غزوة الفتح في رمضان

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس أخبره أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان، قال: وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك. وعن عبيد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ الكديد الماء الذي بين قُدَيْدٍ وعُسْفَانَ أفطر، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر.

حدثني محمود، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، قال: أخبرني الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مَقْدَمِهِ المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة، يصوم ويصومون، حتى بلغ الكَدِيدَ وهو ماءٌ بين عُسْفانَ وقُدَيْدٍ أفطر وأفطروا، قال الزهري: وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخِرُ.

حدثني عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا خالد عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حُنَيْنٍ والناس مختلفون، فصائم ومفطر، فلما استوى على راحلته، دعا بإناءٍ من لبن أو ماء فوضعه على راحته، أو على راحلته، ثم نظر إلى الناس، فقال المفطرون للصوام: أفطروا. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما خرج النبي ﷺ عام الفتح. وقال حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: سافر رسول الله ﷺ في رمضان، فصام حتى بلغ عُسْفَانَ، ثم دعا بإناء من ماء، فشرب نهاراً ليريه الناس، فأفطر حتى قدم مكة. قال: وكان ابن عباس يقول: صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر، فمن شاء صام، ومن شاء أفطر.

باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن أبيه، قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون، حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنها نيران عرفة، فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمروٌ أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطم الخيل، حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرَّت كتيبة، قال يا عباس! من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرَّت جُهَيْنَة، قال مثل ذلك، ثم مرَّت سعد بن هُذَيْمٍ، فقال مثل ذلك، ومرَّت سُلَيْم، فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عُبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس! حبذا يوم الذِّمار، ثم جاءت كتيبة، وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان، قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة، قال: «**ما قال؟**»، قال: كذا وكذا، فقال: «**كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**»، قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تُرْكَزَ رايته بالحجون، قال عروة: وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله! هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية، قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذٍ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة، من كَدَاءٍ، ودخل النبي ﷺ من كُدَا، فقُتِل من خيل خالد يومئذٍ رجلان حُبيش بن الأشعر، وكُرْزُ بن جابر الفِهْرِيُّ.

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال: سمعت عبد الله بن

مُغَفَّل يقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، يُرَجِّعُ، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعْتُ كما رجَّع.

حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا سعدان بن يحيى، حدثنا محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن علي بن حسين، عن عمرو بن عثمان، عن أُسامة بن زيد، أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله! أين تنزل غداً؟ قال النبي ﷺ: «**وهل ترك لنا عَقِيلٌ من منزلٍ**» ثم قال: «**لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن**». قيل للزهري: ومن ورث أبا طالب؟ قال: ورثه عقيل وطالب. قال معمر عن الزهري: أين تنزل غداً في حَجَّتِهِ، ولم يقل يونس حَجَّتُهُ، ولا زمن الفتح.

حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**منزلنا إن شاء الله إذا فَتَحَ الله الخَيْفُ حيث تقاسموا على الكفر**».

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، أخبرنا ابن شهاب، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله حين أراد حُنيناً: «**منزلنا غداً إن شاء الله بخَيْفِ بني كنَانَةَ، حيث تقاسموا على الكفر**».

حدثنا يحيى بن قَزَعَة، حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه المِغْفَرُ، فلما نَزَعَه جاء رجل فقال: ابن خَطَل مُتَعَلِّقٌ بأستار الكعبة، فقال: «**اقتله**»، قال مالك: ولم يكن النبي ﷺ فيما نُرَى والله أعلم يومئذٍ محرماً.

حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصبٍ، فجعل يطعنها بعودٍ في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

حدثني إسحاق، حدثنا عبد الصمد، قال: حدثني أبي، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت

وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال النبي ﷺ: «**قاتلهم الله، ما استقسما بها قط**»، ثم دخل البيت فكبَّر نواحي البيت وخرج ولم يُصَلِّ فيه. تابعه معمر عن أيوب، وقال وهيب: حدثنا أيوب عن عكرمة عن النبي ﷺ.

باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة

وقال الليث: حدثني يونس، قال: أخبرني نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته، مردفاً أسامة بن زيد ومعه بلال ومعه عثمان بن طلحة من الحَجَبَة، حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهاراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً، فسأله أين صلَّى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلَّى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة.

حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا حفص بن ميسرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كَدَاءٍ التي بأعلى مكة. تابعه أبو أسامة ووهيب في كداء.

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، دخل النبي ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كَدَاءٍ.

باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن ابن أبي ليلى، ما أخبرنا أحدٌ أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ، فإنها ذكرت أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، ثم صلى ثماني ركعاتٍ، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

بـــاب

حدثني محمد بن بشار، حدثنا غُنْدَرٌ، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**».

حدثنا أبو النُّعمان، حدثنا أبو عَوَانة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدْخِلُني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تُدْخِلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد عَلِمْتُمْ، قال: فدعاهم ذات يوم، ودَعَاني معهم، قال: وما رُؤِيتُهُ دعاني يومئذ إلَّا ليريهم مني، فقال: ما تقولون: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ﴾ [النصر: ١ ـ ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أُمِرْنَا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس: أَكَذَاكَ تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلَمَهُ الله له ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النّصر: ١]، فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النّصر: ٣]، قال عمر: ما أعلم منها إلَّا ما تعلم.

حدثنا سعيد بن شُرَحْبيل، حدثنا الليث، عن المقبري، عن أبي شُرَيْحٍ العدوي، أنه قال لعمرو بن سعيدٍ وهو يَبْعَثُ البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد يوم الفتح سَمِعَتْهُ أُذُناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن مكة حرَّمها الله، ولم يحرِّمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجراً، فإن أحد تَرَخَّص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له إن الله أَذِنَ لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أَذِنَ لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حُرْمَتُها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبِّلغ الشاهد الغائب**»، فقيل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح! إن الحرم لا يُعِيذُ عاصياً ولا فارّاً بدمٍ ولا فارّاً بخَرْبةٍ.

حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «**إن الله ورسوله حرَّم بيع الخمر**».

باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح

حدثنا أبو نُعَيْمٍ، حدثنا سفيان، حدثنا قَبِيصةُ، حدثنا سفيان، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن أنس رضي الله عنه قال: أقمنا مع النبي ﷺ عشراً نَقْصُرُ الصلاة.

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقام النبي ﷺ بمكة تسعةَ عشر يوماً يصلي ركعتين.

حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو شهاب، عن عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أقمنا مع النبي ﷺ في سفرٍ تسع عشرة نقصر الصلاة، وقال ابن عباس: ونحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا.

بـــاب

وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر، وكان النبي ﷺ قد مسح وجهه عام الفتح.

حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، عن معمر، عن الزهري، عن سُنَيْنٍ أبي جَمِيلَةَ، قال: أخبرنا، ونحن مع ابن المسيب، قال: وزعم أبو جميلة أنه أدرك النبي ﷺ وخرج معه عام الفتح.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو بن سلمة، قال: قال لي أبو قِلابة: ألا تلقاه فتسأله، قال: فلقيته فسألته، فقال: كنا بماءٍ مَمَرِّ الناس، وكان يمر بنا الركبان، فنسألهم: ما للناس؟ ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه، أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يُغْرَى في صدري، وكانت العرب تَلَوَّم بإسلامهم الفتح فيقولون: اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قومٍ بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما

قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقّاً، فقال: «**صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليُؤَذِّن أحدكم، وليؤمكم أكثرهم قرآناً**»، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لِمَا كنت أتلقَّى من الرُّكبان، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بُرْدَة كنت إذا سجدت تقلَّصَتْ عني، فقالت امرأة من الحي: أَلاَ تُغَطُّوا عنَّا اسْتَ قارئكم، فاشتروا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص.

حدثني عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ. وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة قالت: كان عتبة بن أبي وقَّاص عَهِدَ إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة، وقال عتبة: إنه ابني، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة، فأقبل به إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه عبد بن زمعة، فقال سعد بن أبي وقاص: هذا ابن أخي، عَهِدَ إليَّ أنه ابنه، قال عبد بن زمعة: يا رسول الله! هذا أخي، هذا ابن زمعة وُلِدَ على فراشه، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة، فإذا أشبه الناس بعُتْبَة بن أبي وقاص، فقال رسول الله ﷺ: «**هو لك، هو أخوك يا عبد بن زمعة، من أجل أنه وُلِدَ على فراشه**»، وقال رسول الله ﷺ: «**احتجبي منه يا سودة**» لِمَا رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص. قال ابن شهاب: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «**الولد للفِرَاشِ وللعاهر الحَجَرُ**». وقال ابن شهاب: وكان أبو هريرة يصيح بذلك.

حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، قال: أخبرني عُرْوَةُ بن الزبير، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد، يستشفعونه، قال عروة: فلما كلَّمه أسامة فيها، تلَوَّن وجه رسول الله ﷺ فقال: «**أتكلمني في حدٍّ من حدود الله**» قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشيُّ، قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم، أنهم كانوا**

إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة، فقُطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ.

حدثنا عمرو بن خالد، حدثنا زهير، حدثنا عاصم، عن أبي عثمان، قال: حدثني مُجَاشِعٌ، قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، قلت: يا رسول الله! جئتك بأخي لتُبايعه على الهجرة، قال: «**ذهب أهل الهجرة بما فيها**»، فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: «**أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد**» فلقيت أبا مَعْبَدٍ بعد وكان أكبرهما، فسألته، فقال: صَدَقَ مُجَاشِعٌ.

حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا الفُضَيْلُ بن سليمان، حدثنا عاصم، عن أبي عثمان النهدي، عن مجاشع بن مسعود، انطلقت بأبي معبدٍ إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة، قال: «**مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد**»، فلقيت أبا معبد، فسألته، فقال: صَدَقَ مُجاشِعٌ. وقال خالد: عن أبي عثمان، عن مجاشع، أنه جاء بأخيه مجالد.

حدثني محمد بن بشَّار، حدثنا غُنْدَرٌ، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد، قلت لابن عمر رضي الله عنهما: إني أريد أن أهاجر إلى الشام، قال: لا هجرة، ولكن جهاد، فانطلق فاعرض نفسك، فإن وجدت شيئاً وإلَّا رجعت. وقال النضر: أخبرنا شعبة، أخبرنا أبو بِشْرٍ، سمعت مجاهداً، قلت لابن عمر: فقال: لا هجرة اليوم أو بعد رسول الله ﷺ مثله.

حدثني إسحاق بن يزيد، حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثني أبو عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد بن جبر المكي، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول: لا هجرة بعد الفتح.

حدثنا إسحاق بن يزيد، حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثني الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، قال: زرت عائشة مع عبيد بن عُمَير، فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله وإلى

رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه، أما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونيَّة.

حدثنا إسحاق، حدثنا أبو عاصم، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: أخبرني حسن بن مُسْلِمٍ، عن مجاهد، أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح، فقال: «**إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحلل لي إلا ساعة من الدهر، لا يُنَفَّرُ صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يُختلى خلاها ولا تحل لُقَطَتُها، إلَّا لمُنْشِدٍ**» فقال العباس بن عبد المطلب: إلا الإذْخِرَ يا رسول الله! فإنه لا بدَّ منه لِلْقَيْنِ والبيوت، فسكت ثم قال: «**إلَّا الإذخر فإنه حلال**». وعن ابن جريج، أخبرني عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس بمثل هذا، أو نحو هذا، رواه أبو هريرة، عن النبي ﷺ.

وقال مسلم في صحيحه:

حدثنا شيبان بن فَرُّوخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا ثابت البُناني، عن عبد الله بن رباح، عن أبي هريرة، قال: وَفَدَت وفود إلى معاوية وذلك في رمضان، فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام، فكان أبو هريرة مما يُكثِرُ أن يدعونا إلى رَحْلِهِ، فقلت: أَلاَ أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحْلي، فأمرت بطعام يُصنع، ثم لقيت أبا هريرة من العشي، فقلت: الدعوة عندي الليلة، فقال: سبقتني، قلت: نعم، فدعوتهم، فقال أبو هريرة: ألاَ أُعلِّمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار! ثم ذكر فتح مكة، فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قَدِمَ مكة، فبعث الزبير على إحدى المُجَنِّبَتَيْن، وبعث خالد على المُجَنِّبَةِ الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّرِ، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة، قال: فنظر فرآني، فقال: «**أبو هريرة!**» قلت: لبيك يا رسول الله! فقال: «**لا يأتيني إلَّا أنصاري**» زاد غير شيبان، فقال: «**اهتف لي بالأنصار**» قال: فأطافوا به، ووَبَّشَتْ قريش أوباشاً لها وأتباعاً، فقالوا: نُقَدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أُصيبوا أعطينا الذي سُئلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**تَرَوْنَ إلى أوباش قريش وأتباعهم**» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: «**حتى تُوافُوني بالصفا**»، قال:

فانطلقنا، فما شاء أحد منا أن يَقْتُل أحداً إلَّا قتله، وما أحد منهم يُوَجِّه إلينا شيئاً، قال: فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله! أُبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل، فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأنصار!**» قالوا: لبيك يا رسول الله! قال: «**قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته**»، قالوا: قد كان ذاك، قال: «**كلَّا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم**»، فأقبلوا إليه يبكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلَّا الضِّنَّ بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم**»، قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم، قال: وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحَجَرِ فاستلمه، ثم طاف بالبيت، قال: فأتى على صَنَمٍ إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**» فلما فرغ من طوافه، أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو. وحدثنيه عبد الله بن هاشم، حدثنا بهز، حدثنا سليمان بن المغيرة، بهذا الإسناد، وزاد في الحديث: ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «**احصدوهم حصداً**»، وقال في الحديث: قالوا: قلنا: ذاك يا رسول الله! قال: «**فما اسمي إذاً، كلَّا إني عبد الله ورسوله**».

حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت عن عبد الله بن رباح، قال: وفدنا إلى معاوية بن أبي سفيان وفينا أبو هريرة، فكان كل رجل منا يصنع طعاماً يوماً لأصحابه، فكانت نوبتي فقلت: يا أبا هريرة! اليوم نوبتي، فجاؤوا إلى المنزل، ولم يدرك طعامنا، فقلت: يا أبا هريرة، لو حدثتنا عن رسول الله ﷺ حتى يدرك طعامنا،

فقال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى، وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادي، فقال: «**يا أبا هريرة! ادع لي الأنصار**» فدعوتهم، فجاؤوا يهرولون فقال: «**يا معشر الأنصار! هل ترون أوباش قريش**» قالوا: نعم، قال: «**انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً**» وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال: «**موعدكم الصفا**»، فما أشرف يومئذٍ لهم أحد إلَّا أناموه، قال: وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار، فأطافوا بالصفا، فجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله! أُبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»، فقالت الأنصار: أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قريته، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ، قال: «**قلتم أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قريته، أَلَا فما اسمي إذاً ـ ثلاث مرات ـ أنا محمد عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم**»، قالوا: والله ما قلنا إلا ضنّاً بالله ورسوله، **قال**: «**فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم**».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعمرو الناقد وابن أبي عمر (واللفظ لابن أبي شيبة) قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله، قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نُصُباً، فجعل يطعنها بعود كان بيده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]. زاد ابن أبي عمر يوم الفتح.

وحدثناه حسن بن علي الحلواني، وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، بهذا الإسناد، إلى قوله: «**زهوقاً**» ولم يذكر الآية الأخرى، وقال بدل نُصُباً «صنماً».

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مُسْهِر، ووكيع عن زكرياء عن

الشعبي، قال: أخبرني عبد الله بن مطيع، عن أبيه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول يوم فتح مكة: «**لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم، إلى يوم القيامة**».

حدثنا ابن نمير حدثنا أبي، حدثنا زكرياء، بهذا الإسناد، وزاد: قال ولم يكن أسلم أحدٌ من عصاة قريش، غير مطيع، كان اسمه العاصي، فسمَّاه رسول الله ﷺ مطيعاً.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التاسع والثمانون

غزوة حنين وأوطاس والطائف

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

بعد أن أتمّ الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ فتح مكة، جلس بعد الفتح تسعة عشر يوماً، وقد بلغه أن هوازن وثقيفاً اجتمعوا لحربه ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم، وقصد إلى حنين، وقد كان المشركون قد نزلوا بأوطاس، وأوطاس وادٍ في ديار هوازن من أودية الطائف قرب حنين، وحنين وادٍ قريب من الطائف بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلاً قرب ذي المجاز. وكان المسلمون اثني عشر ألف مقاتل، وكان المشركون أربعة آلاف مقاتل تحت راية مالك بن عوف النصري، وقد جلبوا معهم نساءهم وأطفالهم وأموالهم لئلا يفروا، وقد خرج معهم بنو جشم وبنو سعد بن بكر وأوزاع من بني هلال وهم قليل، وقد اغترَّ بعض المسلمين يومها ـ وهو سلمة بن سلام بن وقش ـ حتى قال: لن نغلب اليوم من قلة، فلما سمع رسول الله ﷺ هذه المقالة كره ذلك كراهة شديدة، وقد ذكر الله ﷻ خلاصة هذه المعركة حيث قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

قال البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل، رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربة قال ضُرِبتها مع النبي ﷺ يوم حنين، قلت: شهدت حنيناً؟ قال: قبل ذلك.

حدثنا محمد بن كثير، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء رضي الله عنه وجاءه رجل فقال: يا أبا عُمارة! أتوليت يوم حنين؟ فقال: أمَّا أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يُوَلِّ، ولكن عَجلَ سَرَعانُ القوم، فرَشَقَتْهُمْ هَوَازِنُ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء، يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قيل للبراء وأنا أسمع: أَوَلَّيْتُم مع النبي ﷺ يوم حنين؟ فقال: أمَّا النبي ﷺ فلا، كانوا رُماةً، فقال: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

حدثني محمد بن بشَّار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع البراء، وسأله رجل من قيس: أَفَرَرْتُمْ عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكنَّ رسول الله ﷺ لم يَفِرَّ، كانت هوزان رُماة، وإنَّا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم، فاستُقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بزمامها وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب**». قال إسرائيل وزهير: نزل النبي ﷺ عن بغلته.

حدثنا سعيد بن عُفَيْر قال: حدثني ليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، وحدثني إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، قال محمد بن شهاب: وزعم عروة بن الزبير أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوزان مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**معي من ترون، وأحب الحديث إليَّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين، إما السبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم**»، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة، حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غيرُ رادٍ إليهم إلَّا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنَّا نختار سبينا، فقام

رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد، فإن إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا، فليفعل**»، فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا، هذا الذي بلغني عن سبي هوزان**».

حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، أن عمر قال يا رسول الله! حدثني محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قفلنا من حُنين، سأل عمر النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكاف، فأمره النبي ﷺ بوفائه، وقال بعضهم: حماد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، ورواه جرير بن حازم، وحماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ.

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن عمر بن كثير بن أفلح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة، عن أبي قتادة قال: خرجنا مع النبي ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين، قد علا رجلاً من المسلمين، فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف، فقطعت الدرع، وأقبل عليَّ فضمني ضمَّة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر، فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجل ثم رجعوا، وجلس النبي ﷺ فقال: «**من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلبُهُ**»، فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت فقلت: من يشهد لي، ثم جلست، قال: ثم قال النبي ﷺ مثله، فقمت، فقال مالك: يا أبا قتادة! فأخبرته، فقال رجل صدق وسَلَبُهُ عندي، فأرضه مني، فقال أبو بكر: لاها الله، إذاً لا يعمد إلى أسدٍ، من أُسد الله، يقاتل عن الله ورسوله ﷺ، فيعطيك سَلَبَهُ، فقال النبي ﷺ: صدق فأعطه، فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه

لأول مال تأثلته في الإسلام. وقال الليث حدثني يحيى بن سعيد، عن عمر بن كثير بن أفلح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة، أنا أبا قتادة، قال: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين، يقاتل رجلاً من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمّاً شديداً حتى تخوفت ثم ترك، فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**من أقام بيّنة على قتيل قتله فله سَلَبُهُ**»، فقمت لألتمس بيِّنة على قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ، فقال رجل من جلسائه سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطه أُصيبغ من قريش ويدع أسداً من أُسد الله، يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إليَّ فاشتريت منه خرافاً، فكان أول مالٍ تأثلته في الإسلام.

باب غزاة أوطاس

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبته رماه جُشَمي بسهم، فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه، فقلت: يا عمِّ من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحي، ألا تثبت، فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتَلَ الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي! أقرئ النبي ﷺ السلام، وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر

أبي عامر، وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء، فتوضأ ثم رفع يديه فقال: «**اللهم اغفر لعبيدٍ أبي عامر، ورأيت بياض إبطيه**»، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**»، فقلت: ولي فاستغفر فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً**»، قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى.

باب غزوة الطائف

في شوال سنة ثمانٍ، قاله موسى بن عقبة: حدثنا الحميدي، سمع سفيان، حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب ابنة أبي سلمة، عن أمها أم سلمة رضي الله عنها دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مخنث، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية: «**يا عبد الله! أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان**»، وقال النبي ﷺ: «**لا يدخلن هؤلاء عليكن**»، قال ابن عيينة: وقال ابن جريج: المخنث هيتٌ.

حدثنا محمود، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بهذا، وزاد وهو محاصر الطائف يومئذ.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي العباس الشاعر الأعمى، عن عبد الله بن عمرو، قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف، فلم ينل منهم شيئاً، قال: «**إنا قافلون إن شاء الله**»، فثقل عليهم، وقالوا: نذهب ولا نفتحه، وقال مرة: نقفل، فقال: «**اغدوا على القتال**»، فغدوا فأصابهم جراح، فقال: «**إنا قافلون غداً إن شاء الله**»، فأعجبهم، فضحك النبي ﷺ. وقال سفيان مرَّةً فتبسم. قال: قال الحميدي: حدثنا سفيان الخبر كله.

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعداً، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وأبا بكرة، وكان تسور حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ، فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: «**من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلم، فالجنة عليه حرام**»،

وقال هشام: وأخبرنا معمر، عن عاصم، عن أبي العالية، أو أبي عثمان النهدي، قال: سمعت سعداً وأبا بكرة، عن النبي ﷺ، قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال: أجل، أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف.

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة، بين مكة والمدينة، ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني، فقال له: «**أبشر**»، فقال: قد أكثرت عليَّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «**ردَّ البُشْرَى، فاقبلا أنتما**»، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومَجَّ فيه، ثم قال: «**اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا**»، فأخذا القدح، ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبر أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه، قال: فبينا النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيبٍ، فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بالطيب، فأشار عمر إلى يعلى بيده أن تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه، فإذا النبي ﷺ مخمر الوجه، يغط كذلك ساعة، ثم سرى عنه، فقال: «**أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً؟**» فالتمس الرجل فأتى به، فقال: «**أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مراتٍ، وأما الجبة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك**».

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، عن عبد الله بن زيد بن عاصم، قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار! ألم**

أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟»، كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ، قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**» قال: كلما قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أَمَنَّ، قال: «**لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ناس من الأنصار، حين أفاء الله على رسوله ﷺ: ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً، ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «**ما حديث بلغني عنكم**» فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله! فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي ﷺ: «**فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به**»، قالوا: يا رسول الله! قد رضينا، فقال لهم النبي ﷺ: «**ستجدون أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ، فإني على الحوض**»، قال أنس: فلم يصبروا.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس، قال: لما كان يوم فتح مكة، قسم رسول الله ﷺ غنائم بين قريش فغضبت الأنصار، قال النبي ﷺ: «**أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ** قالوا: بلى، قال: **لو سلك الناس وادياً أو شعباً، لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم**».

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر، عن ابن عون، أنبأنا هشام بن زيد بن أنس، عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين، التقى هوزان ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء، فأدبروا، قال: «**يا معشر الأنصار!**» قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك، لبيك، نحن بين يديك، فنزل النبي ﷺ، فقال: «**أنا عبد الله ورسوله، فانهزم المشركون، فأعطى الطلقاء والمهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئاً**»، فقالوا: فدعاهم فأدخلهم في قبة، فقال: «**أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ؟**» فقال النبي ﷺ: «**لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً، لاخترت شعب الأنصار**».

حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر حدثنا شعبة، قال: سمعت قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جمع النبي ﷺ ناساً من الأنصار، فقال: «**إن قريشاً حديث عهد بجاهلية، ومصيبةٍ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم**» قالوا: بلى، قال: «**لو سلك الناس وادياً، وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار**».

حدثنا قَبيصة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار: ما أراد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فتغير وجهه، ثم قال: «**رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن منصور عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أُريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال: «**رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**».

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا ابن عون، عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين أقبلت

هوزان وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف، ومن الطلقاء فأدبروا عنه حتى بقي وحده، فنادى يومئذٍ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «**يا معشر الأنصار!**» قالوا: لبيك يا رسول الله! أبشر، نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: «**يا معشر الأنصار!**» قالوا: لبيك يا رسول الله! أبشر، نحن معك، وهو على بَغْلَةٍ بيضاء، فنزل فقال: «**أنا عبد الله ورسوله**»، فانهزم المشركون فأصاب يومئذٍ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة، فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة، فقال: «**يا معشر الأنصار! ما حديث بلغني عنكم**»، فسكتوا، فقال: «**يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم**» قالوا: بلى، فقال النبي ﷺ: «**لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار**»، فقال هشام: يا أبا حمزة! وأنت شاهد ذاك، قال وأين أغيب عنه.

وقال مسلم في صحيحه: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب، قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكُفُّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس! نادِ أصحاب السَّمُرَةِ**» فقال عباس(وكان رجلاً صيّتاً): فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن

الخزرج! فنظر رسول الله ﷺ وهو في بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ هذا حين حمي الوطيس، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد**» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً.

وحدثناه إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد، جميعاً عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري بهذا الإسناد نحوه، غير أنه قال: فروة بن نعامة الجذامي، وقال: «**انهزموا ورب الكعبة، انهزموا ورب الكعبة**» وزاد في الحديث: حتى هزمهم الله، قال: وكأني أنظر إلى النبي ﷺ يركض خلفهم على بغلته.

وحدثناه ابن أبي عمر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، قال: أخبرني كثير بن العباس عن أبيه، قال: كنت مع النبي ﷺ يوم حنين، وساق الحديث، غير أن حديث يونس، وحديث معمر أكثر منه وأتم.

حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو خيثمة، عن أبي إسحاق، قال: قال رجل للبراء: يا أبا عمارة! أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولَّى رسول الله ﷺ، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسَّراً ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رُماةً لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوزان وبني نصر فرشقوهم رشقاً، ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر وقال: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**» ثم صفهم.

حدثنا أحمد بن جناب المصيصي، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكرياء، عن أبي إسحاق، قال جاء رجل إلى البراء: فقال: أكنتم ولَّيتم يوم حنين يا أبا عمارة! فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولَّى، ولكنه انطلق أخفَّاء من الناس وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوزان وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود

به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزِّل نصرك**»، قال البراء: كنا والله إذا احمَرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ.

وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء، وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله ﷺ لم يفر، وكانت هوزان يومئذٍ رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**».

وحدثني زهير بن حرب، ومحمد بن المثنى، وأبو بكر بن خلَّاد، قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، قال: حدثني أبو إسحاق، عن البراء، قال: قال له رجل: يا أبا عمارة! فذكر الحديث، وهو أقل من حديثهم وهؤلاء أتم حديثاً.

وحدثنا زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمتُ فأعلو ثنيَّةً فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم، فتوارى عني فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنيَّةٍ أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ، فولَّى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزماً وعليَّ بردتان متزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد رأى ابن الأكوع فَزَعاً**» فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوجوه**»، فما خلق الله منهم إنساناً إلَّا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وابن نمير جميعاً عن سفيان، قال زهير: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو عن أبي العباس الشاعر الأعمى، عن عبد الله بن عمرو قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينل منهم شيئاً، فقال: «**إنا قافلون إن شاء الله**» قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اغدوا على القتال**» فغدوا عليه، فأصابهم جراح، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غداً**» قال: فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله ﷺ. اهـ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل التسعون

غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

تبعد تبوك عن المدينة المنورة شمالاً بحوالي سبعمائة «كيلومتر»، وكان خروج رسول الله ﷺ إليها في رجب من السنة التاسعة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلَّا ورَّى بغيرها، لكن لما كان خروجه ﷺ إلى تبوك في لهيب الحر، وشدة القيظ، وقلة الظهر، وندرة الزاد، حتى سمى الله ﷻ وقت خروج المسلمين إلى غزوة تبوك ﴿سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [التّوبَة: ١١٧]، وقد سمى الجيش الخارج إليها «جيش العسرة»، حيث اجتمع عليهم عسرة الحر، وعسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد، مع أنهم يسافرون إلى جهة بعيدة، ويستقبلون سفراً طويلاً ومفازاً وعدواً كثيراً من بني الأصفر، أي الروم؛ لذلك كله جَلَّى رسول الله ﷺ للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، وأنه قاصد إلى قتال الروم نحو تبوك، وقد استجاب المسلمون لدعوة رسول الله ﷺ، وأخذوا يتهيؤون للخروج مع رسول الله ﷺ، يعدون لسفرهم هذا ما استطاعوا، وقد حضّ رسول الله ﷺ المؤمنين على النفقة في جيش العسرة، وتجهيزه، فسارعوا بقدر ما استطاعوا إلى ذلك.

وقد عنون البخاري في صحيحه فقال: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه، وقال النبي ﷺ: **«من يحفر بئر رومة فله الجنة، فحفرها عثمان»**، وقال: **«من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان» اهـ.**

وقد حاول المنافقون أن يتظاهروا بعدم قدرتهم على الخروج إلى تبوك بدعاوى كاذبة واعتذارات واهية كما أشار إلى ذلك ـ تبارك وتعالى ـ في قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التّوبَة: ٩٠]، وقد بلغ الحال ببعض المؤمنين الذين لم يجدوا ما يحملهم إلى تبوك للجهاد في سبيل الله، فـ ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التّوبَة: ٩٢] وقد روى مسلم صورة من صور العسرة في الزاد يوم تبوك، فقد أخرج في صحيحه في كتاب الإيمان من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد ـ شك الأعمش ـ قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادّهنا؟ فقال رسول الله ﷺ «**افعلوا**»، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله! إن فعلت قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعلّ الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: «**خذوا في أوعيتكم**»، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيحجب عن الجنة**».

كما روى مسلم في صحيحه ما يدل على شح الماء في غزوة تبوك، فقد أخرج في صحيحه من حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي**».

وقد ساق البخاري في صحيحه قصة غزوة تبوك فقال: باب غزوة تبوك، وهي غزوة العسرة.

حدثني محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحُمْلَانَ لهم، إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك، فقلت: يا نبي الله! إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «**والله لا أحملكم على**

شيء»، ووافقته وهو غضبان، ولا أشعر، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه عليَّ، فرجعت إلى أصحابي، فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلَّا سويعة، إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبد الله بن قيس! فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ، يدعوك، فلمَّا أتيته قال: «**خذ هذين القرينين** ـ وهذين القرينين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذٍ من سعد ـ **فانطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله ـ أو قال: إن رسول الله ﷺ ـ يحملكم على هؤلاء فاركبوهن**»، فانطلقت إليهم بهن، فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ، فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق، ولنفعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم، حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم، ثم إعطائهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبوموسى.

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، عن الحَكَم، عن مصعب بن سعدٍ، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليّاً، فقال: أَتُخَلِّفُنِي في الصبيان والنساء؟ قال: «**أَلاَ ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه ليس نبي بعدي**»، وقال أبو داود: حدثنا شعبة عن الحكم، سمعت مصعباً.

حدثنا عبيد الله بن سعيد، حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج، قال: سمعت عطاء يخبر، قال: أخبرني صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه، قال: غزوت مع النبي ﷺ العسرة، قال: كان يعلى يقول: تلك الغزوة أوثق أعمالي عندي، قال عطاء، فقال صفوان: قال يعلى: فكان لي أَجِيرٌ فقاتل إنساناً فعضَّ أحدهما يد الآخر، قال عطاء: فلقد أخبرني صفوان أيهما عض الآخر، فنسيته، قال: فانتزع المعضوض يده من في العاض، فانتزع إحدى ثنيتيه، فأتيا النبي ﷺ فأهدر ثنيته، قال عطاء: وحسبت أنه قال: قال النبي ﷺ: «**أفيدع يده في فيك تقضمها كأنها في فحلٍ يقضمها**».

حديث كعب بن مالك، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التّوبَة: ١١٨].

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالكٍ، وكان قائد كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ غزوة غزاها إلَّا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم، على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أُحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قَبْلَه راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلَّا وَرَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ولا يجمعهم كتاب حافظ؛ يريد الديوان، قال: كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنَّ أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا، وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يُقَدَّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلَّا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عَذَرَ الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل

كعب؟»، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه بُرْادَهُ ونَظَرُهُ في عِطفِهِ، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلَّا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلَّمت عليه تبسم تبسم المُغضب، ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «**ما خلَّفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**»، فقمت وثار رجال بني سلمة، فاتَّبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مُرَارَةُ بن الرَّبيعِ العَمْرِيُّ وهلال بن أميَّة الواقِفيُّ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه،

فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكَّرَت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأَجلَدَهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وآتي رسول الله ﷺ فأُسَلِّم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا، ثم أُصَلِّي قريباً منه، فأُسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليَّ فسلمت عليه، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة! أنشدك بالله، هل تَعْلَمُني أُحبُّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسوَّرت الجدار، قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدِمَ بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدُلُّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من مَلِك غسَّان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالْحَق بنا نواسكَ، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التَّنُّور فسَجَرْتُهُ بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أُطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أُمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه، قال: «**لا، ولكن لا يقربك**» قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذِنَ لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني

ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب، فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليَّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أَوْفَى على جبلِ سَلْع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك! أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجل فرساً وسعى ساعٍ من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس،فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنُّوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ، جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّاني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك**»، قال: قلت: أمِنْ عندك يا رسول الله! أم من عند الله؟ قال: «**لا، بل من عند الله**»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قِطْعَةُ قمرٍ، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحدِّث إلَّا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ

عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التّوبَة: ٩٦]، قال كعب: وكنا تخلّفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التّوبَة: ١١٨] وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقَبِلَ منه.

(نزول النبي ﷺ الحِجْرَ):

حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مرّ النبي ﷺ بالحِجْر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين**»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

حدثنا يحيى بن بُكير، حدثنا مالك، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحِجْرِ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المُعَذَّبِينَ إلَّا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم مثل ما أصابهم**».

بـــاب

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن عروة بن المغيرة عن أبيه المغيرة بن شعبة، قال: ذهب النبي ﷺ لبعض حاجته، فقمت أسكب عليه الماء لا أعلمه إلَّا قال في غزوة تبوك، فغسل وجهه وذهب يغسل ذراعيه، فضاق عليه كمُّ الجُبَّةِ، فأخرجهما من تحت جبته، فغسلهما، ثم مسح على خُفَّيه.

حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان، قال: حدثني عمرو بن يحيى، عن عباس بن سهل بن سعد، عن أبي حميد، قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «**هذه طَابَةُ، وهذا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحبُّنَا ونُحِبُّهُ**».

حدثنا أحمد بن محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: «**إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم**»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حسبهم العذر**». **اهـ**.

وقد رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في أواخر رمضان، بعد أن أقام بتبوك نحو عشرين ليلة، ولم يلق كيداً، فقد كان خروجه ﷺ إلى تبوك عامل ردع للروم وغيرهم، فلم يجرؤوا على ملاقاته ﷺ، وعندما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، خرج الغلمان يتلقونه عند ثنية الوداع، فرحين مستبشرين، فقد أخرج البخاري، عن السائب بن يزيد، قال: أذكر أني خرجت مع الغلمان إلى ثنية الوداع نتلقى رسول الله ﷺ مقدمه من غزوة تبوك.

هذا وقد أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ على رسوله محمد ﷺ في شوال من السنة التاسعة سورة التوبة، وقد قصّ الله عز وجل فيها أحوال المنافقين الذين تخلّفوا عن رسول الله ﷺ يوم تبوك، وفضح أسرارهم، وكشف أستارهم، وأخزاهم، وذكر مسجد الضرار الذي أقامه المنافقون قرب مسجد قباء، واتخذوه مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، ونهى الله عز وجل رسوله ﷺ عن الصلاة فيه، وأشاد عز وجل بمسجد قباء الذي أُسس على التقوى من أول يوم، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٨]، وقال عن جيش العسرة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

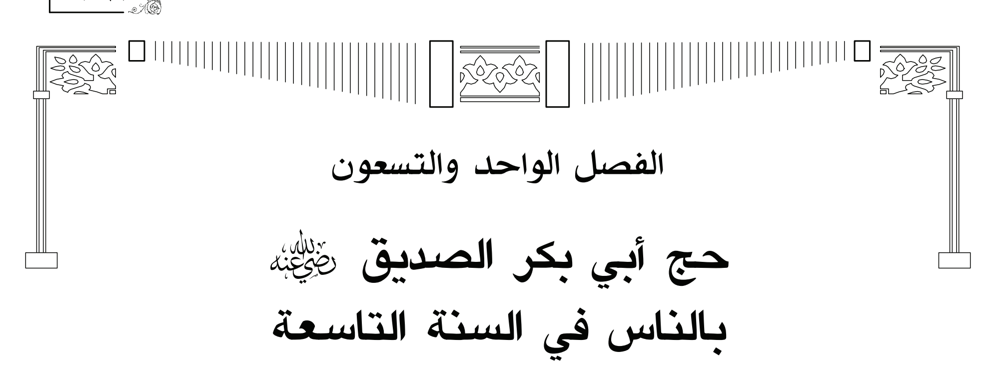
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله ﷻ: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١].

هذا وقد كانت غزوة تبوك آخر غزوة خرج فيها رسول الله ﷺ لقتال أعداء الله.

وقال البخاري: باب كم غزا النبي ﷺ، ثم ساق بسنده إلى أبي إسحاق، قال: سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة، قلت: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة، ثم ساق البخاري بسنده إلى أبي إسحاق، حدثنا البراء رضي الله عنه قال: غزوت مع النبي ﷺ خمس عشرة، ثم ساق البخاري بسنده إلى ابن بريدة، عن أبيه قال: غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الواحد والتسعون

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس في السنة التاسعة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك في أواخر رمضان، ونزول سورة التوبة في أوائل شوال من السنة التاسعة، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج في هذه السنة، ليعلن في الموسم براءة الله ورسوله من المشركين، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون تحت إمرة أبي بكر رضي الله عنهما ويساعده في إعلان هذه البراءة من المشركين، فقد قال البخاري في صحيحه في تفسير سورة التوبة من صحيحه:

باب قوله: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]، آذنهم أعْلمَهم.

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني عقيل، قال ابن شهاب: فأخبرني حميد بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين، يعني يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذَّن معنا عليٌّ في أهل منى يوم النحر ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه من طريق ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة، قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها

رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال ابن شهاب: فكان حميد بن عبد الرحمن يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة. اهـ.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثاني والتسعون

حجة الوداع في السنة العاشرة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد:**

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله ﭬ أن رسول الله ﷺ مكثَ بالمدينة تسع سنين لم يحج، ثم أذَّنَ في الناس بالحج في العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشرٌ كثيرٌ، فخرجنا معه، حتى إذا أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «**اغتسلي واستثفري بثوب، وأحرمي**». فصلى رسول الله ﷺ في المسجد، ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، أهلَّ بالتوحيد: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**». قال جابر: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فطاف سبعاً، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، فصلى ركعتين، فجعل المقام بينه وبين البيت. وفي رواية: أنه قرأ في ركعتين: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافِرون: ١]، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلمَّا دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٥٨]، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحَّد الله وكبَّره، وقال:

«**لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلَّا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**». ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات. ثم نزل ومشى إلى المروة حتى انصبَّت

قدماه في بطن الوادي، ثم سعى، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طواف على المروة، نادى وهو على المروة والناس تحته فقال: «**لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أسُق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي، فليحل وليجعلها عمرة**». فقام سُراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله**!** ألعامنا هذا أم لأبدٍ؟ فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة في الأخرى، وقال: «**دخلت العمرة في الحج مرتين، لا، بل لأبد أبدٍ**»، وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْنِ النبي ﷺ، فقال له: «**ماذا قلت حين فرضت الحج؟**» قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهلَّ به رسولك. قال: «**فإن معي الهدي، فلا تحل**». قال: فكان جماعة الهدي الذي قدِمَ به عليٌّ من اليمن، والذي أتى به النبي ﷺ مائة. قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا، إلا النبي ﷺ ومع كان معه هدي، فلما كان يوم التروية، توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب النبي ﷺ، فصلى بها الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقُبَّة من شعر تُضرب له بنَمِرة، فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضُربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس، وقال: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، أَلاَ كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ـ وكان مسترضعاً في بني سعد فقتله هُذَيلٌ ـ ورِبا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما**

أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**» ثلاث مرات، ثم أذَّن بلالٌ، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يُصلِّ بينهما شيئاً، ثم ركب حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القَصْواء إلى الصخرات، وجعل حبل المُشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، حتى غاب القرص، وأردف أسامة، ودفع حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء، بأذان واحد وإقامتين، ولم يُسَبِّح بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه، وكبَّره، وهلّله، ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى عليّاً، فنحر ما غبر، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطُبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى على بني عبد المطلب، يسقون على زمزم، فقال:

«**انزعوا بني عبد المطلب! فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**»، فناولوه دلواً فشرب منه.

كما روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع، فمنا من أهلَّ بعمرة، ومنا من أهلَّ بحج، فلما قدمنا مكة، قال رسول الله ﷺ:

«**من أهلَّ بعمرة ولم يُهْدِ فليحلل، ومن أحرم بعمرة وأهدى فليُهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما**».

وفي رواية:

«**فلا يحل حتى يحلَّ بنحر هديه، ومن أهل بحج فليتم حجه**»، قالت: فحِضْتُ، ولم أطف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، فلم أزل حائضاً حتى كان يوم عرفة، ولم أُهْلِلْ إلَّا بعمرة، فأمرني النبي ﷺ أن أنقض رأسي وأمتشط وأُهلَّ بالحج، وأترُك العمرة، ففعلت حتى قضيتُ حجي، بعث معي عبد الرحمن بن أبي بكر، وأمرني أن أعتمر مكان عمرتي من التنعيم. قالت: فطاف الذين كانوا أهلُّوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم حلُّوا، ثم طافوا طوافاً بعد أن رجعوا من مِنى. وأما الذين جمعوا الحج والعمرة، فإنما طافوا طوافاً واحداً.

هذا ولم يتعجل رسول الله ﷺ، فأقام بمنى ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ولم يفض من منى إلا بعد رمي الجمرات بعد زوال الشمس من آخر أيام التشريق. وأمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ليطوفوا طواف الوداع، وخفف عن الحائض.

وقد نزل رسول الله ﷺ بالأبطح بعد رجوعه من منى، وبعد طواف الوداع نفر إلى المدينة المنورة، وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما كان منزلاً ينزله النبي ﷺ ليكون أسمح لخروجه، تعني الأبطح.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الثالث والتسعون

وفاة رسول الله ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

قال البخاري في صحيحه: باب مرض النبي ﷺ ووفاته، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١]، وقال يونس عن الزهري، قال عروة: قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانُ وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**».

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبد الله، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن أم الفضل بنت الحارث، قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله.

حدثنا محمد بن عَرْعَرَة، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدْني ابن عباس، فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النّصر: ١]. فقال: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال ما أعلم منها إلا ما تعلم.

حدثنا قتيبة، حدثنا سفيان، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس يوم الخميس، وما يوم الخميس اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تَنَازع، فقالوا: ما شأنه، أَهَجَرَ، استفهموه، فذهبوا يردون عليه، فقال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه**»، وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين**

من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم»، وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: «**هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده**»، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا**»، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولَغَطهم.

حدثنا يَسَرَةُ بن صفوان بن جميل اللخمي، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قُبِضَ فيه، فسارَّها بشيء، فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء، فضحكت، فسألنا عن ذلك، فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يُقْبَض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه، فضحكت.

حدثني محمد بن بشار، حدثنا غُنْدَرٌ، حدثنا شعبة، عن سعد، عن عروة، عن عائشة، قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النِّساء: ٦٩] الآية. فظننت أنه خُيِّرَ.

حدثنا مسلم، حدثنا شعبة، عن سعد، عن عروة، عن عائشة، قالت: لمَّا مَرِضَ النبي ﷺ المرض الذي مات فيه، جعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**».

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعيب عن الزهري، قال عروة بن الزبير: إن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يُقْبَض نبي قط، حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُحَيَّا أو يُخَيَّر**»، فلما اشتكى وحضره القبض، ورأسه

على فخذ عائشة غُشِي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»، فقلت: إذاً لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

حدثنا محمد، حدثنا عفان، عن صخر بن جويرية، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ، وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأَبَدَّه رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك فقصمته، ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ، فاستنَّ به، فما رأيت رسول الله ﷺ استنَّ استناناً قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ، رفع يده أو إصبعه، ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثاً، ثم قضى، وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي.

حدثني حبان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة، أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نَفَثَ على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه.

حدثنا معلَّى بن أَسَدٍ، حدثنا عبد العزيز بن مختار، حدثنا هشام بن عروة، عن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، أن عائشة أخبرته أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت، وهو مسند إليَّ ظهره يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق**».

حدثنا الصلت بن محمد، حدثنا أبو عوانة، عن هلال الوزَّان، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قالت عائشة: لولا ذلك لأبرز قبره، خشي أن يتخذ مسجداً.

حدثنا سعيد بن عُفَيْرٍ، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن

يُمَرَّض في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج وهو بين الرجلين، تَخُط رِجْلَاه في الأرض، بين عباس بن عبد المطلب، وبين رجل آخر. قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري مَن الرجل الآخر الذي لم تُسم عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو عَليٌّ، وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تُحَدِّث أن رسول الله ﷺ لمَّا دخل بيتي واشتد به وجعه قال: «**هريقوا عليَّ من سبع قِرَبٍ، لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إلى الناس**»، فأجلسناه في مِخْضَبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصُبُّ عليه من تلك القِرَب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، قالت: ثم خرج إلى الناس، فصلى لهم وخطبهم. وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يُحَذِّر ما صنعوا. أخبرني عبيد الله أن عائشة قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يُحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر. رواه ابن عمر، وأبو موسى، وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ.

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، قال: حدثني ابن الهاد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: مات النبي ﷺ وإنه لبَيْنَ حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ.

حدثني إسحاق، أخبرنا بشر بن شُعيب بن أبي حمزة، قال: حدثني أبي عن الزهري، قال: أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ـ وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ـ أنَّ عبد الله بن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن! كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاثٍ عبدُ العصا، وإني

والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ، فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال عليٌّ: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ.

حدثنا سعيد بن عُفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عُقَيْل عن ابن شهاب، قال: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلَّا رسول الله ﷺ قد كشف سِتْرَ حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ، أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

حدثني محمد بن عبيد، حدثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن أبا عمرو ذكوان مولى عائشة، أخبره أن عائشة كانت تقول: إن من نِعَمِ الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن، وبيده السواك، وأنا مُسْنِدَةٌ رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت أُلَيِّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته، وبين يديه ركوةٌ أو عُلْبَةٌ ـ يشك عمر ـ فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبِض ومالت يده.

حدثنا إسماعيل قال: حدثني سليمان بن بلال، حدثنا هشام بن عروة، أخبرني أبي، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «**أين أنا غداً، أين أنا غداً**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم

الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن! فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ، فاستن به وهو مستند إلى صدري.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري، وكانت إحدانا تعوِّذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه فرفع رأسه إلى السماء وقال: «**في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى**»، ومرَّ عبد الرحمن بن أبي بكر، وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه النبي ﷺ فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها فمضغت رأسها، ونفضتها فدفعتها إليه، فاستن بها كأحسن ما كان مستناً، ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْحِ حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حِبَرَةٍ، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين. أما الموتة التي كُتِبَت عليك فقد مُتَّها. قال الزهري: وحدثني أبو سلمة، عن عبد الله بن عباس، أن أبا بكر خرج وعمر يُكلِّم الناس، فقال: اجلس يا عمر! فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ، فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت. قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس

إلَّا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلَّا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرْتُ حتى ما تُقِلُّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات.

حدثني عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، وابن عباس أن أبا بكر رضي الله عنه قَبَّل النبي ﷺ بعد موته.

حدثنا عليٌّ، حدثنا يحيى، وزاد: قالت عائشة: لَدَدْنَاه في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تَلُدُّوني، فقلنا: كَرَاهيةُ المريض للدواء، فلما أفاق قال: «**ألم أنهكم أن تلُدُّوني**» قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «**لا يبقى أحدٌ في البيت إلَّا لُدَّ، وأنا أنظر إلَّا العباس، فإنه لم يشهدكم**». رواه ابن أبي الزِّناد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ.

حدثنا عبد الله بن محمد، أخبرنا أزهر أخبرنا ابن عون، عن إبراهيم، عن الأسود، قال: ذُكِرَ عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى عليّ، فقالت: من قاله: لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمُسْنِدَتُهُ إلى صدري فدعا بالطَّسْتِ فانْخَنَثَ، فمات فما شعرت فكيف أوصى إلى عليّ.

حدثنا أبو نُعَيم، حدثنا مالك بن مِغْوَلٍ، عن طلحة، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقلت: كيف كُتِبَ على الناس الوصية، أو أُمِرُوا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله.

حدثنا قتيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث، قال: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلَّا بغلته البيضاء، التي كان يركبها وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة.

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن ثابت، عن أنس، قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: وَاكَرْبَ أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه! من

جنَّةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن، قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب.

باب آخر ما تكلم النبي ﷺ:

حدثنا بشر بن محمد، حدثنا عبد الله، قال يونس: قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم، أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يُقْبَض نبي حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخَيَّرَ، فلما نزل به ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: اللهم الرَّفيق الأعلى**»، فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا، وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: «**اللهم الرفيق الأعلى**».

باب وفاة النبي ﷺ

حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ لَبِثَ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً.

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ تُوَفِّي وهو ابن ثلاث وستين. قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب مثله.

باب

حدثنا قَبِيصَةُ، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوُفي النبي ﷺ ودِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عند يهودي بثلاثين.

وإلى الفصل القادم إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





الفصل الرابع والتسعون

اجتماع المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ومبايعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **أما بعد**:

أخرج البخاري رَحِمَهُ اللهُ هذا الحديث مطولاً في باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، من طريق ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، قال: كنت أُقْرِئ رجالاً من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب، في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؟ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فَلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فَمُحَذِّرُهُمْ هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل، فإن الموسم يجمع رَعَاعَ الناس وَغَوغَاءَهُم، فإنهم هم الذين يغلُبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يُطَيِّرُهَا عنك كلُّ مُطَيِّر، وأن لا يعوهَا، وأن لا يَضَعُوهَا على الفِقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تَمَسُّ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فلم أنشَبْ أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلاً، قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: لَيَقُولَنَّ العَشِيَّةَ مَقَالَةً لم يَقُلْهَا مُنذُ استُخْلِفَ.

فأنكر عليَّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقالة قد قُدِّرَ لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فَلْيُحَدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحِلُّ لأحد أن يكذب عليَّ. إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحَبَلُ، أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم، فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم، ألا ثُمَّ إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُطْرُوني كما أطري عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله**»، ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً، فلا يَغْتَرَّنَّ امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، أَلاَ وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وَقَى شرَّها، وليس منكم من تُقْطَعُ الأعنَاقُ إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تَغِرَّةَ أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيَّهُ ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر! انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالى عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا أمركم، فقلت: والله لَنَأْتِيَنَّهُمْ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمَّلٌ بين ظَهْرَانَيْهِمْ، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عُبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يُوعَكُ، فلما جلسنا قليلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُم، فأثنى على الله بما هو

أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفَّت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يَحْضُنُونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زَوَّرْتُ مَقَالَة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رِسْلِك، فكرهت أن أُغْضِبَهُ، فتكلم أبو بكر، فكان هو أَحْلَمَ مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري، إلَّا قال في بَدِيهَتِهِ مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعْرَف هذا الأمر إلَّا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رَضِيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقي لا يُقَرِّبُني ذلك من إثم أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلَّا أن تُسَوِّلَ إليَّ نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن، فقال قائل الأنصار: أنا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، فكَثُرَ اللَّغَطُ، وارتفعت الأصوات، حتى فَرِقْتُ من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبَايعْتُهُ وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونَزَونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قَتَلَ الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساداً، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يُتَابَعُ هو ولا الذي بايعه تَغِرَّةَ أن يُقْتَلَا.

كما أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح، قال إسماعيل: يعني بالعَالِيَةِ، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلَّا ذاك، وليبعثنَّه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقَبَّلَهُ، قال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حيّاً وميتاً، والذي نفسي

بيده لا يُذِيقكَ الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف! على رِسْلِكَ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه، وقال: أَلَا من كان يعبد محمداً ﷺ، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنَشَجَ الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلَّا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حُبابُ بن المنذر: لا والله، لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله. وقال عبد الله بن سالم، عن الزبيدي، قال عبد الرحمن بن القاسم: أخبرني القاسم أن عائشة رضي الله عنها قالت: شَخَصَ بصر النبي ﷺ، ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثاً، وقصَّ الحديث، قالت: فما كانت من خُطْبَتِهِما من خُطْبَةٍ إلَّا نفع الله بها، لقد خوَّف عمر الناس، وإن فيهم لِنفَاقاً فردَّهم الله بذلك، ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناس الهدى وعرَّفهم الذي عليهم، وخرجوا به يَتْلُون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولا شك أن أبا بكر رضي الله عنه حريٌّ بهذه الخلافة، وهو أولى الناس بها بعد رسول الله ﷺ، فهو صدِّيق هذه الأمة، وخليل رسول الله ﷺ، وقد تضافر

الكتاب والسُّنَّة على الثناء على الصديق رضي الله عنه، فهو صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، حيث يقول عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، فهذه الآية من أعظم الشواهد الكثيرة على علو منزلة أبي بكر رضي الله عنه ولم ينص على صحبة أحد لرسول الله ﷺ في القرآن الكريم غير أبي بكر رضي الله عنه كما أشار الله عز وجل إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ في القرآن الكريم في قوله عز وجل في سورة الفتح: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]، حيث كانت هذه الآية توبيخاً للذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ من الأعراب في غزوة تبوك، فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، صاروا يعتذرون لرسول الله ﷺ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يخبرهم بأنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد لا خيار لهم إلا بالإسلام أو السيف، وهذا لم يكن إلَّا في المرتدين بعد رسول الله ﷺ، وكان الداعي لقتالهم أبا بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ، فلو لم تكن طاعته واجبة لما وعد مطيعيه بالأجر العظيم وتوعد من لم يجبه بالعذاب الأليم. ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ لم يحارب مشركين ولا مرتدين بعد نزول هذه الآية؛ لأن ما عدا المشركين والمرتدين يخيرون بين الإسلام أو السيف أو الجزية، فهذه الشواهد القطعية تقصم ظهور أهل الأهواء المنكرين لخلافة أبي بكر رضي الله عنه وصديقيته. قال الإمام البغوي في تفسيره: قال الحسين بن الفضل: من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر، لإنكاره نصّ القرآن، وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعاً ولا كافراً. وقوله عز وجل: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [التّوبَة: ٤٠] لم يكن حزن أبي بكر جبناً منه، وإنما كان إشفاقاً على رسول الله ﷺ. اهـ.

ومن شواهد السُّنَّة النبوية، أن رسول الله ﷺ عيَّنه أميراً للحج في السنة

التاسعة، وذكر رسول الله ﷺ أموراً في شأن أبي بكر رضي الله عنه تجعل كل من يسمعها بقلب سليم يوقن بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر، مما جعل المجتمعين في سقيفة بني ساعدة يختارونه خليفة رسول الله ﷺ منها:

١ ـ قوله ﷺ قبيل موته: «**سدوا الأبواب إلَّا باب أبي بكر**» رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ ـ كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إنَّ الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخْبِر رسولُ الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنَا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخَذْت أبا بكر، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام ومودته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر**».

٣ ـ كما روى البخاري من حديث جُبَيْر بن مطعم قال: أتت امرأةٌ النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرأيتَ إن جئت ولم أجدك؟ ـ كأنها تقول الموت ـ قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأْتي أبا بكر**».

٤ ـ كما روى البخاري من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**». قلتُ: ثم مَنْ؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**»، فعدَّ رجالاً.

٥ ـ كما روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينما راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاةً فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السَّبُع يوم ليس لها راعٍ غيري، وبينما رجلٌ يسوق بقرة قد حَمَلَ عليها فالتفتت إليه فكلَّمته فقالت: إني لم أُخْلَقْ لهذا، ولكني خُلِقْتُ للحرث**»، قال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «**فإني أُؤمِنُ بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب**» رضي الله عنهما.

٦ ـ كما روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتُني على قليب، عليها دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة، فنزع منها ذَنُوباً أو ذَنُوبَيْن، وفي نزعه ضَعْفٌ والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابن الخطاب فلم أَرَ عبقرياً من الناس يَنْزِعُ نَزْعَ عمر، حتى ضرب الناس بعطنٍ**». وقد روى البخاري نحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٧ ـ كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقفٌ في قوم، فَدَعُوا الله لعمر بن الخطاب وقد وُضِعَ على سريره إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مِرْفَقَهُ على مَنْكِبِي يقول: رحمك الله، إن كنتُ لأرجو أن يجعلك اللهُ مع صاحبيك، لأني كثيراً ما كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**كنت أنا وأبا بكر وعمر، وفَعَلْتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر**»، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فَالْتَفَتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب.

٨ ـ كما روى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فقال: «**اسكُنْ أُحُد** ـ أظنه ضربه برجله ـ **فليس عليك إلَّا نبي وصِدِّيقٌ وشهيدان**».

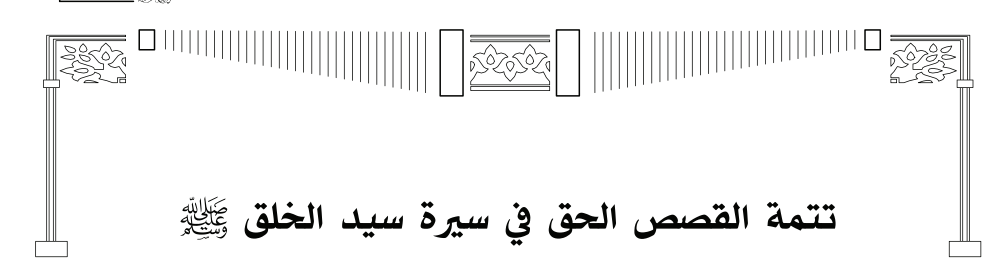
٩ ـ وهي من أبرز الشواهد وأظهرها على تقديم أبي بكر رضي الله عنه على جميع الصحابة، حِرصُ رسول الله ﷺ على أن يأمر بأن يصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس عندما اشتد المرض به ﷺ، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن المهاجرين والأنصار قالوا عن أبي بكر رضي الله عنه: رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا، فقد روى البخاري في صحيحه في باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ثم أخرج من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». قالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، قال: «**مُروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فعادت، فقال: «**مُري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكُنَّ صواحب يوسف**»، فأتاه الرسولُ فَصَلَّى بالناس في حياة النبي ﷺ، ثم ساق البخاري من طريق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «**مروا أبا بكر يصلي بالناس**»، قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسْمِع الناسَ من البكاء، فمُر عمر فليصل للناس، فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسْمِع الناس من البكاء، فمُر عمر فليصل للناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «**مَه، إنكن لأَنْتُنَّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس**»، فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منك خيراً.

وقد استمرَّ أبو بكر رضي الله عنه إماماً للمهاجرين والأنصار، بأمر رسول الله ﷺ فقد روى البخاري من طريق الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري، وكان تَبِعَ النبي ﷺ وخَدَمَهُ وَصَحِبَهُ أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يومُ الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقةُ مُصْحَفٍ، ثم تبسم يضحك، فَهَمَمْنَا أن نَفْتَتِنَ من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه لِيَصِلَ الصفّ، وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر، فتوفي ﷺ من يومه. اهـ.

وهذا آخر ما أردت إيراده من القصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ، والحمد لله رب العالمين، وقد تمَّ تحريره ليلة الخميس الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

عبد القادر شيبة الحمد
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العُليا
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف



تتمة القصص الحق في سيرة سيد الخلق ﷺ

زوجات الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل المرسلين وخاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعنَّا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد.. فهذه تكملة لما قد فاتنا في القصص الحق في سيرة سيد الخلق ﷺ في قصص أزواج رسول الله ﷺ ورضي عنهن أجمعين.

قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٥].

بعد أن أكد الله ﷻ أن الدين الحق هو دين الإسلام، وأن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، وأن من مات على غير الإسلام لن يدفع العذابَ عنه شيءٌ ولو كان له مثل ملء الأرض ذهباً وافتدى به من عذاب الله ما تُقُبِّل منه، وأن الذي ينتفع بما ينفق هو المسلم المستقيم على الحنيفية ملة إبراهيم، وعرَّف المسلمين فضل نفقتهم مما يحبون، وقد أثار اليهود لعنهم الله ﷻ شبهاً حيث قالوا للنبي ﷺ: إذا كنت على ملة إبراهيم فلماذا تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها وقد كانت محرمة على إبراهيم؟ وأرادوا بإثارة هذه الشبهة الداحضة الخاطئة أيضاً إنكار النسخ في الشرائع، وأن ما حُرِّم على الناس كان محرماً عليهم من لدن آدم عليه السلام، كما أرادوا إثارة الشبهة حول صلة إبراهيم عليه السلام بالعرب، وأنكروا أن يكون إبراهيم هو الذي بنى البيت الحرام بمكة.

وكانت هذه الشبه التي أثاروها سبباً في خزيهم، وتعريف الأمم بجهالتهم وافترائهم على الله وعلى رسله؛ إذ صاروا كالشاة التي بحثت عن حتفها بظلفها، حيث أعلن ﷻ للعالمين صدق رسوله ﷺ، وأنه علَّمه ما لم يكن يعلمُه هو ولا قومه، وعرَّف المسلمين بأنهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأقام الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة المخزية لليهود، إذ قرر ﷻ أن سائر الأطعمة ومنها لحوم الإبل وألبانها التي أباحها الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ وللمسلمين كانت مباحة لإبراهيم عليه السلام ولذريته من أبناء إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وتحداهم أن يأتوا من التوراة التي بأيديهم بدليل واحد بأن لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة على إبراهيم عليه السلام، وأفهمهم أن تحريمها إنما صدر من إسرائيل عليه السلام، حيث حرمها على نفسه لسبب من الأسباب التي دعته إلى ذلك، وقد يكون حرمها على نفسه ازدلافاً إلى الله ﷻ وهو يحبها، كما حرم رسول الله ﷺ العسل على نفسه وهو يحبه، وتتضح بهذا المناسبةُ بين قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] وبين قوله ﷻ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣]، غير أنه في الشرائع السماوية السابقة كان إذا حلف الإنسان ألا يأكل طعاماً معيناً صار هذا الطعام محرماً عليه طول عمره ولا كفارة له، وقد تفضل الله تبارك وتعالى فخفف على أمة محمد ﷺ، حيث شرع لهم الكفارة وفرض لهم تحلة أيمانهم كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١، ٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وما كان مباحاً قبل اليمين إذا حلف الرجل عليه لم يَصِر حراماً، بل له أن يفعله ويكفّر عن يمينه، وما لم يكن واجباً فعله إذا حلف عليه لم يصر واجباً عليه، بل له أن يكفّر يمينه ولا يفعله، ولو غلّظ في اليمين بأي شيء غلظها، فأيمان الحالفين لا تغير شرائع الدين، وليس لأحد أن يحرم بيمينه ما أحله الله، ولا يوجب بيمينه ما لم يوجبه الله، هذا هو شرع محمد ﷺ، وأما شرع من قبله فكان في شرع بني إسرائيل إذا حرّم الرجل

شيئاً حَرُم عليه، وإذا حلف ليفعلن شيئاً وجب عليه، ولم يكن في شرعهم كفارة، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ فإسرائيل حرم على نفسه شيئاً فحرم عليه. وقال الله تعالى لنبينا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ١، ٢]، وهذا الفرض هو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ ـ ٨٩].

ولهذا لمّا لم يكن في شرع من قبلنا كفارة، بل كانت اليمين توجب عليهم فعل المحلوف عليه، أمر الله أيوب أن يأخذ بيده ضِغْثاً فيضرب به ولا يحنث؛ لأنه لم يكن في شرعه كفارة يمين، ولو كان في شرعه كفارة يمين كان ذلك أيسر عليه من ضرب امرأته ولو بضغث. اهـ.

والتقييد بقوله ﷻ: ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾؛ لأنه بعد إنزال التوراة على موسى عليه السلام حرّم الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وكما قال ﷻ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

وبهذا يتضح جهل أهل الكتاب بكتابهم، وينبلج الحق المصدق لرسول الله ﷺ وما علمه الله ﷻ من خواص شريعة أهل الكتاب وأسرارهم، وصارت شبههم سبباً في إعلاء راية الإسلام وبيان فضله كما قال الشاعر:

وإذا أراد اللّـه نشر فضيلةٍ   طُوِيَت أتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عَرْف العودِ

وبهذا يتضح أن النسخ الذي ينكر اليهودُ ـ قبّحهم الله ـ جوازَه قد وقع في شرائع أنبيائهم، فهم لا يستطيعون إنكار أن آدم عليه السلام قد شرَّع الله له أن يزوج بناته من بنيه ثم حرم الله ذلك بعد ذلك، وأن التسري على الزوجة كان مباحاً في شريعة إبراهيم عليه السلام حيث تسرّى هاجر على سارة رضي الله عنها ثم حرم في بعض شرائع بني إسرائيل، وأن الجمع بين الأختين قد أبيح ليعقوب عليه السلام ثم جاء تحريمه بعد ذلك في التوراة التي بأيديهم.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ أي: إن كنتم صادقين في أن لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة على إبراهيم عليه السلام فهاتوا التوراة واقرؤوها من أولها إلى آخرها إن شئتم، وأظهروا لنا نصاً واحداً منها يصدقكم في دعواكم أن لحوم الإبل وألبانها كانت محرمة على إبراهيم عليه السلام، وهذا برهان من أبرز البراهين وأجلاها وأسطعها على أن اليهود كذبة فجرة لا يتورعون عن الكذب على الله وعلى أنبيائه ورسله، وأن النبي الأمي محمداً ﷺ قد أعلمه الله وأطلعه على خفايا أسرار التوراة التي بيد اليهود والنصارى، وأن علماء وأحبار أهل الكتاب الذين كذبوا رسول الله ﷺ وأثاروا الشبه للصد عن سبيل الله كانوا كمثل الحمار يحمل أسفاراً، ولم ينقل أحد قط أن اليهود حاولوا أن يجيئوا بالتوراة، وإنما اندحروا خاسئين.

وهذا التحدي بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ غير التحدي الذي تحداهم به رسول ﷺ لما تحاكموا إليه في أمر الرجل والمرأة الزانيين من اليهود، وسألهم رسول الله ﷺ عن حكم الزناة في التوراة، وقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال: فأتوا بالتوراة، فإنهم جاؤوا يومها بالتوراة وقرأها رجل منهم لكنه حاول إخفاء نص التوراة في الزناة، حيث وضع يده على آية الرجم، فقد روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال

عبد الله بن سلام رضي الله عنه: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة. وقد أورد البخاري هذه القصة في مواضع من صحيحه بألفاظ متقاربة، حيث أورده في المناقب والحدود والتوحيد والتفسير، وجعله في التفسير في باب قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ولا شك أن قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ لم يكن في قصة اليهوديين الزانيين، بل كان في قصة دعوى اليهود تحريم لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم عليه السلام، ولعل البخاري رحمه الله قد أورد هذا الحديث عند تفسيره لمجرد قوله في الحديث في بعض ألفاظه: فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، والمعروف عن البخاري رحمه الله أنه قد يورد الحديث في موضع من صحيحه لأدنى مناسبة، والظاهر أن نزول هذه الآية كان متقدماً على قصة هذا الحديث، فذكر عبد الله بن سلام رضي الله عنه هذا اللفظ مستفيداً من لفظ الآية الكريمة، وليس قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ دليلاً على صحة الاحتجاج بكل ما في التوراة التي بيد اليهود والنصارى لعنهم الله؛ بل المراد فضح اليهود وبيان كذبهم على الله وعلى رسله، والاستشهاد عليهم ببعض النصوص المطابقة لملة إبراهيم التي انحرفوا عنها، ولم يُصِبْها تحريفُهم الذي وقعوا فيه.

وقوله عز وجل: ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٤] هو وعيد شديد لليهود الذين يفترون على الله الكذب، ويقولون على الله وعلى أنبيائه ما لا علم لهم به، أو ما يعلمون أنهم مفترون فيه على الله وعلى رسله، وقوله: ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد ظهور هذه الحجة القاهرة الدالة على صدق رسول الله ﷺ، حيث أخبر أحبار اليهود بأنه لا يوجد دليل واحد على أن إبراهيم كان يحرم لحوم الإبل وألبانَها، وأمرهم أن يأتوا بالتوراة

التي بأيديهم ويقرؤوها لإثبات ما يدعونه على إبراهيم فاندحروا، وبهتوا، ولم يحاول واحد منهم أن يستجيب ويحضر التوراة، فعلم قطعاً أن هذا العلم الذي علّمه الله للنبيّ الأميّ هو وحيٌ من الله ﷻ الذي يعلم الغيب والشهادة.

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء اليهود المفترين على الله ورسله: إن خبر الله هو الخبر الصادق، وإن قوله هو القول الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فسارعوا يا معشر أهل الكتاب، ويا من يدعي كذباً وزوراً أنه على ملة إبراهيم إلى الاستجابة لمحمد ﷺ لتصيروا حقاً على ملة إبراهيم، وادخلوا في دين الإسلام الذي هو الحق الذي لا مرية فيه، وهو المنهج الذي لم يأت نبي ولا رسول بأكمل ولا أبين ولا أوضح ولا أتم منه، الصالح لكل زمان ومكان وعصر ومصر إلى قيام الساعة، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقد ذكر بعض الناس في سبب نزول سورة التحريم أن رسول الله ﷺ كان يطوف على نسائه كل ليلة، يبدأ بأبعدها بيتاً عن عائشة، فإذا دخل على الواحدة منهن لاطفها، ثم يخرج إلى الثانية وهكذا، حتى يصل إلى حجرة التي لها الليلة، وأنه دخل على جاريته أم إبراهيم، وأنه وطئها ليلة غيرها، وأنه حدثته عائشة وحفصة فأبلغهما أنه حرّم الجارية على نفسه، وهذا خبر مختلق مكذوب، وهما تعلمان أنه كان يحب الحلواء والعسل، وكان يدخل على بيت زينب بنت جحش فيطيل الإقامة عندها، وعلمتا أنه كانت تسقيه عسلاً، ويعلمان أن المغافير لها طعم العسل وريحها نتن، فاتفقتا وأبلغتا سودة بنت زمعة أنه إذا دخل على واحدة منهن قالت له: إني أشم منك ريح المغافير، فقال: «**لم آكل مغافير، وإنما سقتني زينب عسلاً وقد حرمته على نفسي**»، فأنزل الله السورة، وفيها رفع الحرج عن أمة محمد، حيث كان لا كفارة للأيمان عندهم كما قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ﴾ وهذا من أعظم الأمور التي تبين تكريم الله لأمة محمد حيث شرع لهم كفارة اليمين.

ما ذكر أن حفصة كانت تسقي رسول الله ﷺ عسلاً مخالف لما روى والدها

عمر رضي الله عنه أن التي كانت تسقي رسول الله هي زينب بنت جحش، كما روي في البخاري في الأحاديث رقم (٤٧٢٣)، ورقم (٤٧٢٥)، ورقم (٤٧٢٦) أن التي سقت رسول الله العسل هي زينب بنت جحش، والمعلوم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان القرآن ينزل بتأييد رأيه كما في قصة أسرى بدر، حتى قال رسول الله ﷺ: «**لو نزل عذاب من السماء ما نجى منه إلا عمر**». وأشار رسول الله ﷺ إلى أن الشيطان يهرب من عمر، ولو أن عمر سلك طريقاً لسلك الشيطان طريقاً آخر.

أما سودة لم تحسب في المتظاهرات؛ لأنها كانت منقادة لأمر عائشة رضي الله عنها ومهابة لها.

زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام على الترتيب:

١ ـ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

٢ ـ سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

٣ ـ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها.

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها.

٥ ـ زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(وقد تزوجها في أواخر السنة الثالثة من الهجرة).

٦ ـ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

(وقد تزوجها في أوائل السنة الرابعة من الهجرة).

(من تزوج الرسول بعد السنة السابعة للهجرة).

٧ ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها.

٨ ـ أم سلمة بنت أبي أمية رضي الله عنها.

وكان أبوها يطلق عليه (زاد الركب)

٩ ـ زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها.

١٠ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

١١ ـ صفية بنت حيي القرظية رضي الله عنها.

مارية القبطية أم إبراهيم رضي الله عنها (جارية).

وقد سألني بعض الناس لماذا لم تذكرها في زوجات النبي ﷺ؟ هي ليست زوجة للنبي ﷺ فهي جارية أرسلها المقوقس ملك مصر لتكون جاسوسة على النبي ﷺ مع أخت لها فأخذها النبي ﷺ وأهدى أختها لرجل من أصحابه.

لما حاصر عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة بلبيس وكانت فيها أرمانوسة بنت المقوقس عظيم القبط بعد إرسال رسول الله ﷺ رسالة إلى المقوقس يدعوه فيها إلى الإسلام، وكانت أرمانوسة نائمة وعندها راهب يقال له: شطا والوصيفة، فاستيقظت على صياحهما يقولان: ويلٌ لك يا أرمانوسة من هؤلاء الجزارين إنهم كالحمر، فقالت: لا، إن أبي لما أرسل إليه الرسول يدعوه إلى الإسلام بعث أبي إليه بهدية جاريتين هما مارية وأختها، فأرسلت مارية كتاباً إلى أبي تقول له: إن نبيهم أُمِّيّ، وقد جاء بكتاب أعجز البشر، وأن أصحاب محمد ﷺ أطهر من السحابة قبل نزولها إلى الأرض، وأن نساء أصحاب محمد ﷺ إن كانت المرأة تخاف على نفسها من أبيها لا تخاف على نفسها من أصحاب محمد.

وأرسلت الراهب إلى عمرو تعرّفه بمكانها، وأنها ترغب منه أن يوصلها إلى أبيها، فأخبرها أنه سيرسل لها قبل وصول الشمس إلى كبد السماء، فلما جاء الموعد جاءها أربعة رجال واتجهوا بها إلى منف، فلما زالت الشمس تقدم أحدهم فأذن، فقالت: أرمانوسة ما هذا يا شطا؟ قال: ينادون إلى الصلاة، قالت: أوَ يحملون كنائسهم على ظهورهم؟

قال: هذا دينهم حتى يفتحوا الدنيا، قالت: أربعة آلاف يفتحون الدنيا؟ قال: من كان هذا دينهم يفتحون الدنيا.. هذا وقد ولدت مارية لرسول الله إبراهيم، وقد زعم بعض الناس أن النبي ﷺ وطئ مارية على فراش إحدى نسائه، ولما أحست الزوجة بذلك حرَّم مارية عليه وهذا باطل.

ومن المعلوم قصة زواج رسول الله ﷺ بخديجة رضي الله عنها، وقصة تأثر

رسول الله ﷺ بوفاتها، وقد ذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في (الإصابة): أن خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ زوجة عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، قالت: أفلا أخطب عليك؟ قال: بلى، قال: فإنكن معشر النساء أرفق بذلك، فخطبت عليه سودة بنت زمعة وعائشة فتزوجهما، فبنى بسودة بمكة، وعائشة يومئذ بنت ست سنين حتى بنى بها بعد ذلك حين قدم المدينة.

وأخرجه ابن أبي عاصم موصولاً، وأخرج الترمذي عن ابن عباس بسند حسن: أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: لا تطلقني وأمسكني وأجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

وأخرجه ابن سعد من حديث عائشة من طرق في بعضها أنه بعث إليها بطلاقها، وفي بعضها أنه قال لها: اعتدي، والطريقان مرسلان، وفيهما أنها قعدت على طريقه فناشدته أن يراجعها وجعلت يومها وليلتها لعائشة.

ففعل، ومن طريق معمر قال: بلغني أنها كلمته، فقالت: ما بي على الأزواج من حرص، ولكني أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجاً لك.

وفي «الصحيح» عن عائشة: استأذنت سودة رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة ـ يعني: ثقيلة ـ فأذن لها، ولأن أكون استأذنته أحبُّ إليّ من مفروح به.

وصح عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما من الناس أحد أحبُّ إليَّ أن أكون في مسلاخها من سودة إن بها إلا حدة فيها، وقال ابن سعد: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: قالت سودة لرسول الله ﷺ: صليت خلفك الليلة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم، فضحك، وكانت تضحكه بالشيء أحياناً.

وهذا مرسل رجاله رجال الصحيح، وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن محمد بن سيرين أن عمر بعث إلى سودة بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه، قالوا: دراهم، قالت: في غرارة مثل التمر، ففرقتها. وروى ابن المبارك في

«الزهد» من مرسل أبي الأسود يتيم عروة أن سودة قالت: يا رسول الله، إذا متنا صلّى لنا عثمان بن مظعون حتى تأتينا أنت، فقال لها: «**يا بنت زمعة لو تعلمين علم الموت لعلمت أنه أشد مما تظنين**». وقال ابن أبي خيثمة: توفيت سودة بنت زمعة في آخر زمان عمر بن الخطاب، ويقال: ماتت سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي. روى عنها ابن عباس ويحيى بن عبد الرحمٰن بن أسعد بن زرارة.

دخل رسول الله ﷺ على عائشة ﵂، فوجد عندها فاطمة الزهراء ﵂، وسمع صوت عائشة مرفوعاً على فاطمة فقال: «**يا عائشة، ألا تدعين لي فاطمة وأنا لك كأبي زرع لأم زرع؟**» فقالت: بأبي أنت وأمي، ما أبو زرع وأم زرع؟

وقد أورد البخاري عن عروة، عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

قالت الأولى: زوجي لحمُ جملٍ غثّ على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبثّ خبرَه، إني أخاف أن لا أذرَه، إن أذكره أذكر عُجرَه وبُجرَه.

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق، إن أنطق أُطلَّق، وإن أسكت أُعلَّق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حرٌّ ولا قرٌّ ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فَهِدَ، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لَفَّ، وإن شرب اشتفَّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليعلم البثّ.

قالت السابعة: زوجي غياياء ـ أو عياياء ـ طباقاء، كل داء له داء، شَجَّك أو فلَّك أو جمع كلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زَرنَب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النِّجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك، مالكٌ خيرٌ من ذلك، له إبل كثيرات المَبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المِزهر، أيقنَّ أنهنّ هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع، أناس من حليٍّ أذنيَّ، وملأ من شحم عضدي، وبجَّحني فبَجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غُنَيمةٍ بشقٍّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائسٍ ومُنَقٍ، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبّح، واشرب فأتقنح.

أمُّ أبي زرع فما أمُّ أبي زرع، عكومُها رداحُ، وبيتها فَسَاح، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع، مضجعه كمسلِّ شطبة، ويشبعه ذراع الجَفرَة. بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع، طوعُ أبيها، وطوعُ أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها. جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، ونكحت بعده رجلاً سريّاً، ركب شريّاً، وأخذ خطيّاً، وأراح عليّ نعماً ثرياً، وأعطاني من كل رائحةٍ زوجاً، وقال: كلي أم زرع، وميري أهلك. قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**». قال أبو عبد الله: قال سعيد بن سلمة قال هشام: ولا تعشش بيتنا تعشيشاً. قال أبو عبد الله: قال بعضهم فأتقمَّح بالميم. وهذا أصح.

وعن عروة، عن عائشة كان الحبش يلعبون بحرابهم، فيستُرني رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو.

وعن ابن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله ﷻ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثم جاء

فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه اللتان قال الله ﷻ: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ قال: وعجباً لك يا ابن عباس، هما عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه فينزل يوماً، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار. فصخبت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني ذلك وقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن. ثم جمعت علي ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي: حفصة، أتغاضب إحداكن النبي صلى الله عليه اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لِغضب رسوله فتهلكي؟ لا تستكثري النبي صلى الله عليه ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه، وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه ـ يريد عائشة ـ.

قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو؟ أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول. طلّق النبي صلى الله عليه نساءه ـ وقال عبيد بن حنين: سمع ابن عباس عن عمر فقال: اعتزل النبي صلى الله عليه أزواجه ـ فقلت: خابت حفصة وخسرت. قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون.

فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه، فدخل النبي صلى الله عليه مشربةً له فاعتزل فيها؛ ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ ألم أكن حذرتك هذا، أطلقكن النبي صلى الله عليه؟

قالت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في المشربة، فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه، ثم رجع فقال: كلمت النبي صلى الله عليه وذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر. ثم غلبني ما أجد فجئت، فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع، فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إلي فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفاً، قال: إذا الغلام يدعوني فقال: قد أذن لك النبي صلى الله عليه. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادةٍ من أدمٍ حشْوُها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع بصره إليَّ فقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، ثم قلت وأنا قائم استأنس: يا رسول الله، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي صلى الله عليه، ثم قلت: يا رسول الله، لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه، يريد عائشة. فتبسم النبي صلى الله عليه تبسمةً أخرى، فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر غير أهبةٍ ثلاثةٍ، فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارساً والروم قد وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي صلى الله عليه وكان متكئاً فقال: «**أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجِّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا**»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فاعتزل النبي صلى الله عليه نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان قال: «**ما أنا بداخل عليهن شهراً**» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت

له عائشة: يا رسول الله، إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت تسع وعشرون ليلة أعدها عداً، فقال: «**الشهر تسع وعشرون ليلة**»، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله آية التخيير، فبدأ بي أول امرأةٍ من نسائه فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**».

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**».

وعن أبي هريرة، قال النبي صلى الله عليه: «**إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع**».

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه قال: «**لا يحل لمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدَّى إليه شطره**».

وعن أسامة، عن النبي صلى الله عليه قال: «**قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء**».

وعن ابن عباس أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه والناس معه، فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام، فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد، ثم انصرف، وقد تجلت الشمس، فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**» قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك

هذا، ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «**إني رأيت الجنة، أو أُريت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتُم منه ما بقيت الدنيا. ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**»، قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهن**» قيل: يكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن بالعشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «**اللَّهُمَّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**». رواه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم، ولكن رجح الترمذي إرساله.

(**القسم**): يعني: بين الزوجات وفي بعض نسخ بلوغ المرام: باب القسم بين الزوجات. والمراد بالقسم بين الزوجات هو أن يجعل لكل زوجة من زوجاته يوماً وليلة، ليقيم العدل بينهن فيما يقدر عليه من الكسوة والنفقة والمبيت.

(**يقسم بين نسائه فيعدل**): أي: يجعل لكل زوجة من زوجاته نوبة فلا يجور ﷺ.

(**هذا قسمي فيما أملك**): أي: هذا الذي أقدر عليه من القسم بين الزوجات.

(**فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**): أي: فلا تؤاخذني إن حصل من قلبي مودة وحب وميل لإحداهن أكثر من الأخرى، فإن هذا الميل ليس بيدي وقدرتي وإنما هو منك أنت وحدك لا أستطيع أن أتصرف فيه ولا قدرة لي على ذلك.

قال الحافظ في الفتح: روى الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: «**اللَّهُمَّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**». قال الترمذي: يعني به: الحب والمودة، كذلك فسره أهل العلم. قال الترمذي: رواه غير واحد عن حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، وهو أصح من رواية حماد بن سلمة. وقد أخرج البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ الآية. قال: في الحب والجماع، وعن عبيدة بن عمرو السلماني مثله. اهـ.

وقال في (تلخيص الحبير): حديث أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**». أحمد والدارمي وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن عائشة، وأعلّه النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال، وقال أبو زرعة: لا أعلم أحداً تابع حماد بن سلمة على وصله. اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**». رواه أحمد والأربعة، وسنده صحيح.

(امرأتان): أي: زوجتان.

(فمال إلى إحداهما): أي: فجار ولم يعدل بينهما؛ يعني: في النفقة والمبيت، بل انعطف إلى واحدة منهما.

(جاء يوم القيامة): أي: حشر يوم البعث.

(وشقه مائل): أي: وجانبه ساقط كأنه أصيب بشلل «نصفي».

قال الحافظ في (تلخيص الحبير): حديث أبي هريرة: «**إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل، أو ساقط**». أحمد والدارمي وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم واللفظ له، والباقون نحوه، وإسناده على شرط الشيخين، قاله الحاكم وابن دقيق العيد، واستغربه الترمذي مع تصحيحه. وقال عبد الحق: هو خبر ثابت لكن عليه أن هماماً تفرد به، وأن هماماً رواه عن قتادة فقال: كان يقال. وفي الباب عن أنس أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان. اهـ.

والميل إلى إحدى الزوجات دون غيرها من الزوجات قد ورد القرآن بالنهي عنه في قوله عز وجل: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩] والميل: إما مقدور عليه؛ كالمبيت والنفقة ونحوهما، وإما غير مقدور عليه كالحب والشهوة إليها؛ فالمطلوب من الرجل أن يعدل فيما هو قادر عليه.

أما بعض الميل الذي لا يقدر عليه كالحب وشهوته لها فإنه لا حرج عليه في ذلك، ولا يجوز له إذا كان عند إحداهما واشتهاها أن يمتنع عن قضاء شهوته

منها ليدخرها للأخرى. وقد قال البخاري: باب حب الرجل بعض نسائه أفضل من بعض، ثم ساق من حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم: «دخل على حفصة فقال: يا بنية، لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ـ يريد عائشة ـ فقصصت على رسول الله ﷺ فتبسم»، وفي لفظ للبخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة اعتزال رسول الله ﷺ نساءه في المشربة، قال عمر رضي الله عنه: فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدم حشوُها ليف. فسلمت عليه ثم قلت ـ وأنا قائم ـ: يا رسول الله، أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: «**لا**» فقلت: الله أكبر، ثم قلت ـ وأنا قائم أستأنس ـ يا رسول الله، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ ـ يريد عائشة ـ، فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى. فجلست حين رأيته تبسم. اهـ. وحب رسول الله ﷺ لعائشة أكثر من جاراتها أمر ثابت مشهور.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**من السُّنَّة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب أقام سبعاً، وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً ثم قسم**». متفق عليه واللفظ للبخاري.

(**من السُّنَّة**): قال النووي هذا اللفظ يقتضي رفعه إلى النبي ﷺ، فإذا قال الصحابي: السُّنَّة كذا أو من السُّنَّة كذا فهو في الحكم كقوله: قال رسول الله ﷺ، ثم قال: وجعله بعضهم موقوفاً وليس بشيء. اهـ.

(**البكر على الثيب**): أي: إذا تزوج فتاة بكراً وتحته امرأة ثيب أيضاً.

(**أقام عندها سبعاً ثم قسم**): أي: أقام عند الزوجة الجديدة البكر سبعة أيام لا يجعل فيها لغيرها من زوجاته مبيتاً، ثم بعد مرور الأيام السبعة بلياليها يبدأ القسم للزوجتين أو الزوجات.

(**وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً ثم قسم**): أي: وإذا كانت الزوجة الجديدة ثيباً أقام عندها ثلاثة أيام بلياليها ثم يبدأ القسم.

قال البخاري: باب إذا تزوج البكر على الثيب. حدثنا مسدد، حدثنا بشر، حدثنا خالد عن أبي قلابة، عن أنس رضي الله عنه، ولو شئت أن أقول: قال النبي ﷺ، ولكن قال: «**السُّنَّة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعاً وإذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً**».

باب إذا تزوج الثيب على البكر. حدثنا يوسف بن راشد حدثنا أبو إمامة، عن سفيان حدثنا أيوب وخالد عن أبي قلابة، عن أنس قال: «**من السُّنَّة إذا تزوج الرجل البكر على الثيب أقام عندها سبعاً وقسم، وإذا تزوج على البكر أقام عندها ثلاثاً، ثم قسم**». قال أبو قلابة: ولو شئت لقلت: إن أنساً رفعه إلى النبي ﷺ. وقال عبد الرزاق: أخبرنا سفيان عن أيوب وخالد قال خالد: ولو شئت لقلت: رفعه إلى النبي ﷺ. اهـ. وقال مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشيم عن خالد عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك قال: «**إذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعاً، وإذا تزوج الثيب على البكر أقام عندها ثلاثاً**» قال خالد: ولو قلت إنه رفعه لصدقت، ولكنه قال: السُّنَّة كذلك، وحدثني محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان عن أيوب وخالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس قال: «من السُّنَّة أن يقيم عند البكر سبعاً». قال خالد: ولو شئت قلت رفعه إلى النبي ﷺ. اهـ.

۞ ويفيد الحديث ما يأتي:

١ ـ ثبوت حق الزوجة الجديدة في ثلاثة أيام دون مشاركة إن كانت ثيباً، ثم يبدأ القسم.

٢ ـ ثبوت حق الزوجة الجديدة في سبعة أيام دون مشاركة إن كانت بكراً، ثم يبدأ القسم.

٣ ـ أن هذا هو هدي رسول الله ﷺ لمن تزوج على زوجته.

٤ ـ إدخال مزيد من السرور على الزوجة الجديدة والعمل على إزالة الوحشة عنها في حدود ما جعلته الشريعة الإسلامية لها من الأيام الثلاث للثيب والسبعة للبكر.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما تزوجها أقام عندها ثلاثاً وقال: «**إنه ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعت لك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي**» رواه مسلم.

(لما تزوجها): أي: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة رضي الله عنها.

(أقام عندها ثلاثاً): أي: مكث عندها ثلاث ليال لم يجعل لزوجاته فيهن نوبة.

(إنه ليس بك على أهلك هوان): أي: إن لك عندنا منزلة كريمة؛ فالمراد بأهلها هنا هو زوجها رسول الله ﷺ.

(إن شئت سبَّعت لك): أي: إن رغبت أن أبقى عندك إلى تمام سبعة أيام دون أن أقسم لنسائي بقيت عندك إلى تمام سبعة أيام.

(وإن سبَّعت لك سبَّعت لنسائي): أي: لكني إن بقيت عندك سبعة أيام، جعلت لكل امرأة من نسائي سبعة أيام كذلك.

وقوله في هذا الحديث: «**وإن سبَّعت لك سبَّعت لنسائي**» فيه إجمال؛ لأن المقرر أنه إن تزوج الثيب أقام عندها ثلاثاً، وإن تزوج البكر أقام عندها سبعاً، ثم قسم كما تقدم في الحديث الثالث من أحاديث هذا الباب. إلا أن مسلماً رحمه الله قد أخرج حديث أم سلمة رضي الله عنها بعدة ألفاظ تفسر الإجمال في هذا اللفظ الذي أورده المصنف بما يعود الأمر فيه إلى معنى: أن حق البكر أن يقيم عندها سبعاً، ثم يقسم، وأن حق الثيب أن يقيم عندها ثلاثاً، ثم يقسم، وأن الثيب إن رغبت أن يستمر عندها سبعاً، ثم يقسم ويقضي لنسائه الأيام الأربعة التي زادها للثيب جاز ذلك، فقد روى مسلم من طريق سفيان عن محمد بن أبي بكر عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثاً وقال: «**إنه ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبَّعت لك، وإن سبَّعت لك سبعت لنسائي**»، ثم ساق مسلم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة وأصبحت عنده قال لها:

«ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبَّعت عندك وإن شئت ثلَّثت ثم درت» قالت: ثلِّث. ثم ساقه مسلم من طريق عبد الرحمٰن بن حميد عن عبد الملك بن أبي بكر، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة فدخل عليها، فلما أراد أن يخرج أخذت بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: **«إن شئت زدتك وحاسبتك به، للبكر سبع وللثيب ثلاث»**. ثم ساقه من طريق حفص؛ يعني: ابن غياث عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة ذكر أن رسول الله ﷺ تزوجها ـ وذكر أشياء هذا فيه ـ قال: **«إن شئت أن أسبِّع لك وأسبِّع لنسائي، وإن سبَّعت لك سبَّعت لنسائي»**. اهـ. وبهذا يتضح أن مسلماً رحمه الله أخرج هذا الحديث مرسلاً ومتصلاً؛ قال النووي: قال الدارقطني: قد أرسله عبد الله بن أبي بكر وعبد الرحمٰن بن حميد كما ذكره مسلم، وهذا الذي ذكره الدارقطني من استدراكه هذا على مسلم فاسد؛ لأن مسلماً رحمه الله قد بين اختلاف الرواة في وصله وإرساله، ومذهبه ومذهب الفقهاء والأصوليين ومحققي المحدثين أن الحديث إذا روي متصلاً ومرسلاً حكم بالاتصال ووجب العمل به؛ لأنها زيادة ثقة. اهـ.

❁ ويفيد الحديث ما يأتي:

١ ـ أن الزوج إذا زفت إليه الثيب أقام عندها ثلاثاً ثم قسم لنسائه.

٢ ـ وأنه إذا زفت إليه البكر أقام عندها سبعاً ثم قسم لنسائه.

٣ ـ وأنه إذا رغبت الثيب أن يقيم عندها سبعاً من وقت الزفاف جاز أن يقيم عندها سبعاً، ثم يقضي لنسائه ما زاد على الثلاث عند الثيب.

٤ ـ استحباب إدخال السرور على الزوجة الجديدة وحسن ملاطفتها.

٥ ـ وجوب العدل بين الزوجات.

وعن عائشة رضي الله عنها أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة. متفق عليه.

(سودة بنت زمعة): هي: أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن

عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي العامرية. كانت تحت السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي العامري، ولما بُعث رسول الله ﷺ أسلمت وبايعت، وأسلم زوجها السكران بن عمرو وخرجا مهاجرين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ثم قدما مكة فمات بها زوجها رضي الله عنه، ولما توفيت خديجة رضي الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ بمكة. وكان قد عقد على عائشة رضي الله عنها إلا أنه لم يدخل على عائشة رضي الله عنها إلا بالمدينة، فهي بعد عائشة في العقد وقبلها في الدخول.

(وكانت سودة امرأة ثبطة): أي ثقيلة. وكانت تمازح رسول الله ﷺ قالت مرة لرسول الله ﷺ: صليت خلفك البارحة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم، فضحك رسول الله ﷺ، وكانت تضحكه الأحيان بالشيء. وقد توفيت رضي الله عنها سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة خمس وخمسين، وصححه الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(وهبت يومها لعائشة): أي: تنازلت عن نوبتها من رسول الله ﷺ لتكون هذه النوبة لعائشة رضي الله عنها مع النوبة المقررة لعائشة رضي الله عنها.

(وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومها ويوم سودة): أي: وكان رسول الله ﷺ يجعل لعائشة ليلتين، ولكل واحدة من نسائه ليلة واحدة عدا سودة رضي الله عنها، إذ تنازلت عن ليلتها لعائشة رضي الله عنها.

يبين هذا الحديث أن من حق الزوجة أن تتنازل عن ليلتها لضرتها، وأن للزوج أن يقبل ذلك، وأنه إذا قبل ذلك صار للمتنازل لها نوبتان، ولا يكون الزوج بذلك جائراً في القسم، ومن حق الزوج أن يرفض هذا التنازل إذا كان له رغبة في المتنازلة، وليس من حق الزوج أن ينقل ليلة المتنازلة لتتوالى مع ليلة المتنازل لها، بل تبقى كل نوبة على ما كانت عليه إلا برضى باقي الزوجات. وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب النكاح في «باب المرأة تهب يومها لضرتها وكيف يقسم ذلك»، وساقه من طريق زهير (وهو ابن معاوية) عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة.

وقد أورده في كتاب الهبة في باب هبة المرأة لغير زوجها، وعتقها إذا كان لها زوج فهو جائز إذا لم تكن سفيهة، فإذا كانت سفيهة لم يجز. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، فساقه من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيّتُهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ. كما أورده مسلم من طريق جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة، قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة، قالت: يا رسول الله، قد جعلت يومي منك لعائشة، فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين؛ يومها ويوم سودة. ثم ساقه من طريق عقبة بن خالد وزهير وشريك كلهم عن هشام بهذا الإسناد: أن سودة لما كبرت بمعنى حديث جرير، وزاد في حديث شريك قالت: وكانت أول امرأة تزوجها بعدي. وقولها في الحديث: «أن أكون في مسلاخها» المسلاخ هو الجلد، ومعناه: أن أكون أنا هي، وقولها في الحديث: «وكانت أول امرأة تزوجها بعدي» المراد: أن سودة أول امرأة عقد عليها رسول الله ﷺ بعد عقده على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، لكنه دخل على سودة بمكة ولم يدخل على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلا بالمدينة كما أوضحت ذلك في مفردات حديث الباب في ترجمة سودة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

۞ ويفيد الحديث ما يأتي:

١ ـ جواز هبة المرأة نوبتها لضرتها.

٢ ـ وأن للزوجة أن تتصرف في حقها بالهبة.

٣ ـ وأنه لا حرج على الزوج الذي تنازلت زوجته لضرتها عن نوبتها في قبول ذلك.

٤ ـ وأن نوبة الواهبة تكون للموهوبة لها على ما كانت عليه.

وعن عروة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «يا ابن أختي كان رسول الله ﷺ

لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يومٌ إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها»، رواه أحمد وأبو داود واللفظ له وصححه الحاكم، ولمسلم عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر دار على نسائه ثم يدنو منهن» الحديث.

(لا يفضل بعضنا على بعض في القسم): أي: لا يزيد واحدة من نسائه على واحدة فيما جعل لهن من نوبة.

(من مكثه عندنا): أي: جلوسه عند زوجاته في منازلهن.

(وكان قلَّ يوم): أي: وكان ﷺ يندر أن يمر يوم.

(إلا وهو يطوف علينا جميعاً): أي: إلا وهو يدور علينا في منازلنا جميعاً.

(فيدنو من كل امرأة من غير مسيس): أي: فيقرب من كل زوجة من زوجاته فيقبلها أو يلمسها دون أن يجامعها.

(حتى يبلغ التي هو يومها): أي: حتى يصل إلى منزل الزوجة التي تكون الليلة لها.

(فيبيت عندها): أي: فيستقر في منزلها طول الليل.

(دار على نسائه): أي: طاف على زوجاته.

(ثم يدنو منهن): أي: يقرب من كل واحدة من نسائه عندما يمر بحجرتها فيقبلها أو يلمسها من غير جماع.

(الحديث): أي: أكمل الحديث.

قال الحافظ في تلخيص الحبير: حديث عائشة: «كان النبي ﷺ يطوف علينا جميعاً فيقبل ويلمس، فإذا جاء وقت التي هو في بيتها أقام عندها». أحمد وأبو داود والبيهقي، وصححه الحاكم، ولفظ أحمد: «ما من يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً امرأة امرأة، فيدنو، ويلمس من غير مسيس، حتى يفضي إلى التي هو يومها فيبيت عندها». زاد أبو داود في أوله: «كان لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها». اهـ.

أما ما أشار إليه المصنف من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم فلفظه من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح. فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُه العُرُفُط، وسأقول ذلك له، وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة قالت: تقول سودة: والذي لا إلٰه إلا هو لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: «**لا**» قالت: فما هذه الريح؟ قال: «**سقتني حفصة شربة عسل**» قالت: جرست نحلُه العُرُفُط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك، فلما دخل على حفصة، قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «**لا حاجة لي به**»: قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حرمناه. قالت: قلت لها اسكتي». وصنيع المصنف رحمه الله يشعر بأن مسلماً تفرد بهذا الحديث، وقد أخرجه البخاري من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا. فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العرفط. وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية

ذلك، قالت تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني».

عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطيت أنا وحفصة عن أيَّتُنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: «**لا، ولكني كنت عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً**».

وعن عبيد بن حنين أنه سمع ابن عباس يحدث أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إني كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبةً لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فسلني، فإن كان لي علم خبرتك به. قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً، حتى أنزل الله ﷻ فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: ما لك ولما ها هنا، فيما تكلفت في أمر أريده؟ فقالت لي: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان. فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه. فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله. يا بنية، لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ـ يريد عائشة ـ قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد، قال: فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا

غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال: افتح افتح، فقلت: جاء الغساني، فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه. فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة. فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يرقى عليها بعجلة، وغلام لرسول الله ﷺ أسود على رأس الدرجة، فقلت: قل: هذا عمر بن الخطاب. فأذن لي. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم حشْوُها ليف، وإن عند رجليه قَرَظاً مصبوراً، وعند رأسه أَهَبٌ معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت، فقال: «**ما يبكيك؟**» قلت: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟**».

وعن عبيد بن حنين قال سمعت ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

وعن ابن عباس يقول: كنت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا، فمكثت سنة فلم أجد له موضعاً، حتى خرجت معه حاجاً فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء، فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه الماء، ورأيت موضعاً فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس: فما أتممت كلامي حتى قال: حفصة وعائشة.

وعن أنس قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً. فنزلت هذه الآية.



فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة